

الأستاذ بوعافية محمد عبد الرزاق

# البلاغة العربية والبلاغات الجديدة

قراءة في الأسواق بين التراث والمحاصرة





## البلاغة العربية والبلاغات الجديدة

قراءة في الأساق بين التراث والمعاصرة

---



الأستاذ : بوعافية محمد عبد الرزاق

## البلاغة العربية

### والبلاغات الجميدة

قراءة في الأساق

بين التراث والمحاصرة



كل الحقوق  
محفوظة

العنوان: البلاغة العربية والبلاغات الجديدة قراءة في الأنساق بين الزات  
والمعاصرة.



المؤلف: بو عافية محمد عبد الرزاق.

الحجم: 24/16 سم.

عدد الصفحات: 236 صفحة.

الناشر: مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع،

حي فيلالي عمارة ب رقم 3 قسنطينة - الجزائر.

هاتف فاكس: 031925165 جوال: 0797964157

البريد الإلكتروني: E-mail :hoikraa@gmail.com

© مؤسسة حسين راس الجبل للنشر والتوزيع.

ردمك: 978-9931-515-44-9

الإيداع القانوني: السادس الأول، 2018.

بسم الله الرحمن الرحيم والصلوة والسلام على محمد إمام الأنبياء والمرسلين وعلى آله الطيبين الطاهرين وجمع صحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين .

الحمد لله الذي أعاذه ... وما توفيقني إلا بالله ... أرجو من الله أن يتقبل مني عملي في سبيل لغة كتابه العظيم ... ودعائي بكل طيب وجميل لكل العلماء والفقهاء وأهل المعرفة والعرفان الذين قرأت لهم وتعلمت منهم الأموات منهم قبل الأحياء ...

شكراً لأمي التي تحملت السنين معي ... سهراً .. وخدمة ... أسأل الله لها دوام الصحة والعافية ... أمي تلك القسّيطة التي علمتني معنى أن أكون قسّيطة ...

شكر خاص لاستاذي والمشرف على بحوثي الأكاديمية ( ماجستير ودكتوراه في جامعة سطيف 2) الأستاذ الدكتور " عبد الغني بارة " الذي لا يدخل بالنصيحة ... مثال وقدوة لكل باحث نزيه ... يتغيّر الحقيقة .. ويسلك مسالكها ...





## مقدمة :

كانت الدراسات الأدبية والنقدية تتوزع عبر أقاليم عديدة من خريطة المناهج والعلوم، تترافق فيما بينها، وكل إقليم يدعى الشرعية أمام الآخر، ولكن المقاصد المشتركة لهذه الدراسات كانت تُنطق بلسان الحقيقة؛ أن هذه الأقاليم كانت لملكة واحدة، تنساها الدارسون، وغابت معالمها عنهم بفعل الزمن والظروف، وفي الفترة الأخيرة، وبعد تحقيق في مساءلات الدراسات النقدية والأدبية؛ من أين وإلى أين تسير ركبها؟ وأين تصب روافدها؟ ظهرت معالم المملكة القديمة من جديد بفضل أعمال التنقيب والحفري عن تاريخ طبقاتها، والبحث عن أساساتها، واتضح أن الاتجاهات المتنازعة حول حمى النص والخطاب، لا تكتسب شرعيتها إلا من خلال ضبط أصولها وتصحيح علاقتها مع الإمبراطورية الأم التي ما ثبتت وعادت إلا وفي نفسها أمر، لقد عادت البلاغة، ليس من أجل أن تقضي الملك المتعددة التي قامت نيابة عنها في زمن تهيئتها، إنما من أجل استعادة هذه الأقاليم، وتصحيح إجراءاتها وضبط علاقتها وحدودها، إنما في عصر البلاغة؛ حيث تهيمن بسلطانها على الخطاب وجوداً وإنشاءً، وعلى قراءته تلقياً .

وهذا البحث يستظل بالدراسات التي تريد أن تعطي للبلاغة مستحقها خاصة في لغتنا العربية، فالدراسات الغربية سارت شوطاً بعيداً في توسيع حدود بلاغتها بين الشعري والإيقاعي والسردي، وغيرها من الخطابات التي أصبح لها بلاغتها الخاصة بها، وتنصوبي جميعها تحت بلاغة عامة؛ تختضن الأنوع، وتبني شبكتها على فعاليات اللغة في الحياة الإنسانية تخليلاً وتدالولاً، ولم تصل الدراسات الغربية إلى هذا الوعي، إلا بعد التنقيب عن البلاغة القديمة، وإعادة قراءتها، وفهم جزئياتها والمراحل التي

مرت بها، والتفاعلات التي خاضت غمارها، وهذا ما صنع نجاح الدرس النcretive الغربي أمام حالة التبعية الشكلية التي يعاني منها جزء لا يستهان به من الدرس النcretive العربي، فإذا تكنا من قراءة ماضينا الثقافي والبلاغي، بالتنقib عن خلفياته، والكشف عن أنساقه، ومحاولة إجراء قراءة داخلية؛ حيث يفهم السابق في ضوء اللاحق، ويطرح سؤال التلقي وبناء العلاقات، عندها يمكن النهوض بالدرس النcretive والبلاغي، ويتمكن حينها من محاورة الآخر، والاستفادة منه، ولم لا إفادته .

إن البلاغة العربية لا تزال ترقص في الأغالل، خاصة في المناهج التعليمية، وما زال الأساتذة في ربوع الوطن العربي يتّخذون من "إني أرى رؤوسا قد أينعت ..." نموذجا ليشرحوا به الاستعارة وكأنّ العربية بأساليبها وقف بها الزمن وعمقت ليقى فيها شاهد وحيد على أحد أكبر أفنانها وهي سلطنة الاستعارة، أمّا الإجراءات التطبيقية التي تأخذ مقولات البلاغة وأبوابها محورا للتطبيق على النصوص والخطابات فهي مهزلة من طراز رفع المستوى خاصة عندما نجد دراسات يبحث أصحابها في ظواهر بلاغية ضمن خطابات معينة ولا نجد في نهاية الدراسة مبرّرا لتتبّعها، وكذلك لا نجد هدفا من دراستها ناهيك عن إهمال الأصول النظرية التي تقف خلف الفروع التطبيقية، ونجد اتجاهات البلاغة العربية الفاعلة عبر تاريخها ما تزال مغيبة، وغير مفهومة، ولم يكشف عن كثير من مكوناتها، ومقاصدها التي تسير تبعا لها، وقد تصدت في العقود الأخيرة دراسات جادة تأخذ من الغرب، وتعمل على كشف التراث ومحاورته في قراءة متفاعلة لا تتحيز لطرف على حساب الآخر، وتعمل على احترام الجديد الوارد بفهم أصوله وتبيّن خلفياته وتحقيق النظر في مقاصد أصحابه، ولا تقف أمام طود التراث الشامخ لتدوي الدعوات لأصحابه، إنما لتدوي

واجب الفهم كما أمرنا في ديننا ومناهج علومنا والبحث عن أوجوب ما يزال الواقع والخطاب يتضرر منها، ولتقييم حوارا بين الوافد الجديد والقديم العتيد، هكذا تتبع للقارئ أعمال جادة في الساحة النقدية والبلاغية العربية؛ مثل أعمال عبد الله صولة، وحمادي صمود، ومحمد مفتاح، ومحمد مشبال، ومحمد العمري، وغيرهم من أخلص للبحث والتنقيب ومتابعة التطور الذي شهدته الدرس البلاغي العربي بمكوناته الغنية، هذه الدراسات التي أخذت على عاتقها مهمة تعد الخطوة الأساسية في بناء صرح الفهم والبيان وتأسيس المعرفة التي تتناسب مع هويتنا ومنطلقاتنا.

وكان اختيار الموضوع مؤسسا على متابعة حركة البحث التي تتسارع حاليا في مجال الدراسات البلاغية، تحقيقا، دراسة، وكشفا للأنساق، واختبارا للإمكانات التطبيقية، فالبلاغة العربية في أمس الحاجة إلى إعادة قراءة تاريخها من النشأة إلى العصر الحالي، ولسنا في حاجة لمن يكرر ما قاله السابقون، ويعيد على مسامع القراء وأذهانهم حكاية اجتهد في تحصيل بعض من أطراها الأستاذ شوقي ضيف أو الأستاذ المراغي أو بدوي طبانه أو غيرهم من رواد البحث التاريخي للدرس البلاغي، فأولئك قد قاموا بواجبهم بما كان متوفرا تحت أيديهم، وبما كان مهياً ليفهموا من خلاله أنساق الدرس البلاغي، وعلينا اليوم أن نزيد عليهم، ونمحّص فيما أطلقوه من أحكام إن صواباً أمسكناه وإن خطأً ببهنا عليه وأصلحنا خللها.

والتنقيب في أصول الدرس البلاغي عند العرب تتطلب الرجوع إلى البدايات التي غالباً ما ننساها في حديثنا عن البلاغة وهي الأصل الذي نبع منه، ولا يكفي الوقوف عند تراثنا البلاغي، بل يجب الحديث عن اتجاهاته وخاصية منها تلك التي عاشت على الهمامش وأساءت إليها القراءات بما توصلت إليه من نتائج، وتالت عليها

الترجمات الأكاديمية لتحول إلى أحكام جاهزة عنها، لأنكتفي بهذا بل ننظم إلى دراسة نهاذج من المشاريع البلاغية المعاصرة، ووجدنا مشروع محمد العمري من أبرز المشاريع التي تتضح من خلالها معالج رؤية عميقة من مستويين ؛ التراثي القديم، وكذلك المعاصر من خلال منجزات البلاغة الجديدة ، وتتبّعنا خطوات مشروع الرجل ودرستنا أهم معالجه .

إن هذا العمل لا يدعى الشمول والكمال من كل جانب، ولكن حسبه أنه جمع بين التنقيب عن أصول البلاغة العربية وتطور أنساقها وتابع أحد أكبر مشاريعها في الفترة المعاصرة آخذنا بالتراث العربي الإسلامي من جهة ومستعينا بها صلح وتناسب مع علومنا ولغتنا وعلومها وأدابها الجليلة لكي لا تكون من يحملون التراث ما لا يتحمله أو ندعى إفلاته في جانب من الجوانب اتباعا فقط لآراء الغرب وتقديسا لهم، إن بلاغتنا العربية هي المفتاح الذي مكن علماؤنا الأجلاء من فهم القرآن الكريم واستنباط أحكامه، لقد كانت البلاغة مملكة ترتبط بها كافة العلوم الشرعية باعتبارها قمة العلوم اللغوية والأدبية، نريد لها أن ترجع إلى هذه المكانة، لأن مناهج النقد المعاصر للأسف الشديد تبيّن للذين هلّلوا لها أنها مؤسسة على نصوص إبداعية غربية غريبة عن نظام لغتنا العربية الجليلة، فمثلاً من أين لجئت ببلاغة السرد لو لا استنباطه لآلياتها من نص مارسيل بروست، ومن أين للشكلاينيين الروس أن يخرجوا على العالم بمفاهيم المهيمنة والأسلوب والتغريب لو لا نصوص الشعراء المستقبليين في روسيا ؟ إن مناهج النقد المعاصر مؤسسة إجرائياً على نصوص غريبة، ولأهلها الحق في ذلك فهم يسعون لدراسة لغاتهم، ومؤسسة نظرية على رؤية فلسفية ودينية غربية إما يهودية وإما مسيحية أو حتى إلحادية، كيف ينجح النقد العربي في اتخاذ هذه المناهج سبلا

للكشف عن جماليات أدب يختلف سياقه عن سياقها وتختلف عقيدته عن عقيدة أهلها، إن المناهج الحقيقة بدراسة أدبنا العربي والكشف عنه هي تلك التي تستقي منه وترجع إليه وتفهم الآخر وتستفيد منه بقدر ما تسمح لها هذه اللغة وهذا الأدب .

ما زالت كلمات الأستاذ أحمد حسن الزيات فيما قاله عن البلاغة في كتابه المميز " دفاع عن البلاغة " تراود فكري وتدخل شغاف القلب مني ، خاصة لما قال: " و الجدل عصب البلاغة " و قوله : " فالبلاغة إذن توجّه إلى العقل أو إلى القلب أو إليها معا " ( دفاع عن البلاغة ص 20/21 ) ، ما الفرق بين ما قاله الزيات رحمه الله وبين ما ينشره العرب اليوم عن شاعر بيرمان ( ) من دراسات وتطبيقات على المدونات الشرية والشرعية حول الحاجاج والآيات ، إن البلاغة العربية تحوي ما هو إقناعي وما هو جمالي شعري ومتزوج بينهما حسب مقتضيات الأحوال مثلما عبر عن ذلك فطاحلة الدرس البلاغي في تراثنا العربي الإسلامي العتيق .

في هذا العمل يروم الباحث الكشف عن هذه الأصول الإقناعية / التواصلية والشرعية الجمالية في البلاغة العربية ، والبحث عن حقيقة وظيفة البلاغة ، ودراسة نموذج معاصر قرأ البلاغة حسب معطيات الدرس الجديد وهو مشروع العمري الذي أقل ما يقال عنه أنه أول قراءة عربية نقدية جادة للمنجز البلاغي العربي ، ولا نجد الدارس فيها مغمورا بالنظريات الغربية بقدر ما هو قارئ محّص لها ، اخترت الحقائق في عقله ردحا من الزمن لتجلى على روئيته وإجراءاته .

#### أ. بوعافية محمد عبد الرزاق

قسنطينة



## المدخل :

### **قراءة البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة سؤال في النشأة والمفهوم**

١- بلاغة جديدة أم بLAGات نوعية؟ سؤال في جديد البلاغة .

٢- تاريخ البلاغة العربية ومساءلات الراهن للقديم.

٣- مقومات البلاغة العربية نشأة وتطوراً وامتداداً:

أ/ نشأة البلاغة العربية بين الإقناع والإمتاع .

ب/ البيان القرآني ومساءلات البلاغية الأولى

ج/ تطور البلاغة العربية والانتقال من الملة الفطرية إلى العلم الواصف:

١. الخلافات العقدية والجدل الكلامي.

٢. تطور البحث اللغوي وتأسيس النظرية اللغوية العربية .

٣. فهم القرآن الكريم وأسئلة الإعجاز .

٤. الحركة الشعرية ومذاهب الفن .

٥. الوافد الأجنبي وفهم العرب للبلاغات الأخرى .

٤- مفهوم البلاغة بحث في المشترك وتبين للفروق بين الموروث والوافد الجديد.

نقف على أرض مملكة البلاغة العربية المترامية الأطراف، نجوب مسالكها، ودروبها، في رحلة تبدأ ولا تنتهي ؛ لاكتشاف المجهول والمغمور من مدائنه، وإعادة التتحقق مما تعرّف عليه الدارسون منها، متخذين مطاييا البحث العلمي الذي تحدوه الخلفية المعرفية التراثية حارساً وضابطاً، وتشرف على سلامته ما يجنيه قراءة عهادها النظريات البلاغية الجديدة، التي دخلت الدرس البلاغي المعاصر، رغبة منها في إعادة تأريخ، وقراءة، وتنظير البلاغة العربية للوقوف على إمكانياتها الفذّة إجرائياً.

وليس من الغريب أن تعود الدراسات المعاصرة إلى الميدان البلاغي، لأنّه كان غائباً حاضراً، فالآليات التي اهتمت بها الاتجاهات النقدية المعاصرة، كانت تنتهي بشكل أو بآخر إلى جزء من جزئيات الدرس البلاغي، وتقع ضمن اهتمامه، ونجد ذلك عند الغرب كما نجده عند العرب، فالبلاغة الأرسطية أعيد اكتشاف متنها من جديد، ورجع الدارسون إليها، ليتبينوا المرجعية الشاملة لتطبيقاتهم وبحوثهم الشعرية، والتداولية، أما الجانب العربي فقد كانت البلاغة مخزناً تؤخذ منه الإجراءات التطبيقية وتتنوع منه الأفكار والمنطلقات، تؤخذ جزئيات منه دون مراعاة انتهائها إلى نسق معينه يوجب التعامل معها بخصوصيات نابعة منه، ومع التناسي أو الجهل بخلفياته ومقاصده، تُخلط المفاهيم وتتضارب المشاريع البلاغية، ويضاف إليها مزج غريب مع المناهج النقدية المعاصرة، هذه الظواهر استدعت الدراسات العربية البلاغية المعاصرة، والتي تنحو نحو الدراسات الغربية في إعادة استكشاف المجهول والمغيب من بلاغتنا ، دون أن تكون نسخة طبق الأصل عن آراء الغرب، أو تطبيقاته،

أو أحکامه على تاريخ البلاغة أو ظواهرها، فلكل فريق لغته ونصوصه النابعة من أصول ثقافية، ومرجعيات تتکائف عديد الرواfeld لبنائها .

## 1. بلاغة جديدة أم بلاغات نوعية؟ سؤال في جديد البلاغة :

ومن المهم أن نشير في بداية بحثنا إلى أن البلاغة الجديدة (La nouvelle rhétorique)، أو الدرس البلاغي الجديد قد مر بمراحل منذ دخوله إلى البحوث العربية المهمة بهذا الشأن، إذ نجد جماعة من النقاد المعاصرین وعلى رأسهم عبد السلام المساي الذي اعتبر الأسلوبية (stylistique) وريثة للبلاغة التي ماتت أو رحلت، وأصبحت مفاهيمها لا تصلح لمقاربة الخطابات بلهجة تتجلى على البلاغة أو تستحضر البلاغة الغربية وتقصي الجانب العربي مطلقا، وفي ذلك يقول : "إذا تبينا مسلمات الباحثين والمنظرين وجذناها تقرر أن الأسلوبية وليدة البلاغة، ووراثتها المباشرة، معنى ذلك أن الأسلوبية قامت بديلا عن البلاغة "<sup>(٤)</sup>

كما هو واضح من كلام المساي، فإن البلاغة لا تضطلع سوى بدور تارينجي في تأصيل الأسلوبية، ومعرفة أصلها، ونلمس من عباراته تلميحا خفيا بأن الأسلوبية بلاغة جديدة؛ باعتبار أنها وراثتها، أو بديل عنها، وهذه المرحلة التي نجد فيها الدارسين العرب يقدمون الأسلوبية؛ باعتبارها بديلا عن البلاغة، أو بشكل ضمني بلاغة جديدة، وهذا ما نلمسه عند محمد عبد المطلب إذ يقول: "...البلاغة لم تعد

---

<sup>(٤)</sup> عبد السلام المساي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب لليبيا تونس، 1977 ص: 48.

قادرة على الاحتفاظ بكل حقوقها القديمة التي كانت تناسب فترة معينة من ماضينا،  
والتي يجب على الباحث في الأسلوبية وضعها في اعتباره "<sup>(١)</sup>

وهذه العبارات فيما بعد تداولتها الدراسات التمهيدية التي هلت  
لالأسلوبية؛ باعتبارها بلاغة جديدة تقوم مقام البلاغة القديمة، وهذه المرحلة تميزت  
باتساع التناول الأسلوبى للنصوص تحت تأثير اتجاهات البحث ضمن هذا الميدان،  
ونحن لن نعتمد هذا المفهوم للبلاغة الجديدة لأن مفهوم ضيق إن لم يكن ممحقا في حق  
البلاغة، بل ولا تؤيده مؤهلات الأسلوبية هذا ما ي قوله محمد العمري : " وقد اعتقد  
بعض الباحثين، إلى حين، أن الأسلوبية يمكن أن تقدم بديلاً حديثاً للبلاغة ... غير أن  
الأسلوبية ما إن حاولت ثبيت كرسيها على الدكّة التي كانت تستقر فيها البلاغة  
باطمئنان حتى اهتزت من تحتها ومال على جانبه لانكسار إحدى قوائمه المتمثلة في البعد  
التداولي "<sup>(٢)</sup>

إنّ بعد التداولي حاضر بقوّة في البلاغة العربيّة، فهل تستطيع الأسلوبية أن  
تكون بديلاً عن هذا الدرّ العتيّد، وهي التي لم تتمكن من ترقيع هذا الجانب إلا في  
دراسة هنريش بليث التي تعدّ يتيمة، ولا يمكن أخذها كقاعدة نبني عليها اعتقاد  
الأسلوبية بديلاً عن البلاغة .

---

<sup>(١)</sup> محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت لبنان، ط 1، 1994،  
ص: 354.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، *الحجاج مبحث بلاغي في البلاغة؟*، ضمن *الحجاج مفهومه و مجالاته*، ج 1، عالم  
الكتب الحديث إربد الأردن 2010، ط 1، ص: 21.

ونحن إذ نحقق مفهوم البلاغة الجديدة ونرصد تطوره التاريخي نريد من خلال ذلك تحديد المفاهيم، والخلفيات النظرية ، والآليات التطبيقية، والمقاصد التي حركت الدراسات المعاصرة وجعلتها تعيد النظر في البلاغة العربية .

إذن فالأسلوبية لن تكون البلاغة الجديدة التي في ضوئها تم النظر إلى الموروث البلاغي العربي وإن كنا لا ننكر أعمال الدارسين الأسلوبيين في الكشف عن جوانب من الدرس القديم، بل واعتمد المفاهيم الأسلوبية كطرف مهم في التناول البلاغي الجديد وهذا ما نجده في مقوله العمري حول صنيع هنريش بليث(Heinrich plett)، إذ يقول معلقا على الاتجاه البلاغي الذي يرمي إلى اصطناع بلاغة عامة، تهتم بما هو تخيلي، وتداوي معًا : " وقد تدعم هذا المنحى بدراسات قيمة من قبيل دراسة هنريش بليث بعنوان :**البلاغة والأسلوبية**<sup>(١)</sup> ، أعاد فيها إلى الواجهة بعد التداوily الحجاجي للبلاغة القديمة، هذا بعد الذي نفتقده الأسلوبية الحديثة "<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما نجده مع التيار الجديد الذي يهدف إلى الاستفادة من الأسلوبية والشعرية مع التداوily ومباحث الحجاج لمقاربة الخطاب وتحليله .

ثم جاءت مرحلة كانت الدراسات العربية المعاصرة على اتصال بالتيار التداوily ودخل مفهوم الحجاج والإقناع والخطاب التأثيري وغيرها من المفاهيم التي تردد جميعها إلى الحقل التداوily الغربي خاصة مع مدارس الحجاج ويقف العمري على

---

<sup>(١)</sup> هنريش بليث، **البلاغة والأسلوبية**، تر محمد العمري، أفرقيا الشرق، المغرب / بيروت لبنان، 1999.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، **أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، أفرقيا الشرق، المغرب الدار البيضاء، ط 1 2013، ص: 31**

رأس الدارسين الذين استفادوا من الكتاب الرئيسي : مصنف في الحجاج (البلاغة الجديدة )  
traité de l'argumentation la nouvelle rhétorique

هذه العبارة الأخيرة التي انتشرت بين الدارسين، وسارعوا مثل الغرب إلى اعتبار نظرية الحجاج (L'argumentation) بلاغة جديدة، وهناك من قصر تسمية البلاغة الجديدة عليها من قبل ما صنعه عبد الله صولة في دراسة قدمها، ضمن كتاب: الحجاج مفهومه و مجالاته و نستطيع أن نقرأ قوله في هذا الصدد : "البلاغة الجديدة في العصر الحديث بلاغات كما يقول روبول . لكن يمكن أن نعتبر البلاغة التي جاء بها بيرلان و تيتيكا هي هذه البلاغة الجديدة"<sup>(١)</sup>

فبعد الله صولة (ت1430هـ) يعترف بأن البلاغة الجديدة بلاغات وهذا ما نريد نحن دراسته وبيان طاقات وإمكانيات البلاغة العربية في ضوئه ؛ لأن اعتبار البلاغة الجديدة محصورة في الحجاج يحد من فعاليات أقطاب كثيرة كالفعالية التأويلية والشعرية كذلك، بل إن ما ستفصح عنه دراستنا في هذا المدخل هو كشف عن هذه الفعاليات في الدرس البلاغي العربي القديم، ورؤيه لمباحث البلاغة الجديدة، ليس للمقارنة وإنما للإفاده والتقرير والتأصيل .

واعتبرنا البلاغة الجديدة بلاغات متعددة لا يعني تنازعها، أو تنافر أقطابها، بل على العكس من ذلك، نجد تداخلا وتعاضدا بين هذه البلاغات لتأسيس صرح بلاغة عامة مؤهلة لتشكيل الخلية النظرية، والعدة التطبيقية لتزود الدراسة النقدية بما تحتاج إليه لمقاربة الخطاب التداوily والتخيلي، ويدرك محمد مشبال بأن المنجزات

---

<sup>(١)</sup> عبد الله صولة، البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة (أو الحجاج)، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، ج1، عالم الكتب الحديث، إربد الأردن، 2010، ط1، ص:28.

الشكلانية والدراسات الأسلوبية لا يمكن أن تحل محل البلاغة بل تعتبر داخلة في دائرة البلاغات المشكّلة على مدى تاريخ الإنسانية<sup>(١)</sup>.

بل ويزيد على ذلك قائلاً : "فالبلاغة - كما يرى معظم المفكرين البلاغيين المعاصرين - مائلة في كل النصوص، بل إنها مكون طبيعي في أشكال التواصل الإنساني ... هذا هو موضوع البلاغة، الذي قد يتجسد أحياناً في مجموعة من البنيات الإقناعية (البلاغة الحجاجية)، وأحياناً في مجموعة من الصور والوجوه الأسلوبية ذات الوظيفة التحسينية (بلاغة المحسنات) وأحياناً أخرى قد يتجسد في مجموعة من الصيغ التعبيرية والتصويرية التي تفرزها مختلف الأجناس والأنواع والأشكال والنصوص الأدبية ... (البلاغة الأدبية)".<sup>(٢)</sup>"

وعلى هذا المثال نجد في الدراسات المعاصرة المتأخرة منها عناية بالبلاغات الخاصة مثل بلاغة الرواية وبلاغة المسرح مثلما قدمه محمد مشبال عن بلاغة النادرة، باعتبارها نوعاً سردياً قدرياً، لم تكشف عنه نظرية البلاغة العربية، لكن يمكن استنطاق الكامن من خلال النصوص الواردة وسياقاتها التي جاءت فيها<sup>(٣)</sup>، ووجود هذه البلاغات النوعية تحت مسمى البلاغة الجديدة ضروري لأنّها يحصر معناها، ومفهومها في مجال يضيق الخناق على الآفاق التي تريد اكتساحها، وبناء بلاغة عامة ترجع إليها البلاغات الخاصة، وتستمد منها مبادئها النظرية، وتمدها كذلك بالخصائص النوعية المشتركة، والتي تسهم في بناء كليات البلاغة كعلم كلي شامل يمس علوم الإنسان

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد مشبال، البلاغة والأصول، أفریقيا الشرق، المغرب، 2007، ص 7.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 8.

<sup>(٣)</sup> ينظر : محمد مشبال، بلاغة النادرة، أفریقيا الشرق المغرب، 2006.

واللسان، وقد نبهت جماعة مو (Groupe MU) إلى هذا الأمر، إذ اعتبرت مؤلفها البلاغة العامة غزوًّا لمناطق غير مكتشفة وجديدة تدخلها بلاغة تطبق على كل أصناف العبارات<sup>(١)</sup>.

ولهذا أردنا أن نضبط مفهوم البلاغة الجديدة ؛ باعتباره مصطلحاً يجمع عدید البلاغات، مثلما سبق وأن أشرنا، لكننا سنركز على الفروع الأكثر نضجاً ووضوحاً كبلاغة الحاجاج وبلاعنة الصور أو بلاغة الشعر، وبلاعنة التلقى ، وفي ضوئها سنبين مؤهلات درسنا البلاغي القديم، وإمكاناته النظرية التطبيقية وخصائصه المميزة له عن النظرية الغربية، والتي تمكّنه من بناء صرح تأسيسي لمناهج النقد المعاصر، ونتخذ نموذج دراسات العمري كمثال تطبيقي للدراسات العربية المعاصرة التي وسعت مفهوم البلاغة لتناول شتى أصناف الخطاب، وتعيد قراءة الموروث البلاغي في ضوء الراصد الجديد، وهذا النوع من الدراسة يستهدف قراءة المشاريع، لا علاقة له بتقييمها، والمفاضلة بينها وبين المشاريع الأخرى، لكن قراءة المشروع من ورائها تحقيق في التائج المتوصل إليها، وتحقق من الدرس البلاغي، وتوسيع لنقاط مهد لها المشروع قيد الدراسة .

## 2. تاريخ البلاغة العربية ومساءلات الراهن للقديم:

كانت عملية التنقيب عن التراث العلمي، والأدبي العربي قد بدأت منذ عصر النهضة والإحياء، لكن المتبع لهذه الحركة، يرى بأن من وقف على إحياء التراث نشره وتحقيقه، ما كان بإمكانه أن يتجاوز هاتين العمليتين؛ بسبب الظروف المحيطة به، ونجد في أحسن الأحوال دروساً وشروحًا لكتب بلاغية بعضها مثل التلخيص وعقود

---

<sup>(١)</sup> ينظر : Groupe Mu ,Rhétorique générale, Édition du seuil, paris ,1982,p:158.

الجهان والإيصال ... إلخ، مع غياب النظرة الشمولية التي تتناول تاريخ الدرس البلاغي عند العرب، وكذلك غياب للتحليل المعمق الذي يربط بين الاهتمام البلاغي، وبقية الانشغالات وال المجالات العلمية، والمعرفية القديمة، ناهيك عن الحديثة، أما التنبه لبلاغة الغرب في هذه الفترة (عصر النهضة والإحياء) فإننا نجد أثره عند الطهطاوي (ت1290هـ) في تخلص الإبريز<sup>(١)</sup>، الذي بين اهتمام الغرب بالبلاغة وأن لها اسمها هو :الريثوريقي، وهذه الفترة لم تؤرخ للدرس البلاغي العربي إلا في نهاياتها، ونجد ذلك مع ما كتبه المراغي رحمه الله (ت1370هـ) في علوم البلاغة<sup>(٢)</sup> وتاريخه لعلومها في مصنف آخر، وغيره من أولوا بعض العناية التاريخية بالبلاغة العربية مع الاهتمام بالخط الذي ينطلق من الجاحظ مروراً بالبديع وصولاً عند الجرجاني ثم المفتاح وما يعقبه من تلخيص وشرح، وعملية التاريخ تتكتسي أهمية ذلك أنها تعمل على اكتشاف الأنماط التي تحكم في المدارس البلاغية وامتداد كل مدرسة وطريقة تطبيقها وتناولها للنص، وهذه الفترة كشفت جزءاً ضئيلاً من التاريخ البلاغي، بل وساهمت في ترسیخ نموذج واحد هو نموذج القزويني (ت739هـ) ومن تابعوه بالشرح والحوالى على أهميتها إلا أن تناولها باعتبارها نموذجاً أو حداً للبلاغة، جعل هذه الأخيرة، تتصف بصفة الجمود متنا، وشرحاً، وشاهدًا.

<sup>(١)</sup> ينظر: الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، موفم للنشر، الجزائر، 1991، ص: 359.

<sup>(٢)</sup> أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 2005م.

ثم جاء مؤلف الدكتور شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ الذي يعلن من خلال مقدمته أن ما سيقدمه هو استعراض لحياة البلاغة على منازل التاريخ في درس منظم بحيث تتضح معالم تطورها في كل منزلة من جيل إلى جيل .<sup>(١)</sup>

وكذلك كان الكتاب إذ نلمس فيه جدية العمل، والرغبة في المسح التاريخي، ودراسة المؤلفات البلاغية، وتصنيف تiarاتها، وتحديد منشأ البلاغة العربية، والعوامل المساعدة على ذلك ضمنياً. والعمل الذي قام به شوقي ضيف، جاء من توجه إليه برؤية جدلية بين التراث والمعاصرة وهو الأستاذ حمادي صمود في مؤلفه: التفكير البلاغي عند العرب، وصاحب هذا المشروع يقر بأسبقية غيره لكنه يتقد طريقتهم بالقصور "وبسبب هذا القصور يعود، من وجهة نظرنا، إلى غياب جدلية التراث والحداثة في هذه المؤلفات وتصديها لدراسة التفكير البلاغي، في الغالب، من منظور أحادي البعد"<sup>(٢)</sup>

وقد جعل حمادي صمود من المحافظ مركزاً يرصد من خلاله الدرس البلاغي قبله وبعده، باعتباره شخصية معلمية تأثرت وأثرت في هذه البلاغة .

إن عملية تاريخ الدرس البلاغي تكشف عن الاتجاهات الكبرى التي ميزته وأثرت فيه، كذلك تفتح المجال أمام دارسي الخطاب لمعرفة نوافذ أخرى لمفاهيم بلاغية ؛ إن تناولناها من وجهة واحدة أصايبها الجمود والتكتل مثلما حدث للبيان والبديع والمعانى، هذا التقسيم الذي جنى على نظرية البلاغة العربية، وسد الآفاق،

<sup>(١)</sup> ينظر : شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة مصر، ط13، دت، ص: 5.

<sup>(٢)</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أنسسه وتطوره إلى القرن السادس، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2010، بيروت لبنان، ط3ص:12.

و حجب وجهات نظر قدمت تقسيمات أخرى انعكست على ممارسات تحليل الخطاب بالإيجاب، وهذه الاعتبارات وغيرها نرى ضرورة إعادة قراءة البلاغة العربية دون تهميش أو استثناء تيار من تياراتها، خاصة إذا كانت هذه القراءة تعتمد مفاهيم مستقاة تارة من البلاغة الجديدة التي تتوافق مع الرؤية البلاغية العربية التي سبق وأن أعلن أصحابها عن تعدد وجهاتها وتارة من التراث العربي الذي تعدّت آفاقه، بل إن هذه القراءة يجب أن تراعي المهد التاريخي الذي نشأت فيه هذه البلاغة، والسياق الحضاري الذي ترعرعت فيه، وظل يرافقها كالظل، لكن كثيراً من الدارسين لم يتبعوا إليه، وسنعود إلى هذا خاصة في قضية الإعجاز والبحث في المفاهيم الحقيقة لهذا المصطلح، هذا العمل يجعلنا نجا به عديداً من الإشكالات والتساؤلات منها:

ما أصول البلاغة العربية؟ وما هي كلياتها النظرية؟ كيف سترسم أمامنا صورة البلاغة العربية إذا حاولنا اكتشاف أبعادها المترامية باعتماد الدرس الجديد؟ هل حقيقة ترجع البلاغة العربية إلى علوم ثلاث (معاني، بيان وبديع)؟ من أين جاءت هذه المصطلحات؟ وما علاقتها بالخطاب الإنساني والقرآن؟ هل تم بالفعل تقييم كل الأفعال البلاغية بما يتناسب مع مقاصد أصحابها ومساربهم وسياقهم التاريخي؟ ألم تهمل مؤلفات بأكملها في التاريخ البلاغي، بدعوى أنها ليست من البلاغة في شيء؟ أليس من الغريب اليوم أن نجد الاختيارات الشعرية مثل: الحماسة، والمفضليات، والتشبيهات تمثل اتجاهها بلاحيا له مقوماته، وأسسها النظرية الكامنة والمعلنة؟

هذه التساؤلات نجدها بدأت تتنامي في العقود الثلاث الأخيرة، ومن بين الأفعال المهمة ما قدمه محمد العمري في كتابه : البلاغة العربية أصوتها وامتداها، هذا العمل الذي رصد من خلاله ما استطاع من المشاريع البلاغية، محللاً ومعتمداً

مفاهيم بنوية كالنسق ومفاهيم نظرية التلقي Théorie de la réception، وسنعود في الفصلين القادمين لتعزيز الرؤية في كامل مشروع العمري، باعتباره يمثل رؤية بلاغية عربية معاصرة، ليكون مؤلفنا هذا جاماً بين القديم والرؤية المعاصرة، كذلك نجد محمد مفتاح في كتابيه *مجهول البيان والتلقي والتأويل*<sup>(١)</sup> قد تعرض للكشف عن اتجاهات بلاغية تتساها الدرس البلاغي العربي ؛ كالمدرسة المغاربية التي نجد ضمنها أسماء مثل السجلامي (ت ٩٨ هـ) والقرطاجي (ت ٦٨٤ هـ) وابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ) وابن البناء المراكشي العددى ... .

وفي مدخلنا هذا سنحاول قراءة أصول البلاغة العربية، حاولين بذلك إضافة أجزاء من المنجز البلاغي العربي وتصحيح الرؤية – اجتهادا منا – في بعض الواقع التي رأينا إيجاف الدارسين في أحکامهم على مراحل بلاغية بعينها، هذا ما سيدخلنا في خلاف مع دارسين آخرين سبقونا إلى هذا الميدان لكن عمدانا في هذا العمل هو قول الإمام أبي حنيفة : "هذا الذي نحن فيهرأي لا نجبر أحدا عليه، ولا نقول يجب على أحد قبوله بكرابية " ونحسب أن الدارسين السابقين يسيرون على هذا النهج العلمي في الانفتاح، وقبول الرأي الآخر المؤسس على دعائم علمية .

---

<sup>(١)</sup> ينظر : *مجهول البيان والتلقي والتأويل* خاصة فيربط محمد مفتاح الآليات البلاغية بالمفاهيم المنطقية وكذلك علاقة التراث البلاغي في تياراته المغاربية بالرياضيات ومفهوم البيان والبلاغة ومقاصد التأويل وامتدادات مشاريع البلاغيين نحو غایيات شرعية وسياسية وكذلك كونية إنسانية .

### 3. مقومات البلاغة العربية نشأة وتطوراً وامتداداً :

#### أ/ نشأة البلاغة العربية بين الإقناع والإمتعاع :

لا نريد أن يكون تتبعنا لنشأة البلاغة العربية من منظور ظهور الإسلام وتأثير العرب به، إنما نريد أن ننقب عن الأصول الأولى محترمين ملابسات الفترة التاريخية، والملاحظ أن البلاغة كغيرها من العلوم اللسانية والإنسانية لم تكن مقننة وموضوعة في زمن الجahليّة، لكن العرب كانت تمتلك هذه المعرفة اللغوية، كقدرة كامنة ضمنية يتوارثونها جيلاً عن جيل؛ مثلما يقول ابن خلدون: "... فالمتكلم من العرب حين كانت ملكة اللغة العربية موجودة فيهم، يسمع كلام أهل جيله، وأساليبهم في مخاطباتهم وكيفية تعبيرهم عن مقاصدهم؛ كما يسمع الصبي استعمال المفردات في معانيها؛ فيلقنها أولاً، ثم يسمع التراكيب بعدها فيلقنها كذلك [...] إلى أن يصير ذلك ملكة وصفة راسخة ويكون كأحدهم"<sup>(١)</sup>

ويسبق كلامه هذا حديثه عن البلاغة وأنها بلوغ المتكلم الغاية من إفادته مقصوده للسامع حيث يقول: "اعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وصورها بحسب قوام الملكة أو نقصانها. وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب. فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة، للتعبير بها عن المعاني المقصودة، ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادته

---

<sup>(١)</sup> عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط١، 2012، ص: 622.

مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة<sup>(١)</sup>، فالقدرة اللغوية هي التي تمكن الإنسان من التعبير عن المعاني، وهذا الأمر لا يتعلق بالمفردات، وهنا نلاحظ شيوخ فكراً أن البلاغة لا تتعلق بالمفردات لوحدها، فالتركيب الذي يراعي قوانين التأليف، الذي بدوره يعمل على اتباع قاعدة المقاصد وتطبيق الكلام على مقتضى الحال؛ أي مراعاة المناسبة التداولية، إذا توفرت كل هذه الموصفات تم معنى البلاغة، وانكشفت حقيقتها.

وملاحظات ابن خلدون تسلط الضوء على العصر الجاهلي باعتبار البلاغة ملكة فطرية تنشأ بالسماع فطرة ثم النسج على منواها، وتكرار استعمالها؛ هكذا كانت البلاغة عند العرب قبل الإسلام هي ملكة للتواصل؛ لأنها ارتبطت بمفهوم الوصول والإيصال وهذا ما نجده عند صاحب اللسان إذ يقول : "بلغ الشيء يبلغ بلوغا وببلاغا: وصل وانتهى؛ وأبلغه هو بإبلاغا وبلغه تبليغا، وقول أبي قيس بن الأسلت السلمي :

قالت ولم تقصد لقيل الخن<sup>(٢)</sup> : مهلا فقد أبلغت أسماعي

ويقول في موضع آخر : "وتقول له في هذا بلاغ وبلغة وتبليغ أي كفاية . وبلغت الرسالة ."<sup>(٣)</sup>

فالبلاغة والبلاغ والجذر اللغوي لهذه الكلمة تجتمع فيه خصائص الإيصال وبلغ النهاية والكفاية في الكلام وغيره، ومن هنا ندرك حقيقة العلاقة بين مفهوم

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 622.

<sup>(٢)</sup> ابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة مصر، دت، مادة (بلغ).

<sup>(٣)</sup> ابن منظور، لسان العرب، مادة (بلغ)

البلاغة وبين بقية العلوم اللسانية وهي حقيقة التواصل إذ نجد عنصر التركيز على الإيصال وتحقيق الكفاية فيه ، وليس أمرًا يأتي بعد إنشاء الرسالة اللغوية، إنما هي أصل هذه الرسالة إنشاء ومقصداً ولا تهتم فقط بالوظيفة التزيينية أو الجمالية كما هو شائع عند الكثير .

ولا نزال مع أصل نشأة البلاغة، هذا الأصل الذي نلتمسه من المعجم الذي جمع عن الفترة الجاهلية لأننا نطلق منها وهو أول مرجع ينبغي المرور به لتحقيق جذور هذه النشأة التي سنراها تتوالى مع الروايد التي ستحملها مستقبلاً، هذا ما لا نجده واضحًا في البلاغة الغربية، وسنشير إلى ذلك في موضعه، والعرب في زمن الجاهلية أخص ميزة وسمتهم هي الستهم وإجادتهم فنون القول والخطاب، فكان الشعر ديوانهم والخطابة ميدانهم، حتى ليصل أحد علماء اللغة وهو ابن فارس ليقول: "الشعر شعر العرب ديوانهم وحافظ مآثرهم" <sup>(١)</sup>.

وهو هنا يريد الإشارة إلى اختصاص العرب بالقول الجميل وصناعته، وأن بقية الأمم ليست بهذه ميزة، بل نجد في العديد من النصوص التراثية كلامًا عن اختصاص العرب بالشعر وملازمته لها، ونحن ما يهمنا هو علاقة هذا الخطاب بفعالية البلاغة التي عرفها العرب في الجاهلية ؛ باعتبارها ملكة فطرية عمودها التواصل وبلغ الكفاية في القول، والشعر أحد مسالك التعبير التي اتضحت فيها هذه البلاغة وقد أكسب لهذه البلاغة العديد من الخصائص ستظهر في العصور اللاحقة .

---

<sup>(١)</sup> أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط2، 2007، ص: 43.

ونجد عبد الكريم النهشلي (ت 45هـ) يورد نصوصاً في مقام الشعر عند العرب: "...وقال الحاج لمساور بن هند لم تقول الشعر؟ قال: أُسقي به الماء، وأرعنى به الكلاً وأقضى الحاجة فإن كفيتني ذلك تركته" <sup>(١)</sup>، فالشعر يدخل في جزئيات الحياة عند العربي في الجاهلية، والبلاغة كما بيناها في هذا العصر كانت قدرة كاملة فطرية عندهم ملزمة للتواصل، والشعر شكل من أشكال هذا التواصل، سواء كان خاضعاً للتداول اليومي أم كان متعدياً نحو أغراض أخرى، مثلما نجد عدداً من القصائد تبدأ مطالعها بكلمة تتفق في جذرها اللغوي مع البلاغة كقصيدة اللقيط بن يعمر:

أبلغ إيماناً وخلل في سراهم إني <sup>(٢)</sup>  
أرى الرأي إن لم أعص قد نصعا

أو قصيدة ربيطة أخت عمرو ذي الكلب :

أبلغ هذيلاً وأبلغ من يبلغها عنني <sup>(٣)</sup>  
رسولاً وبعض القول تكذيب

فالشعر كان الشكل الأبرز للتواصل من خلال هذه القدرة والملكة الفطرية وهي ملكة البلاغة.

ونجد عند أبي حيان التوحيدي (ت 400هـ) كلاماً ينقله عن ابن المقفع حول المعرفة الفطرية عند العرب ومن ضمنها فطرية الإجاداة في الكلام: "... حتى إن

<sup>(١)</sup> عبد الكريم النهشلي القيرواني، الممتع في صنعة الشعر، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط 1، 1983، ص: 20.

<sup>(٢)</sup> أبو الحسن البصري، الحماسة البصرية، تتح عادل سليمان جمال، الخانجي، القاهرة مصر، ط 1، 1999، ص: 280.

<sup>(٣)</sup> أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان، ط 1، دت، ج 22، ص: 507.

الرجل منهم وهو في فج من الأرض يصف المكارم فما يبقي من نعتها شيئاً، ويسرف في ذم المساوئ فلا يقصر، ليس لهم كلام إلا وهم يتحاضرون به على اصطناع المعروف ثم حفظ الجار وبذل المال وابتناء المحامد، كل واحد منهم يصيب ذلك بعقله، ويستخرجه بفطنته وفكerte فلا يتعلمون ولا يتأدبون، بل نحائز مؤدبة وعقول عارفة<sup>(٤)</sup> فأغراض الكلام ومقاصده يبلغ فيها العربي الكفاية والنهاية فلا يقصر وهذا معنى كون البلاغة هي الكفاية وبلغ المتهي، وهذه الملكة فطرية يستخرجها فطنة دون تعلم وتتكلف، ومن الواجب أن نشير إلى أنّ العرب لم يكونوا ذوي علم نظري وهندسة وكيمياء ... إنّما كانت عندهم المعرفة الفطرية (ليست بدائية) كما يصفها أصحاب الدراسات الحاقدة على العرب والإسلام (التي تجلّت في المعرفة اللسانية والملكه البلاغية الفذة، وإنّ اتساع معرفتهم باللغة ومقاصد الكلام وصوره جعلهم يصلون رتبة عقلية تضاهي فلاسفة اليونان وبالأخص شعراء العرب الذين كانوا في مرتبة أهل العلم والمشورة؛ لأنّ الشّعر هو العلم، إنّ اللغة التي تحسّد المعرفة حقّاً، ولا معرفة دون تحليها لغوياً، ملكها الله للعرب، وأعطاهم ناصيتها، ولما قامت حضارتهم كانت اللغة هي المساند القوي في بناء العلوم، وكانت البلاغة قمة التاج اللغوي النظري والإجرائي عند العرب، نتاجاً متوافقاً مع أصالة الفطرة العربية النقية، بعيدة عن رطانات العجم، وقريبة من دين الفطرة ديننا الإسلامي).

إذن في العصر الجاهلي كانت البلاغة ملكة ملازمة للتواصل لكننا نجدها تكتسب مواصفات أخرى منها الإمتاع بالقول والدفع نحو الفعل.

---

<sup>(٤)</sup> أبو حيان التوحيدى، الإمتاع والمؤانسة، دار الكتاب العربي بيروت لبنان، ط 1 2004، ص 47.

نجد الإمتاع في نوادي الشعر عند العرب، وطربها لسماعه، وتغنيها به، وتسمية الأعشى بصنّاجة العرب، وقول حسان بن ثابت :

تغنّ بالشعر إما كنت قائله إن الغناء لهذا الشعر مضمار<sup>(١)</sup>

وليس من الغريب أن نجد ابن رشيق يخصص باباً للإنشاد، والحديث عن غناء العرب في جاهليتها ومرافقة الشعر له، بل وتأصيل الشعر منه، وما للغناء من أثر على فعل الإنسان وانفعاله .<sup>(٢)</sup>

ونجد الدفع نحو الفعل في قصيدة اللقيط بن يعمر الإيادي –وليست الوحيدة إنما مثال عن غيرها- والتي دفع بها قومه لمجاهمة كسرى وإبلاغهم ودفعهم نحو الفعل، وغيرها كثيرة كقصيدة عمر بن الكلثوم التي يقول عنها بعض الشعراء :

أهـى بـنـي تـغلـبـ عـنـ كـلـ مـكـرـمـةـ قـصـيـدـةـ قـالـهـاـ عـمـرـوـ بـنـ كـلـثـومـ

يـرـوـنـهـاـ أـبـدـاـ مـذـ كـانـ أـوـهـمـ يـالـلـرـجـالـ لـشـعـرـ غـيرـ مـسـؤـومـ<sup>(٣)</sup>

ولم يكن الشعر لوحده دافعاً نحو الفعل بل كانت الخطابة كذلك حاضرة، مثل مجاري الإقناع في مملكة البلاغة والتواصل عند العرب، فقد وجدت الخطابة التي زاحتها وخلطته فأعطته من خصائصها الإقناعية وأخذت منه الطاقات التخييلية في سبيل الاستهواء، ونجد نصاً جديراً بالاهتمام في البيان والتبيين يختص الشعر والخطابة

<sup>(١)</sup> ابن رشيق القيرواني، العمدة في محسن الشعر، وآدابه، ونقده، تتح محمد عبد الحميد محبتي الدين، دار الطلائع، القاهرة، 2009، ج 2، ص: 272.

<sup>(٢)</sup> ينظر: المرجع السابق، ص: 270، 273.

<sup>(٣)</sup> أبو الفرج الأصفهاني، الأغاني، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ج 11، ص: 36.

على السواء؛ إذ يذكر الجاحظ (ت255هـ): "وقال أبو عمرو بن العلاء :كان الشاعر في الجاهلية يقدم على الخطيب، لفرط حاجتهم إلى الشعر الذي يقيده عليهم مآثرهم ويفخم شأنهم، ويهول على عدوهم ومن غزاهم، ويهيب من فرسانهم ويخوف من كثرة عددهم، ويها بهم شاعر غيرهم فيراقب شاعرهم .فلما كثر الشعر والشعراء، واتخذوا الشعر مكسبة ورحلوا إلى السوق، وتسرعوا إلى أعراض الناس، صار الخطيب عندهم فوق الشاعر".<sup>(١)</sup>

هذا النص يبين وظيفة كلا الطرفين لكنه ينحص الخطيب في التقدم لما ضاعت مصداقية الشاعر، وتفوق الشاعر على الخطيب يرجع إلى أسباب عديدة إذ كانت من لوازم السيادة والرئاسة وطريق لإقناع القوم وحملهم على الفعل أو تركه .

هكذا تتضح صورة البلاغة في الجاهلية باعتبارها ملكرة فطرية لصيقة بالتواصل الذي أخذ شكلين : الإمتاع والإقناع، وهذا الشكلان بمقوماتها سيرزان في الفترات اللاحقة وتخصص لكل منهم اتجاه، مع العلم بأنهما قد يتداخلان كما نجد في عبارة صاحب الأغاني لما يذكر معلقة عمرو بن الكلثوم إذ يقول :"وكان قام بها خطيبا بسوق عكاظ، وقام بها في موسم مكة"<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط 2010، ص: 175.

<sup>(٢)</sup> أبو الفرج الأصفهاني، كتاب الأغاني، إعداد مكتب تحقيق دار إحياء التراث العربي، دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان، ج 11، ص: 36.

وسنرى في مراحل قادمة للبلاغة تداخل الخطابي مع ما هو شعري لتصل إلى حد اعتهاد أحدهما على الآخر ضرورة .

من جانب آخر نرى بأن البلاغة الغربية لا تبتعد كثيراً عن البلاغة العربية مع اختلاف الملابسات فإذا كانت ملامة البلاغة عند العرب تطورت من التواصل إلى الإمتاع والإقناع، وهذا ما يؤهل مكوناتها لاحتضان الأنواع، فإن البلاغة الغربية نشأت إقناعية محضة، ولا يعرف عما قبل الفترة الكوراكسيّة إلا شذرات حول الأصل اللغوي اليوناني لكلمة ريطوريق (Rhétoriké) يقول في هذا الصدد أوليفيي روبيول Olivier Reboule "البلاغة كما يؤكد ذلك رولان بارت نشأت من قضايا الملكية ونستطيع القول كذلك بأنها نشأت من الحرية"<sup>(١)</sup>

فالصراعات التي نشأت حول الملكية التي خلفها الغزو في صقلية هي التي دفعت كوراكس (Corax) وتيسیاس (Tisias) إلى إيجاد طريقة تعليمية في أساليب المرافعة لاسترجاع الحقوق، في حين نجد البلاغة العربية تتأصل في فرعين (إن لم تكن هناك فروع أخرى ستظهر تباعاً) شعري وخطابي منذ البداية، والبلاغة الغربية تأخرت دعوات إدماج الشعري والخطابي إلى فترات متاخرة من عهود البلاغة، بالإضافة إلى أن البلاغة الغربية نشأت خطابة والبلاغة العربية نشأت باعتبارها ملامة للتواصل إمباكاً وإقناعاً ومشاركة في الحياة العامة والخاصة، لسنا هنا في صدد المقارنة التي اعتاد عليها بعض الدارسين ليبينوا فضل ما هو عربي وسبقه بل نريد القول بأن ظروف النشأة تحمل جذور الاختلاف بين البلاغتين، مما يتبع للبلاغة العربية إمكانيات لا توجد في البلاغة الغربية، وهذا لا يزري بهذه الأخيرة ولا يحبط من

---

<sup>(١)</sup> Olivier reboule ,la rhétorique ,puf paris france,1<sup>er</sup> edition 1986,p:9 .

قدّرها، فمثلاً كانت الأسس الإقناعية والشعرية في بلاغتنا العربية فطرية ضمنية في المرحلة الأولى (الجاهلية خاصة)، في حين نجد البلاغة الغربية تحظى بالتأسيس والتقنين منذ أول مرحلة لها، أما ما يذكر عن الفترة السوفياتية فلا تعدو كونها رافداً أو عاملًا في هذه البلاغة، وليس أصلًا للنشأة، أو صورة نبني عليها تصولاً للدرس البلاغي والأكيد أن الصراع الفلسفـي / السفـطـائي جعل من البلاغة الغربية إقناعية حجاجـية<sup>(١)</sup>، ومن المبكر التطرق لهذه القضايا لأننا لم نلـج بعد قضـية الحجاجـ والتخيـيل في البلاغة العربية .

و قضـية كون بدايات البلاغة العربية كانت معرفـة فطرـية كامـنة عند العرب في إنشـاء الكلام هو مفهـوم بلاغـي ينبغي استـثمارـه لفهم جذور بلاغـتنا فـمحمد العـمرـي يـشير إلى أن البلاغـة بلاغـتنا ؛ إذ يجعل المفهـوم الأول خاصـاً بالبلاغـة باعتـبارـها كـفاءـة تعـبـيرـية، والمفهـوم الثـانـي باعتـبارـها عـلـماً واصـفاً لهـذه الكـفاءـة .<sup>(٢)</sup>

ونـحن نـقـف معـ محمد العـمرـي في هـذا التـقـسيـم ونـشـدـ علىـ أهمـيـته لـكـنـنا نـأخذـ بهـ في رـصـدـ تـارـيخـ البلـاغـةـ العـرـبـيةـ وـعـدـمـ جـعـلـ المـفـهـومـ الأولـ مـوـضـوـعاـ لـلـثـانـيـ وـحـسـبـ بـلـ وـأـصـلاـ لـهـ سـتـحدـدـ أـهـمـ مـعـالـمـ الثـانـيـ مـنـ خـلالـهـ .

---

<sup>(١)</sup> يـنظرـ : هـشـامـ الـريـفيـ، الحـجاجـ عـنـ أـرـسـطـوـ، ضـمـنـ أـهـمـ نـظـرـيـاتـ الحـجاجـ فيـ التـقـالـيدـ الغـرـبـيـةـ منـ أـرـسـطـوـ إـلـيـ الـيـوـمـ، إـشـرافـ حـمـادـيـ صـمـودـ، كـلـيـةـ الـآـدـابـ مـنـوـبـةـ مـنـ صـ: 49ـ إـلـيـ صـ: 89ـ .

<sup>(٢)</sup> يـنظرـ : مـحـمـدـ العـمـرـيـ، أـسـتـلـةـ الـبـلـاغـةـ فـيـ النـظـرـيـةـ وـالتـارـيخـ وـالـقـرـاءـةـ، أـفـرـيقـيـاـ الشـرـقـ، الدـارـ الـبـيـضـاءـ المـغـربـ، طـ1ـ، 2013ـ، صـ: 18ـ .

## بــالبيان القرآني والمساءلات البلاغية الأولى :

بعد أن بینا جذور البلاغة العربية وأصولها في الجاهلية، نقف الآن على عتبة مهمة في التاريخ العربي، وتاريخ العربية؛ تمثل في ظهور الإسلام، ونزول الوحي على الرسول صلی الله عليه وسلم، هذا البيان القرآني الذي وصل إلى أسماع العرب، فأدركـتـ بــسلـيـقـتهاـ،ـ وـفـطـرـتـهاـ الـلغـوـيـةـ وـالـبـلـاغـيـةـ أـنـهـ خـارـجـ عنـ مـسـطـوـىـ نـظـمـهـمـ؛ـ لـاـ يـشـاهـيـهـ،ـ وـلـاـ يـسـتـطـيـعـونـ لـهـ نـظـيرـاـ،ـ وـقـدـ تـحـداـهـمـ إـلـىـ ذـلـكـ فـلـمـ يـأـتـواـ بــالـبـيـنـةـ وـذـهـبـواـ إـلـىـ سـبـيلـ الـحـربـ وـالـمـقـاطـعـةـ.

قال الله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مَا نَرَزَنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأَثُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مَّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتُ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة، الآية: 23-24]

فالرّيب الذي وقع فيه العرب المشركون، وتشكيكـهمـ فيـ نـبـوـةـ الرـسـولـ صـلـيـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ،ـ لاـ يـدـفـعـهـ سـوـىـ هـذـاـ التـحـدىـ الصـرـيحـ بــالـإـتـيـانـ بــسـوـرـةـ مـنـ مـثـلـهـ نـظـمـهـ وـعـبـارـاتـ وـتـالـفـ وـتـلـاـؤـمـ حـرـوفـهـ وـكـذـاـ الـحـقـائـقـ الـتـيـ يـعـرـضـهـ فـكـاـهـ العـجزـ مـنـهـمـ،ـ لـيـسـ لـأـنـهـ اـسـتـخـدـمـ مـفـرـدـاتـ غـيـرـ مـفـرـدـاتـهـمـ أوـ تـرـاـكـيـبـ عـلـىـ غـيـرـ مـاـ عـهـدـوـهـ،ـ بــلـ مـلـزـاـيـاـ وـخـصـائـصـ أـخـرىـ،ـ وـكـمـ بــقـوـلـ الـخـطـابـيـ :ـ "ـ وـاعـلـمـ أـنـ الـقـرـآنـ إـنـهـ صـارـ مـعـجـزاـ لـأـنـهـ جـاءـ بــأـفـصـحـ الـأـلـفـاظـ فـيـ أـحـسـنـ نـظـومـ التـأـلـيفـ مـضـمـنـاـ أـصـحـ الـمعـانـيـ"ـ<sup>(١)</sup>

وهـذـاـ التـحـدىـ يـسـتـدـلـ عـلـىـ عـجزـ الـعـربـ أـمـامـهـ بــأـئـمـهـ لـجـؤـواـ إـلـىـ السـلاحـ وـالـمـقـاطـعـةـ وـسـفـكـ الدـمـاءـ وـطـرـقـ هـيـ أـشـقـ عـلـيـهـمـ مـاـ لـوـ قـدـرـواـ عـلـىـ مـعـارـضـتـهـ لـأـبـطـلـواـ حـجـةـ صـاحـبـهـ وـأـنـهـوـاـ دـعـوـتـهـ.

<sup>(١)</sup> المـطـابـيـ،ـ بــيـانـ إـعـجـازـ الـقـرـآنـ،ـ دـارـ الـمـعـارـفـ،ـ الـقـاهـرـةــ مـصـرـ،ـ صـ:ـ 27ـ.

وقال كذلك : ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مُّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنَّمَا يَسْتَحِيُّوْ لِكُمْ فَاعْلَمُوْا أَنَّهُمْ أُنْزَلَ بِعِلْمٍ اللَّهُ وَأَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾ [هود، الآية: 13-14]

فالمشركون من قريش لما سمعوا القرآن الكريم كانت لديهم معايير بلاغية فطرية يعرفون من خلالها محل الجودة والجمال والبلاغة في القول ومن البلاغة ما يكون دليلاً على صدق صاحبه، ونجد في الأثر ما يدل على ذلك فنجد عند الباقلاني "ما روي في الحديث أن جبير بن مطعم ورد على النبي صلى الله عليه وسلم في معنى حليف له، أراد أن يفاديه، فدخل والنبي صلى الله عليه وسلم يقرأ سورة ﴿وَالظُّرْ وَكِتَابٌ مَسْطُورٍ﴾ [الطور، الآية: 1-2] في صلاة الفجر، قال فلما انتهى إلى قوله ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور، الآية: 7-8]، قال: خشيت أن يدركني العذاب. فأسلم. وفي حديث آخر: أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه سمع سورة طه فأسلم" <sup>(١)</sup>

من خلال تعریجنا على هذا النص، وعلى موقف العرب من القرآن الكريم، وهو موقف الانهار وكذلك موقف يكشف عن معرفة العرب بأنه نص خارج عن نطاق قدرتهم، رغم أنه يتلقى مع أساليبهم، لكنه يفوقها، ونحن نريد الفحص عن المعيار الذي احتكموا إليه للوصول إلى هذه التبيبة التي نجدها معبراً عنها فيما نقل إلينا من مواقفهم، وهذا المعيار لا شك أنه ذو علاقة وشديدة بالملائكة التي تحدثنا عنها، لكن في هذا المنعرج هي ملائكة فاحصة، ووصفية للكلام المنتج، وليس ملائكة لإنتاج الكلام إقناعاً وإمتاعاً، هذه القدرة النقدية الواصفة مارستها العرب في الموزانات

---

<sup>(١)</sup> الباقلاني، إعجاز القرآن، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 7، 2009، ص: 27.

الشعرية التي كانت تجري بعكاظ تحت إشراف النابغة، وأخبار حكومته بين الشعراء دائم صيتها، لكن ههنا نجد الأحكام الواصفة للغة، وأساليبها ليست بين شاعرين<sup>(٤)</sup>، بل بين نصين من مصادرين مختلفين، ويسعى المتلقى للفحص عن أسباب جودة الثاني وتفوقه على الأول .

إن الأسئلة التي طرحت ضمنيا في قرارات العرب الذين سمعوا القرآن الكريم، تتوزع بين أسئلة عقائدية، ومعرفية، لكن أهم سؤال هو السؤال البياني، والأجوبة التي تحصل عليها العرب تمكنا من الكشف عن المعيار الذي احتمموا إليه في تبيان علو القرآن الكريم وتفوقه على ما ألفه العرب من شعر، وخطب، وسجع كهان، وهذا المعيار الذي نتكلم عنه هو أول خطوة في الوعي بالبلاغة باعتبارها معرفة فاحصة وعلماً وصفياً من شأنه التأثير النظري للملفوظ تخيلياً وتداولاً، ففي الفترة الجاهلية كانت البلاغة ملكرة إنسانية متجة للكلام المخيلي أو المقنع، لكن مع نزول القرآن الكريم، ومساءلة العرب، واحتكمائهم ضمنياً إلى معيار معين، نجد أن هناك جانباً آخر من البلاغة نشأ وهو جانب البلاغة باعتبارها علمًا واصفاً .

وفيما يخص المعيار الذي تكلمنا عنه، فهو مركب من معطيات المعرفة اللغوية، والأدبية للعرب، ونستطيع العثور على هذا الأمر في أقوال العرب، وموقفهم من القرآن الكريم، ونحن مصرون على النظر في نشأة البلاغة من صميم المحيط الذي نمت فيه، بعيداً عن تأثيرات العصور الموالية؛ لأننا ألفنا الرأي القائل بأن الدرس

---

<sup>(٤)</sup> نجد محمد العمري يجعل من النقد أحد الروايد التي ساهمت في بناء الدرس البلاغي العربي ويجعل الوعي بالخصوصية بلاغة أما الإجراء فهو نقد، ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق .

الإعجازي، بعد ما أحدثه القرآن الكريم، هو الذي أسهم في إذكاء جذوة الدراسات البلاغية، لكننا نتناسى الأسئلة التي بنت هذا الدرس الإعجازي من أول تلقي للعرب، وسماعهم لهذا القرآن الكريم.

يمكن العثور على جوانب هذا المعيار الذي احتكموا إليه، من خلال العودة إلى النصوص الناشئة عن الفترة التي مثلت الاحتلال الأول بين العرب، والقرآن الكريم، وحيرتهم الشديدة إزاءه.

فمن بين أهم النصوص المتداولة في حديث الإعجاز ما روي عن رأي الوليد بن المغيرة، "فقد اجتمع إليه نفر من قريش ليجمعوا على رأي واحد يصدرون عنه يقولونه للناس في الموسم فقال بعضهم: شاعر، وقال بعضهم كاهن، وقال بعضهم ساحر، وقال بعضهم: مجنون، فكان يرى هذه الأقوال ويفندها ثم قال: والله إن لقوله حلاوة وأن عليه لطلاوة وإن ليعلو وما يعلى عليه"<sup>(١)</sup>

إن الاضطراب الذي وقع فيه العرب لما سمعوا القرآن الكريم يكشف عن جزء من المعيار الذي تحدثنا عنه، فقد أرادوا نسبة القرآن الكريم إلى أقوال الكهان وإلى الشعر فأول ما قم به العرب البحث في الأنواع التي سبق وأن تلقوها وحكموا عليها بخصائصها، لكن يبدو أن هذه الأنواع لا يمكنها أن تحمل الخصائص الموجودة في القرآن الكريم، وهذا يأتي رأي الوليد بن المغيرة ليحدد مواصفات النص القرآني كما تلقاه من حلاوة وطلاوة وعلو، فالخصائص الأولى والثانية تشتريkan في ميزة الاستهواء، والجذب، والتأثير على السامع، أما الخاصية الثالثة وهي ما عبر عنه بالعلو

---

<sup>(١)</sup> فاضل صالح السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان الأردن، ط٨، 2012. ص: 8.

فهي الميزة الإقناعية التي تجعل من القرآن الكريم خطاباً موجهاً للعقل يصارع ماضي الأفكار ويصحح الاعتقادات .

ونجد نصاً آخر نلتقطه من خلاله ما تبقى من المعيار الذي تلقى العرب من خلاله القرآن الكريم، ونسوق ما أورده السامرائي ناقلاً إياه عن ابن كثير وابن هشام: "كان كل من أبي جهل وأبي سفيان والأنحسن بن شريق يأخذ نفسه خلسة لسماعه (القرآن) في الليل والرسول في بيته لا يعلم بمكانتهم ولا يعلم أحد منهم بمكان صاحبه حتى إذا طلع الفجر تفرقوا حتى إذا جمعتهم الطريق تلاوموا وقال بعضهم لبعض: لا تعودوا فلو رأكم بعض سفهائكم لأوقعتم في نفسه شيئاً، ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثانية عاد كل رجل منهم إلى مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا وجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض مثل ما قال أول مرة ثم انصرفوا . حتى إذا كانت الليلة الثالثة أخذ كل رجل مجلسه فباتوا يستمعون له حتى إذا طلع الفجر تفرقوا فجمعتهم الطريق فقال بعضهم لبعض: لا نبرح حتى نتعاهد لا نعود فتعاهدوا على ذلك ثم تفرقوا" <sup>(١)</sup>

وفيهم نزل قوله تعالى: ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَى إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَبَعَّونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا﴾ [الإسراء، الآية: 47].

فبعد أن رأينا الجزء الأول من المعيار الذي تلقى به العرب القرآن الكريم وهو عرضه على الأنواع التي سبق وأن تلقوها، نجد في هذا النص ومن خلال الإشارة القرآنية فعالية سحر البيان والاستهواه، فعجزهم ثلاث مرات عن مقاومة سماع القرآن يعد طاقة جذب غير عادي واثرنا كلمة طاقات الجذب وسحر البيان عوض

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 8.

الاستهوء لأنها لا تتلاءم مع المعجم القرآني الذي اقترنـتـ فيه بشحنة سلبية، ونجد السيد قطب رحمـهـ الله قد تحدثـ عنـ سحرـ البـيـانـ فيـ القرآنـ خـاصـةـ فيـ السـوـرـ الـقلـائلـ الأولـ التيـ نـزـلتـ فيـ مـكـةـ قـائـلاـ : " لا بـدـ إـذـنـ أـنـ تـلـكـ السـوـرـ الـقلـائلـ كـانـتـ تـحـتـويـ عـلـىـ العـنـصـرـ الـذـيـ يـسـحـرـ الـمـسـتـعـمـينـ وـيـسـتوـحـزـ عـلـىـ الـمـؤـمـنـينـ وـالـكـافـرـينـ " <sup>(١)</sup> .

وقد اختلفـ الجـمـعـ منـ الـعـلـمـاءـ وـالـدـارـسـينـ فـيـماـ بـهـرـهمـ وـأـعـجـزـهـمـ وـلـكـنـ الـأـكـيدـ أـنـ هذاـ أـكـدـ لـهـمـ أـنـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ لـهـ مـاـ يـجـعـلـ كـلـ الـعـرـبـ يـتـبعـونـ أـمـرـ هذاـ الـدـيـنـ وـالـرـسـوـلـ صـلـىـ اللـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ مـاـ كـانـتـ بـيـدـهـ مـعـجـزـةـ أـكـبـرـ مـنـ مـعـجـزـةـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ <sup>(٢)</sup> .

وقد حاولـتـ قـريـشـ أـنـ تـجـابـهـ هـذـهـ الطـاقـةـ الـمـوـجـودـةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ بـأـسـلـوبـ مشـابـهـ لـمـاـ هـوـ فـيـهـ، مـاـ يـكـشـفـ عـنـ فـهـمـ الـعـرـبـ لـلـاسـتـراتـيـجيـاتـ الـمـوـجـودـةـ فـيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ، وـالـتـيـ مـنـ خـلـالـهـ يـجـذـبـ أـسـمـاعـ الـمـتـلـقـينـ، وـيـتـمـكـنـ مـنـ التـأـثـيرـ عـلـيـهـمـ، وـإـذـاـ رـجـعـنـاـ إـلـىـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ : ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لُهُ الْحُدْيَثَ لِيُضْلِلَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذُهَا هُرُواً أُولَئِكَ لُهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾ [سـوـرـةـ لـقـمانـ، الآـيـةـ 6] فيـذـكـرـ الـقـرـطـبـيـ (تـ671ـهـ) أـنـهـ : " قـيلـ : نـزـلتـ فـيـ النـصـرـ بـنـ الـحـارـثـ لـأـنـهـ اـشـتـرـىـ كـتـبـ الـأـعـاجـمـ : رـسـمـ وـاسـفـنـدـيـارـ فـكـانـ يـجـلـسـ بـمـكـةـ، فـإـذـاـ قـالـتـ قـريـشـ إـنـ مـحـمـداـ قـالـ

<sup>(١)</sup> سـيـدـ قـطبـ، التـصـوـيرـ الـفـنـيـ فـيـ الـقـرـآنـ، دـارـ الشـرـوقـ، طـ17ـ، صـ17ـ.

<sup>(٢)</sup> نـسـتـخـدـمـ مـصـطـلـحـ الـآـيـةـ وـالـمـعـجـزـةـ وـالـتـحـديـ دونـ تـفـصـيلـ فـيـ الـفـرـوـقـ أوـ الـمـلـاـبـسـاتـ الـتـارـيـخـيـةـ حـتـىـ نـصـلـ إـلـىـ أـوـاـخـرـ الـقـرـنـ الـأـوـلـ وـالـقـرـنـ الثـانـيـ .

كذا ضحك منه، وحدثهم بأحاديث ملوك الفرس ويقول حديثي هذا أحسن من  
حديث محمد<sup>(١)</sup>

وهنا تظهر فعالية السرد، وقدرتها على الاستهواء، وتقطن السليقة العربية لهذا الدور الذي تؤديه، مع أن هناك دارسين يزعمون بأن العقلية العربية لا تعرف من السرد إلا أقله، ونقول نحن بأن السرد فعالية ضمنية في أدبنا القدين نجدها حاضرة ولكن بلاحتنا بإيجازها تقتضب السرد وتترك للمتلقي حرية مركبة وليس هامشية في تطوير أحداه وهذا ما نجده في الشعر والمثل، بالإضافة إلى الشعر والخطب، فالقص بما يحتوي عليه من احتواء زمني، واستبداد بالتخيل من خلال فعاليات الوصف الغرائي، والمعتمد على النادرة والخبر العجيب، كان في رأي المشركين، من شأنه أن يصرف أسماع العرب عن القرآن، وكانوا يعتمدون على فعاليات السرد لمجاوبة النص الجديد الذي سيقلب حياة الجahليّة ونظمها، وقد تبه الجاحظ (ت 255هـ) بعد قرنين إلى تلازم الإقناع مع السرد، مما جعل محمد مشبال يتخذ في دراسته له اتجاهًا يقر "بأن ثمة تلازمًا بين التصوير والحجاج ليس في أدب الجاحظ فقط ولكن في مطلق النصوص الأدبية"<sup>(٢)</sup>.

ما نلاحظه كذلك، هو العنصر الإقناعي الذي يحويه النص القرآني، وهو ما جعل مشركي العرب في صراع مع استدلّاته، وحججه الساطعة البراهين؛ إذ يطالهم في كل مرة بالبرهان، هذا ما سيدفع بالخطابة العربية، وكذلك الشعر إلى اتخاذ

<sup>(١)</sup> القرطيبي، الجامع لأحكام القرآن، المكتبة التوفيقية، القاهرة مصر، ط 10، 2012، ج 14، ص: 38.

<sup>(٢)</sup> محمد مشبال، البلاغة والسرد، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة عبد الملك السعدي، تطوان المغرب، 2010، ص: 6.

وسائل الحجاج مطية للدفاع عن المواقف. ولنا عودة إلى الحديث عن الحجاج والإعجاز القرآني لما ستحتضن الدراسات الإعجازية درس البلاغة العربية .

من خلال ما سبق، نرى بأن البلاغة تشكلت عند العرب في العصر الجاهلي؛ باعتبارها مملكة فطرية متصلة بفعالية الاتصال، فكانت مملكة تظهر في إنتاج الكلام إمتناعاً وإنقاضاً، ولما ظهر الإسلام، ونزل القرآن الكريم تحولت هذه المملكة إلى وظيفة الوصف، بالاعتماد على النصوص السابقة، ومقارنة النص القرآني بها، وكذلك محاولة مواجهة القرآن الكريم بعد أن أدرك العرب قدرة كامنة فيه لها طاقة الجذب واستلاب السامع نحوه .

هذه الفترة الممتدة من الجahiliyah إلى نزول الوحي، فترة مهمة في التاريخ لبلاغة العربية؛ لأنها لم تأت من عدم، وأصول الحجاج والشعرية وحتى السرد موجودة في أصل المملكة الفطرية المنتجة، والواصفة وهذا ما ستعمل العصور القادمة على اكتشافه وتنميته وإخراجه في شكل نظرية بلاغية متعددة المشارب والاتجاهات.

والفترة التي تلي نزول الوحي مما يصطلاح عليه بصدر الإسلام نجد مع كل خليفة وصحابي موقفاً بلاغياً في فهم القرآن الكريم، وفي إسلام من يتعرض لسماع كلام الله تعالى، بل إن هذه الفترة كانت ميداناً لتطور الجانب الإنقاعي في الخطابة العربية مما سيمد الدرس البلاغي المعنى بهذا الجانب بما أنه يمكنه من استنباط خصائص الحجاج في الخطابة العربية، وما سيأتي من صراعات في عهد عثمان، واختلافات حول فهم النص القرآني، والخلافات السياسية، والعقدية في العصر الأموي، سيذكرني نيران المطالعات البلاغية، ويدفع نحو التأسيس للعلوم اللغوية

العربية، ومن بينها البلاغة، لظهور مع مصطلحات أخرى بتعريفات متعددة غير محددة، شأنها في ذلك شأن العلوم الحادثة في بداية نشأتها الأولى .

#### ج-تطور البلاغة العربية والانتقال من الملكة الفطرية إلى العلم الواصف :

خلال العصر الأموي نمت مؤهلات البلاغة العربية وكذلك توسيع طاقات اللغة العربية جراء الحوادث الطارئة، ونحن نسلط الضوء على الصراعات السياسية التي برزت في العصر الأموي وكانت السبب الرئيس في بروز الخطابة كفن للتوجيه والإقناع يتمسك كل طرف بحججه ويدافع عن موقفه السياسي هذه المادة الخطابية التي سيستثمرها بلاغيو القرن الثالث لتأسيس اتجاه بلاغي ترك بصمته في بلاغتنا .

ومحمد العمري لما خصص الفصل الثاني من مؤلفه في بلاغة الخطاب الإقناعي لدراسة مقام الخطاب في القرن الأول الهجري تحدث عن مقامات وأحوال الخطيب بين الوعظ والسياسة، واستنتج في مقامات الخطابة السياسية نوعين أحدهما الخطب المتعلقة ببناء الدولة وإرساء أركانها وخطب الصراع حول الحكم<sup>(١)</sup>.

ويصنف الخطابة السياسية إلى نوعين حسب نوعية العلاقة بين المتحاورين :

- حوار بين الأنداد .
- حوار بين الراعي والرعية .

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفرقيا الشرق، المغرب، الدار البيضاء، ط2،

50، ص 57، 2002

والملاحظات التي أوردها العمري في غاية من الأهمية لأن الظروف التي أحاطت بفن القول عموما هي التي أعطته القالب الإقناعي والجدي الذي نراه بارزا في الخطابة ومحضنا بالتخيل في الشعر السياسي مفعما بالعصبية والشعبية في النقائض .

إن النص في العصر الأموي هو الذي حمل الخصائص التي ستؤهل الدرس البلاغي العربي لبناء أصوله النظرية إقناعاً وتخليقاً، لأننا نجد بلاغي العصر العباسي يعتمدون على الميراث الأموي خاصة الاتجاه الذي اهتم بفعاليات الخطاب الإقناعي فأغلب معتمداته النصية مبنية على العصر الأموي، وهكذا نجد بأن هذا العصر له أثر بارز على أحد أهم اتجاهات البلاغة العربية، ولما يشارف العصر الأموي على الانتهاء يكون أمامنا مجموعة من الحوادث والتغيرات البارزة على المستوى العقائدي والمعرفي واللغوي ستؤثر في ظهور اتجاهات الدرس البلاغي العربي وتحل محله .

وسنحاول تلخيص هذه الظروف والعوامل التي أحاطت بالدرس البلاغي وأثرت في نشأته مع بدايات العصر العباسي .

## ١- الخلافات العقدية والجدل الكلامي:

نجد نصاً مميزاً عند البغدادي (ت 429هـ) يعرض من خلاله كيفية اختلاف الأمة، إذ يقول : "كان المسلمون عند وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، على منهاج واحد في أصول الدين وفروعه، غير من أظهر وفاقا وأضمر نفاقا" <sup>(١)</sup>

ثم يورد البغدادي خلافات جرت بين الصحابة رضوان الله عليهم وهذا لا يغطي الفترة التي نحن بصددها إلى أن يصل إلى قوله : "ثم اشتغلوا بعد ذلك بقتال

---

<sup>(١)</sup> عبد القاهر البغدادي، الفرق بين الفرق، دار ابن حزم، بيروت لبنان، ط 1 2005، ص: 14.

الروم والعجم، وفتح الله لهم الفتوح، وهم في أثناء ذلك على كلمة واحدة، في أبواب العدل والتوحيد، والوعد والوعيد، وفيسائر أصول الدين، وإنما كانوا يختلفون في فروع الفقه [...] ثم اختلفوا بعد ذلك في شأن علي وأصحاب الجمل [...] ثم حدث في زمن المتأخرین من الصحابة خلاف القدرية في القدر والاستطاعة من معبد الجنئي وغیلان الدمشقی، والجعد بن درهم، وتبرأ منهم المتأخرین من الصحابة، ثم اختلفت الخوارج بعد ذلك فيما بينها [...] ثم حدث في أيام الحسن البصري خلاف واصل بن عطاء الغزال في القدر وفي المنزلة بين المزليين، وانضم إليه عمرو بن عبيد فطردهم الحسن عن مجلسه، فاعزله إلى ساريته من سواري مسجد البصرة فقيل لها ولأتباعهم معتزلة <sup>(١)</sup>

هذه الاختلافات التي عاشها الفكر الإسلامي، وعايشتها الأمة العربية الإسلامية، أثرت على اللغة العربية، وكذلك على العقلية المبدعة في هذه اللغة، ودخل تأثيرها على أحد أهم اتجاهات البلاغة العربية، وهو الاتجاه الإقناعي / البيان والاتجاه الإعجازي النصي ؛ لأن من مثل هذا الاتجاه كان في الأغلب يتبع إلى فرقة كلامية، وعلم الكلام حجاج عن العقائد الدينية بالأدلة العقلية والمنطقية.

ليس هذا وفقط بل إن الصراعات الكلامية كانت قد اخذت القرآن الكريم محوراً تدور حوله مسائلها وهذا الجدال الدائر حول القرآن الكريم يمكن تقسيمه إلى :

- جدال حول مضامين القرآن وأحكامه .
- جدال حول القرآن الكريم باعتباره معجزة الرسول صلى الله عليه وسلم .
- جدال بين القرآن الكريم والأفكار الأجنبية .

---

<sup>(١)</sup> المصدر نفسه، ص: 17.

والجدال الثاني هو الذي دفع ببلاغة الإعجاز، وتفرعت عنه العلوم التي تهتم بوجوه البراعة في القرآن الكريم والتفوق على ما عداه من المنجزات اللغوية، وسيتطور منه اتجاه نشأ من التنقيب والبحث في أسباب التفوق بجانب البحث عن الأسلوب والنظم ليكون بلاغة نصية، تهتم بجزئيات النص القرآني وتناسب آياته، وأسماء سورة مع مقاصد أحكامه، بل وتبحث عن الانسجام والاتساق والمناسبة بين آخر السورة، و بدايتها، بل نجد من يجعل هذا الأمر مدار البحث الإعجازي، وهذا ما يقرره السيوطي (ت 911هـ)، وينقل عن غيره ما يثبت ذلك، فأبو بكر النيسابوري الذي كان كثير العلم في الشريعة والأدب، كان يزري على علماء بغداد عدم علمهم بالمناسبة، وينقل السيوطي قول "الإمام الرazi في سورة البقرة : ومن تفكر في لطاف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو أيضاً معجز بسبب ترتيبه ونظم آياته" <sup>(١)</sup>.

والبحث في التناسب بين سور القرآن الكريم وآياته، من ناحية اللغة والمقام الذي نزلت فيه، اهتم به أحد الرواقد المهمة في نشأة الدرس البلاغي، وهو درس التفسير، وعلومه التي انصب اهتمامها على القرآن ونشأت منه، والذي يرجع إلى كتب علوم القرآن سيجد بأن أكثر من نصف هذه العلوم ترجع إلى الدرس اللغوي والبلاغي، أو في أحسن الأحوال ترجع إليها في ضبط نتائجها وتحقيق مبادئها .

كذلك نجد علم الكلام والصراعات العقدية والسياسية التي أشار البغدادي سابقاً إليها قد ساهمت في دفع اتجاه بلاغي معتبر وهو الاتجاه الإقناعي البياني، ويربط

---

<sup>(١)</sup> جلال الدين السيوطي، معرك الأقران في إعجاز القرآن، تج أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 1988م، ص: 44

محمد العمري بين البيئة الكلامية وتنامي مباحث الإعجاز والمجاز؛ لأن كلاً منها كان يدخل ضمن الجدل القائم حول حجج النبوة وحجج القرآن وأنه مباین لكل نص بالتحدي .<sup>(١)</sup>

والمتكلمون حملوا راية الدفاع عن العقائد الإسلامية، فرجعوا إلى القرآن الكريم، وبينوا الأسس العقلية التي بني عليها هذا النص، "وستستفيد البلاغة العربية من ذلك فائدة كبرى وستكون بيئه المعتزلة خاصة والمتكلمين عامة إحدى البيئات الرئيسية التي ينشأ في ظلها التفكير البلاغي ويترعرع "<sup>(٢)</sup>

لن نحاول استقصاء تاريخ علم الكلام، ولا الفرق الإسلامية، لكننا نبحث عن تأثير هذه الظروف في تدعيم البحث البلاغي، وتطويره، وسنرى بأن كل عامل من العوامل، أثر في ظهور اتجاه بلاغي معين مع وجود مناطق اشتراك في التأثير والتأثير .

وللاعتزال أثر واضح على هذا الدرس، و"إن اهتمام المعتزلة بالبلاغة منبع من طبيعة مذهبهم الذي قام في كثير من الأحيان على الكلام المتمثل باللغة خطابة وجدلا ومناظرة"<sup>(٣)</sup>

لكتنا لا نستطيع أن نسلّم بأن المعتزلة هم من وضع أصول الدرس البلاغي، لأننا نجد اتجاهات بلاغية يتضاءل فيها أثر الاعتزال ومنها بلاغة الاختيارات الشعرية

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2013، ص:115.

<sup>(٢)</sup> حادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط3، 2010، ص:35.

<sup>(٣)</sup> محمد هيثم غرّة، البلاغة عند المعتزلة، هيئة أبوظبي للثقافة والترااث، ط1، 2009م، ص:95.

وكذلك الشروح الشعرية النصية التي لم يتناولها سوى قلة بالدرس والاهتمام بالجوانب البلاغية التي تحويها .

## 2- تطور البحث اللغوي وتأسيس النظرية اللغوية العربية :

مع نهاية العصر الأموي، وبداية العصر العباسي، كانت الحاجة ملحة لجمع اللغة، ورصد الفصيح منها، وجمع الأشعار ذات العلاقة بالمفردات القرآنية، وتأسيس المعجم العربي ؟ أما تعقيد اللغة فقد كان واجباً يمليه الشرع، ومن أولويات الحاكم مثلما تدل المصادر في رواية قصة نشأة النحو العربي .<sup>(١)</sup>

وازدهرت سوق اللغويين والنحاة، وبدأت تظهر معالم الاتجاهات اللغوية والنحوية، بفضل الصراعات التي كانت تحكم منطق المدارس النحوية وأعلامها، والمناهج التي اخذوها مطية لتقعيد اللغة، لكن ما يهم هو علاقة ذلك بالدرس البلاغي، واتجاهاته التي ستستمر فيما بعد، لأننا نجد النحو باعتباره: "علمًا يستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب"<sup>(٢)</sup> ، فإنه يتم بمعايير الصحة، والسلامة اللغوية في مستوى التركيب، وهذا ما نجده عند سيبويه عندما يحكم بالاستحالة على

---

<sup>(١)</sup> ينظر: محمد الطنطاوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة، عالم الكتب، بيروت لبنان، ط1، 2005، ص ص:13،14.

<sup>(٢)</sup> محمد بن الطيب الفاسي، فيض نشر الإشراح من روض طي الإقتراح وفي أعلاه الإقتراح في أصول النحو وجده للسيوطى، تتح محمد يوسف فجال، دار البحوث للدراسات الإسلامية وإحياء التراث، دبي الإمارات العربية المتحدة، ط2، 2002، ص:237.

كلام منافٍ لمرجعية الواقع، في قوله: "أما الحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"<sup>(١)</sup>

هذا الاهتمام الذي أولاًه علماء النحو للدلالة نجده في عديد من المواقع، وهذا ما جعل أصول البلاغة تتماس مع مباحث النحو وتأخذ بطرف منها والنحويون كما هو معلوم اتخذوا من بين ما اتخذوه، المدونة الشعرية نصاً لأصل سماعهم الذي وثقوا به قواعد العربية، وفي الشعر تصبح الكلمات غاية في ذاتها، ولأجل ذلك كان التركيز فيه على النسيج اللغظي الذي يملك نوعاً من السحر أو الإشعاع"<sup>(٢)</sup>

ولذلك يقوم الشعر باختراق قواعد يهتم النحو بترسيخها فإذا كان النحو العربي يؤسس قواعده على أصل السماع أولاً – وليس آخرًا – ويمثل الشعر في هذا الأصل حصة لا يستهان بها فكيف تعامل النحاة مع انحراف الشعر عن هذه المعايير؟

ه هنا نكتشف السؤال البلاغي الذي أسهم النحاة واللغويون، من خلاله، في تنمية جزء لا يستهان به من أجزاء اتجاه بلاغي عريق الصلة بالفن الشعري، "ولا شك في أن إدراجهم القرآن والشعر في عداد المصادر اللغوية قد نبههم إلى بعض خصائصها النوعية ودفعهم، في نطاق مشاغلهم النحوية، إلى جملة من الملاحظات

---

<sup>(١)</sup> سيبويه، الكتاب، تتح عبد السلام هارون، دار التاریخ، بيروت، لبنان، ص: 49.

<sup>(٢)</sup> محمد مشبال، البلاغة والأصول، أفریقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2007، ص: 30.

البلاغية المفيدة خاصة وأنها يخرجان عن معهود الكلام ويستعملان اللغة استعمالاً خاصاً لمقاصد فنية واضحة<sup>(١)</sup>.

إذ نجد علماء النحو واللغة أرجعوا كل مالاً يتوافق مع القوانين التحوية المستنبطة من استقراء كلام العرب (المثور والشعري)، إلى أمرين هما: التوسع والضرورة، وما سمي عند البعض الآخر بالمجاز، لأنهم كانوا مضطرين إلى مواجهة مسألة كانوا على وعي كبير بها؛ فالشعر كلام مباین للكلام العادي على المستوى الأسلوبی، وهي الحقيقة التي عبر عنها كوهن بقوله: "سوف نعتبر إذن اللغة الشعرية ظاهرة أسلوبية بالمعنى العام للمصطلح، القاعدة العامة التي سيبني عليها هذا التحليل هي أن الشاعر لا يتحدث كما يتحدث كل الناس وأن لغته غير عادية"<sup>(٢)</sup>

ويقول محمد العمري في هذا الصدد: "وبذلك قبل النهاة مقاسمة المكان مع البلاغة حيث خرج أول جيل بلاغي من صفوف اللغويين. فكان من أوائل الأماكن التي احتلتها البلاغة سكناً مؤقتاً: مجاز القرآن وضرورة الشعر [...] وهذه أول لبنة قوية نظرية في البلاغة العربية، بلاغة الشعر، أو الشعرية"<sup>(٣)</sup>

ولو رجعنا إلى النصوص الأصلية، لوجدنا الخبر يقيناً، فسيوية يقول في باب خصصه لحالة الشعر تحت مسمى: "هذا باب ما يحتمل الشعر" إذ يقول :

---

<sup>(١)</sup> حادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوره إلى القرن السادس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط3، 2010، ص:47.

<sup>(٢)</sup> جون كوبن، بناء لغة الشعر، ت أحمد درويش، دار المعارف القاهرة، ط3، 1993، ص:24.

<sup>(٣)</sup> محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، أفریقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2013، ص:113.

"اعلم أنه يجوز في الشعر ما لا يجوز في الكلام من صرف ما لا ينصرف، يشبهونه بما ينصرف من الأسماء، لأنها أسماء كما أنها أسماء"<sup>(١)</sup>

إذن، فللشعر قوانينه، والواجب على النحو أن يأخذها بعين الاعتبار، هذا الأمر جعل المباحث البلاغية تتنامي عند النحويين ومن أمثلة ذلك ما نجده في الكتاب: "هذا باب استعمال الفعل في اللفظ لا في المعنى لاتساعهم في الكلام، والإيجاز والاختصار: [...]"، وما جاء على اتساع الكلام والاختصار قوله تعالى جده: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ [يوسف، الآية: 82]، إنما يريد أهل القرية فاختصر وعمل الفعل في القرية كما كان عاماً في الأهل لو كان هنا ومثله ﴿مَكُرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾، إنما المعنى: بل مكرهم في الليل والنهر<sup>(٢)</sup>

وتوجد نماذج أخرى، توضع تحت باب الاتساع والضرورة، وهو المجال الذي فتح للشعراء وللغتهم التي تعدل عن القاعدة المتداولة لتأسيس لنفسها اتجاهها جديداً يضطر النحو/ القاعدة الصناعية، أن تأخذ بعين الاعتبار، ونجد مصطلحاً آخر، إنما عند اللغويين الذين اشتغلوا بالقرآن الكريم، ثم أخذ هذا المصطلح طريقاً آخر مع الدراسات الإعجازية وهو مصطلح المجاز .

### 3- فهم القرآن الكريم وأسئلة الإعجاز:

تفق المصادر على أن القرآن الكريم لما نزل على الرسول صلى الله عليه وسلم، وتلقاه أهل ذلك العصر، فهموه دون اللجوء إلى قواعد، ونظريات وآليات مكتسبة

<sup>(١)</sup> سيفويه، الكتاب، ج 1، تتح عبد السلام هارون، دار التاريخ، بيروت لبنان، ص: 49.

<sup>(٢)</sup> يوسف: 82.

<sup>(٣)</sup> سيفويه، الكتاب، ج 1، تتح عبد السلام هارون، دار التاريخ، بيروت لبنان، ص: 194.

؛ لأن الفطرة كانت سليمة حينئذ، يقول محمد سعيد رمضان البوطي : "مزيتان اتصف بها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اختفتا تدريجيا من العصور التالية، [...] هما اللتان أغتلتا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا سيما في الصدر الأول، عن الاحتكام إلى أي منهج علمي يتبع [... ]، هاتان المزيتان هما :

أولا - السليقة العربية الخالصة عن شوائب العجمة .

ثانيا - الفطرة الإسلامية النقية، الداعية إلى التسليم ."<sup>(١)</sup>

هذه المعطيات تغيرت مع تقدم العهد خاصة وأن المسلمين (العلماء منهم) وجدوا أنفسهم في مواجهة عقائد وحوادث متتجدة توجب عليهم النظر في القرآن الكريم نظرة استنباط واجتهاد ونظرية تبرير ودفع .

وهذا العامل من العوامل في نشأة الدرس البلاغي العربي، يبين فعالية الفهم، والإفهام، والإقناع باعتبارها أجزاء قارة في البلاغة العربية، لأننا عندما نقرأ مشاريع كل من الجاحظ (ت255هـ)، وابن سنان الخفاجي (ت466هـ) والقرطاجني (ت468هـ)، وغيرهم ستواجهنا قضايا تمتذ جذورها إلى هذه العوامل التي كانت في القرن الأول والثاني الهجريين، ونجد علماء المسلمين بدأوا تتضاعف عندهم ملحة الاستنباط، وممارسة عملية الفهم على النصوص القرآنية، بالاستعانة بالإستراتيجيات

---

<sup>(١)</sup> محمد سعيد رمضان البوطي، السلفية مرحلة زمنية مباركة لا مذهب إسلامي، دار الفكر، دمشق سوريا، ط 12، 2014، ص: 37.

اللغوية كما هو الحال عند الشافعي (ت 204هـ) في الرسالة، لما يتحدث عن البيان وأصنافه.<sup>(١)</sup>

وأصبح التفسير تنازعه الأهواء والنحل، فنجد ابن عباس يرجع إلى ديوان العرب، لمعرفة المقاصد، والمعاني، وتابعه في ذلك الفراء، فلا يتحقق معنى من المعاني إلا وأورد عليه بيتاً من أشعار العرب، يستشهد به ويتخذه عمدة في إصدار تفسيره والإعلان عن رأيه إزاء آية قرآنية.

هذا العمل له أهميته من وجهة نظر بلاغية، فالنص يتعانق مع نصوص سابقة، وتحدد معانيه بالرجوع إليها؛ لأنها ذخيرة اللغة، وإذا قيل لغة العرب، فالمقصود كذلك شعرها، ولفهم القرآن واستنباط الأحكام منه، ينبغي معرفة خصائص هذا اللسان الذي يأخذ منه الشعر مكانة مميزة صبغت خصائص هذه اللغة، والأصوليون الأوائل تنبهوا لهذا الأمر، يقول الشافعي: "إ إنما بدأت بها وصفت من أن القرآن نزل بلسان العرب دون غيره: لأنه لا يعلم من إيضاح جمل علم الكتاب أحد جهل سعة لسان العرب، وكثرة وجوهه، وجماع معانيه وتفرقها، ومن علمه انتفت عنه الشبه التي دخلت على من جهل لسانها... فإنما خاطب الله بكتابه العرب بلسانها، على ما تعرف من معانيها وكان مما تعرف من معانيها اتساع لسانها وأن فطرته أن يخاطب بالشيء منه عاماً ظاهراً يراد به العام الظاهر ويستغني بأول هذا منه عن آخره وعاماً ظاهراً يراد به العام ويدخله الخاص فيستدل على هذا ببعض ما خوطب به فيه وعاماً ظاهراً يراد به الخاص وظاهر يعرف في سياقه أنه يراد به غير ظاهره فكل هذا موجود

---

<sup>(١)</sup> ينظر: الشافعي محمد بن إدريس، الرسالة، تتح أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة مصر، ط 3، 2005، ص: 111.

علمه في أول الكلام أو وسطه أو آخره [...] وتسمى الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة وتسمى بالاسم الواحد المعاني الكثرة هذه الوجوه التي وصفت اجتماعها في معرفة أهل العلم منها به وإن اختلفت أسباب معرفتها وأوضحة"<sup>(١)</sup>

فما نجده عند الشافعي، هو كلام عن خصائص هذه اللغة، وهي خصائص غير اعتيادية، لا يمكن أن توجد في الكلام العادي، ووجودها في كلام العرب دليل على شدة ارتباط التداول بالتخيل، وهذه مسألة ناقشها في الحديث عن كليات البلاغة العربية، كذلك بحث الشافعي في هذه الخصائص النوعية (الأسلوبية) للعربية ضرورة لا مفر منها لفهم القرآن الكريم، ولهذا كان وضعها واحتسابها ضمن العوامل المهمة في نشأة الدرس البلاغي، والتأثير في تiarاته، يكتسي أهمية مضافة .

وظهر مصطلح المجاز عند أبي عبيدة(ت209هـ) لكنه يحمل مفهوم التوسع وطرق الخطاب أو كما قال فؤاد سزكين محق الكتاب : "كلمة المجاز عنده عبارة عن الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته، وهذا المعنى أعم بطبيعة الحال من المعنى الذي حدده علماء البلاغة لكلمة المجاز فيها بعد"<sup>(٢)</sup> فلا نجده يحمل المفاهيم التي سنجدها عند اللاحقين، فالمجاز عنده أقرب لمسالك الخطاب، وطرق تأدية المعنى من اختصار، وحذف وغيرها، وقد علق العمري على عمل أبي عبيدة قائلا: "بعد عملية استقصاء للأمثلة الدالة، (بغض النظر عن الشروح المعجمية عن طريق المرادف أو التفسير) بدا لنا أن إشكالات المجاز عند أبي عبيدة تندرج في الخانات التالية :

---

<sup>(١)</sup> الشافعي محمد بن إدريس، الرسالة، تتح أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة مصر، ط3، 2005، ص ص: 134-135.

<sup>(٢)</sup> محمد فؤاد سزكين، مقدمة تحقيق مجاز القرآن لأبي عبيدة، مكتبة الخانجي، القاهرة مصر، ص: 19.

- 1- تداخل الضمائر وتبادلها المواقع
- 2- اختلاف أوجه الإعراب والقراءات
- 3- استعمال اللفظ في غير موقعه المتوقع ومخالفة ظاهر القول .
- 4- الزيادة والنقصان في تركيب الكلام .
- 5- النقل والإلحاق الدلالي .<sup>(١)</sup>

ومع أهمية العمل الذي قدمه أبو عبيدة خاصة من الوجهة الأسلوبية في رصد أشكال العدول التي تميز القرآن الكريم ؛ إذ حاول الرجل تقديم تفسير لقرآن الكريم، وفهمها مغايراً لطبيعة تفاسير عصره، والدليل على ذلك سخط غيره من العلماء عليه، وعدم رضاهما على صنيعه، وليس ذلك إلا لأن الإمكانيات اللغوية جعلت أبا عبيدة يتلقى القرآن الكريم، ويفسره بحسب معطيات اللغة، والسنن التي تجري علىها .

لكن العمل الأبرز أثراً والذي كان لديه صلة وثيقة بالدرس البلاغي هو البحث عن إعجاز القرآن، والدفاع عن القرآن الكريم، ورد مطاعن الزاعمين، ونجد أوضح صورة لهذا الأمر مع ابن قتيبة(ت276هـ) في كتابه تأويل مشكل القرآن، وكذلك مع البحث في أصول الدرس الإعجازي .

فابن قتيبة يضع كتابه في الرد على الطاعنين في القرآن الكريم والمنكرين لإعجازه والمدعين بوجود الخلل في نظمه دون برهان أو دليل أو بتلisiis وجهل منهم .

لكن ابن قتيبة يجعل المتلقى للقرآن الكريم متلقياً خاصاً لديه معرفة سابقة بالنصوص الإبداعية السابقة للقرآن الكريم وله دراية بالتقالييد الأدبية لهذه النصوص

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2010، ص.97

وهذا مانجده في بلاغة التلقي عند ياؤس Hans Robert Jauss عندما يتحدث عن أفق التوقع ومكوناته خاصة خبرة الجمهور المسبقة بالجنس الأدبي الذي يتتمي إليه الأثر وشكل ومحفوٍ آثار سابقة يفترض معرفتها ففي الأثر الجديد خاصة عندما يصرح قائلاً : "فالتجربة الأدبية الجديدة التي يزودنا بها أثر لم يكن معروفاً قبل الآن تتضمن، مثلها في ذلك مثل أي تجربة معاصرة معرفة مسبقة vorzissen تتمي إلى التجربة ذاتها بدونها لا يمكن للجدة التي نتعرف عليها في هذا الأثر أن تصبح موضوعاً للتجربة "<sup>(١)</sup>

ونجد ابن قتيبة يقرر بأن معرفة فضل القرآن أي بداعيه، وتفوّقه على ما سبقه من النصوص، إنما يكون بمعرفة السابق من بديع الكلام عند العرب، وفهم طرّقهم وأساليبهم، يقول : " وإنما يعرف فضل القرآن من كثرة نظره، واتساع علمه، وفهم مذاهب العرب وافتنانها في الأساليب وما خص به لغتها دون جميع اللغات "<sup>(٢)</sup>

فمن أجل بيان فضيلة كلام ما ينبغي النظر إلى ما سبقه وخبرة المتلقي تلعب دوراً مهماً، وهذا ما سنجد مع اتجاه بلاغي عريق في المغرب العربي .

كذلك ضمن هذا العامل المهم في دفع الدرس البلاغي يمكننا تتبع خطوات ابن قتيبة في الدفاع عن القرآن الكريم، فقد رد شبه المنكرين لانسجام القرآن الكريم

---

<sup>(١)</sup> هانس روبرت ياؤس، نحو جمالية للتلقي، ترجمة وتقديم محمد مساعدى، منشورات الكلية جامعية سيدى محمد بن عبد الله، مطبعة الأفق فاس، المملكة المغربية، ص: 60.

<sup>(٢)</sup> ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تح سعد بن نجدة عمر، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1، 2011، ص: 39.

فيبين مواضع الاتصال بين آياته، والفارق الدقيقة بين معانيه وتحدث عن مفهوم المجاز وعرفه بقوله: "للعرب المجازات في الكلام، ومعناها طرق القول وما خذله"<sup>(١)</sup>

ثم اعتمد عليها في بيان فضل القرآن على سائر الكلام، وقد خطأ خطوة مهمة في الرد على الطاعنين على القرآن بالمجاز بقوله: "وأما الطاعنون على القرآن بالمجاز فإنهم زعموا أنه كذب؛ لأن الجدار لا يريد، والقرية لا تقصم . وهذا من أشنع جهالاتهم، وأدتها على سوء نظرهم وقلة أفهمهم، ولو كان المجاز كذبا، وكل فعل ينسب إلى غير الحيوان باطلًا، كان أكثر كلامنا فاسدا "<sup>(٢)</sup>

وهذه خطوة في تبرير ضرورة المجاز ستجد أثرها في المشاريع البلاغية اللاحقة، فابن قتيبة يصرح بضرورة التفريق بين المجاز والكذب، لأن معيار الكذب والصدق، معيار الواقع ومطابقته، أما المجاز فهو عدول في اللغة ليس بالضرورة أن يتتحقق حرمة الحقيقة في الواقع .

لكن البيئة التي احتضنت أكبر قدر من الاهتمام بالسؤال الإعجازي هي بيئة المتكلمين، التي بدورها ستولد اتجاهها بلاغيا نصيا، يعتمد على مفهوم الإعجاز، ومقارنة النص القرآني بالنصوص الأخرى، لأن رؤوس الاعتزال ربطوا بين الآية، والمعجزة، ليصلوا إلى وصف موقف مركب، يعبر عن التحدى، والعجز هو كنه

---

<sup>(١)</sup> المصدر نفسه، ص: 49.

<sup>(٢)</sup> ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تج سعد بن نجدة عمر، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1، 2011، ص: 145.

الإعجاز عندهم، ثم سعى رؤوس المعتزلة، والأشاعرة في تبرير وجوه هذا الإعجاز، وتوسعوا في باب بيانه، وبلاعترف لأنه تحدى العرب في الخاصية التي برعوا فيها.<sup>(١)</sup>

هذه المباحث دفعت بالسؤال البلاغي بعيداً وأثرت عليه، بل وساهمت في تطور اتجاهاته.

فقد طرحت أسئلة من قبيل: كيف يكون القرآن الكريم معجزة؟ وأين يكمن إعجازه؟ والعديد من الأسئلة التي سنحاول الكشف عنها في تبيان أحد أهم التيارات البلاغية، ولتفسير القرآن الكريم بمختلف اتجاهاته أثر عميق على الدرس البلاغي، ولا نبتعد عن الحقيقة إذا قررنا بأن للبلاغة كذلك أثراً لها الملموس على فعاليات التفسير وتطور اتجاهاته، والزمخري (ت538هـ) من أبرز النماذج المثلة لهذا الأمر، من خلال تفسيره الكشاف، "إذ استطاع أن يقدم فيه صورة رائعة لتفسير القرآن، تعينه في ذلك بصيرة نافذة تتغلغل في مسالك التنزيل وتكتشف عن خفاياه ودقائقه، كما يعينه ذوق أدبي مرهف يقيس الجمال البلاغي قياساً دقيناً وما يطوى فيه من جمال وجلال."<sup>(٢)</sup>

فالزمخري معتزلي، يعرف ذلك القاصي والداني، وتتبع مؤلفي الجرجاني (ت471هـ)، الدلائل والأسرار، مطبقاً نتائج الجرجاني في علمي المعانى والبيان على القرآن الكريم، واللاحظ أن الجرجاني أشعري، والزمخري نظر إلى القرآن بعيون تأويل اعتزالية، مما يوحى بمقارقة استطاع الرجل تجاوزها لأن الجرجاني

---

<sup>(١)</sup> ينظر: محمود محمد شاكر، مداخل إعجاز القرآن، مطبعة المدنى، المؤسسة السعودية بمصر، ط1، 2002.

<sup>(٢)</sup> شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، ص: 219.

بني نموذج الدلائل على تلقي معاكس للفكر الاعتزالي، وصاحب الكشاف التقى مع الجرجاني في مسألة ترابط النظرية النحوية وقواعدها مع المقاصد البلاغية، فتفسيره مثلاً لقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَى هُدًىٰ مِّنْ رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة، الآية: 5]، يراعي فيه مسألة الفصل بالضمير المنفصل عند النهاة، ويجعل له غرضاً ومقصداً، لأن "فائدة الدلالة على أن الوارد بعده خبر لا صفة، والتوكيد وإيجاب أن فائدة المسند ثابتة للمسند إليه دون غيره [...] ومعنى التعريف في المفلحون الدلالة على أن المتقين هم الناس الذين عنهم بلغك أنهم يفلحون في الآخرة [...]"، وتعريف المفلحين، وتوسيط الفصل بينه وبين أولئك؛ ليصرك مراتبهم ويرغبك في طلب ما طلبوا، وينشطك لتقديم ما قدموا، ويشطرك عن الطمع الفارغ والرجاء الكاذب والتمني على الله ما لا تقتضيه حكمته ولم تسبق به كلمته .<sup>(١)</sup>

وكلامه عن مقاصد التعريف، والفصل بالضمير هو تطبيق لما هو موجود عند الجرجاني، مما يبين أن الرجل تمثل نظرية الدلائل، وأحاط بكلياتها وجزئياتها معطياً الأولوية للنظر اللغوي والبلاغي، مخلصاً آراء الجرجاني من الحموله المذهبية التي بنيت عليها، مكتسباً لها بعده يحكم اللغة ومقاصد الخطاب على مستوى المنيز اللغوي، مع أن الزمخشري قد تدخل على مستوى النص التفسيري، محملاً إياه بالنظرية الاعتزالية التي ظل محافظاً عليها، وافتخر بها طيلة حياته .

<sup>(١)</sup> الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوایل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط 3، 2009، ص: 40.

#### 4- الحركة الشعرية ومذاهب الفن :

ننتقل إلى أحد العوامل المهمة التي تركت بصمتها على نشأة البلاغة، إنها مذاهب القول الجميل أو مذاهب الفن في الشعر والثر، فالمضطلع على كتاب البديع لابن المعتر يدرك بأن الرجل يتكلم عن مذهب محدث في الشعر يعتمد مقومات فنية خاصة، ففي أواخر العصر الأموي ظهرت بوادر اتجاه شعري جديد يعتمد خصائص شعرية جديدة يستغربها رواة الجاهلي القديم وفي هذا الصدد يقول البهبيتي عن الحركة الشعرية الجديدة التي بدأت تظهر أواخر العصر الأموي وبداية العصر العباسي، وكان قد حمل لواءها أهل الصبوة كما سناهم مطیع بن إیاس : "أن هذه الصبوة كان من رأي أصحابها الاتصال بالحياة اتصالاً مباشراً، وجعل الشعر أدلة للتعبير عن الحياة الجديدة، والبعد به عن الأساليب التقليدية التي انتزعت أصولها من جزيرة العرب "<sup>(١)</sup>

فمذاهب الشعر الجديدة، وخاصة مدرسة البديع جعلت الوعي البلاغي ينفتح على نصوص جديدة تتطلب قراءة، وتصنيفاً بلاغياً خاصاً، ونجد في ما نقله الأَمْدِي من رأي أهل الصنعة والبلاغة حول مذهب أبي تمام دليلاً عاصداً لهذا الأمر إذ يقول: "إن أهل الصنعة يفضلون كل ما قاله أبو تمام [...] والمطبعون وأهل البلاغة لا يكونون الفضل عندهم من جهة استقصاء المعاني والإغراق في الوصف وإنما يكون الفضل عندهم في الإلام بالمعاني، وأخذ العفو منها، كما كانت الأوائل تفعل، مع جودة السبك، وقرب المأْتَى "<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> نجيب محمد البهبيتي، تاريخ الشعر العربي، دار الفكر، بيروت لبنان، ط٤، 1970، ص: 320.

<sup>(٢)</sup> الأَمْدِي، الموازنة، تُحَسَّنَ السِّيدَ أَحْمَدَ صَقْرَ، دار المعرفة القاهرة مصر، ط٥، 2006، ج١، ص: 524.

ومجموع الخصائص الشعرية الجديدة هي التي شكلت أحد المنابع التي استقى منها الدرس البلاغي العربي، ويسمى أدونيس هذا المذهب الفني الجديد بـشعرية الكتابة، لأنها مخالفة للشفوية الجاهلية، ويقول ملخصا رأي الصولي(ت335هـ) في طريقة أبي تمام :

"تمثل خصوصية الطريقة المحدثة في ابتكار معانٍ لم تعرفها الشفوية الجاهلية، وتتمثل هذه الخصوصية كذلك في ابتكار لغة شعرية جديدة "(<sup>(1)</sup>).

ظهور الجديد على مستوى النص الشعري يجعل الآلة البلاغية تعيد النظر في معايرها وآلياتها التي سيستفيد منها العمل النقدي في التقييم بالجودة أو بالرداة .

لكن ابن المعتز(ت296هـ) يقف ليبين أن ما سمي جديداً ومحدثاً على مستوى اللغة والأسلوب قد سبق وجوده في كلام العرب والقرآن والحديث يقول : "قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشاراً ومسلاً وأبا نواس ومن تقليلهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثُر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سُمِّي بهذا الاسم فأعرب عنه ودلّ عليه "(<sup>(2)</sup>).

هذه المحاولة في رصد وجوه البديع واستخدامات اللغة في مستواها الأدبي حققت لابن المعتز سبقاً بلاغياً لكنها لم تؤثر على مستوى الحركة الشعرية الجديدة . الذي أحدهته .

---

<sup>(1)</sup> أدونيس، الشعرية العربية، دار الآداب بيروت لبنان، ط2، 1989، ص:43.

<sup>(2)</sup> عبد الله بن المعتز، البديع، تتح سمير شمس الدين، دار صادر بيروت لبنان، ط1، 2013، ص:17.

وليس من الغريب أن تقف الحركة الشعرية الجديدة وراء تطور الدرس البلاغي، فإذا اعتبرنا منجزات الشكلانيين بلاغة ترمي إلى وصف الخطاب مثلما يقول محمد مشبال : "فالدراسات الأسلوبية والشكلانية التي تبلورت في بداية القرن العشرين لا يمكن إخراجها من دائرة البلاغات المتشكّلة على مدى تاريخ الإنسانية"<sup>(١)</sup> ومثلما نعلم فإن منطلق الدراسات الشكلانية، كانت نصوص الحركة المستقبلية في الشعر، والتي اعتمدها الشكلانيون لدراسة، وتطبيق آلياتهم الجديدة، وهذا عينه ما حدث مع هذا العامل المهم في نشأة بلاغتنا العربية .

#### 5/ الوافد الأجنبي وفهم العرب للبلاغات الأخرى :

كانت حركة الترجمة التي ازدهرت في العصر العباسي، عاملاً مهماً في دخول كم معرفي بلاغي لا يستهان به إلى الدرس العربي، وقد أسهم هذا الوافد الجديد في معرفة جزئيات جديدة، ونجد على رأس الوافد البلاغة اليونانية والهنديّة، وللأولى الحظ الأوفر من التأثير، ويلاحظ حمادي صمود أن الدرس البلاغي العربي في نشأته، بين أواخر القرن الثاني الهجري، وأوائل القرن الرابع الهجري، صادف حركة نشطة للترجمة عن اليونانية "زد على ذلك أن الترجمة وقوعها على كتب لها علاقة مباشرة بمشاغل البلاغة وهما كتابا الخطابة والشعر لأرسسطو، وقد لقي هذان المؤلفان رواجاً كبيراً آنذاك وعكف العرب على ترجمتها وشرحها وتلخيصها".<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> محمد مشبال، البلاغة والأصول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2007، ص: 7.

<sup>(٢)</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، أساسه وتطوره إلى القرن السادس، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط3، 2010، ص: 59.

ونجد الأمر واضحا عند الشيخ الرئيس ابن سينا والفارابي، خاصة الأول الذي نجد عنده كتاب الشعر والخطابة يدخلان ضمن الموسوعة التي تضم معارف العصر وهو كتابه الشفاء أين يخصص جزءاً للخطابة والشعر .

أما ابن رشد(ت595هـ) فقد مثل تلخيصه للشعر والخطابة فهما عربياً خاصاً وحالياً لنظرية الشعر والمحاكاة عند أرسطو، وليس بالضرورة أن تكون مطابقة لما هو يوناني بل هي بعقلية عربية، حيث نقل المحاكاة من الفعل الدرامي التمثيلي إلى الفعل اللغوي على مستوى العبارة .

أما ما نراه من تأثير كتب اليونانيين في صنعة البلاغة والشعر فنجد أنه عند قدامه بن جعفر وحازم القرطاجي وقبلهما الجاحظ .

ففي البيان والتبيين نجد مواصفات الخطيب ومواصفات الخطبة والتعامل مع المستمعين مما يحيلنا على قضية الإيهطوسات عند أرسطو. <sup>(١)</sup>

وقضية الإقناع عند الجاحظ تختل مرکزاً مهماً في مشروعه، ولا نجد فرقاً كبيراً بين ما يعرضه الجاحظ مشتتاً حول إقناعية الخطيب وحجاجية قوله وأساليبه وبين ما يقوله بيريلمان وتبييكا حول مشروعه في الحجاج باعتباره : "مصنفنا لا يهتم سوى بالآليات الخطابية التي تنتج الإقناع في النفوس، ووحدها التقنيات التي تستخدم اللغة للإقناع والإقناع هي التي ستحظى بدراستنا" <sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين، تتح عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط 1، 2010، ص: 96.

Chaim perelman,Olbrechts-tytca,traite de l'argumentation,editin de l'université de bruxelles,5Ed,200,p:10

وهذا ما نلاحظه على ما جاء به الجاحظ عندما يتكلم عن مواصفات كلام الخطيب، ومراعاته للمقامات في لغته فلا يكلم الخاصة بكلام السوقه ولا العامة بكلام الخاصة، بل إن الجاحظ يتجاوز اللغة إلى المظاهر النفسية للمتكلقي والخطيب وكذلك المظاهر الخارجية والمحيطة بالخطباء .

وسنرى في قراءة العمري لمشروع الجاحظ الجوانب الجديدة ضمنه وسنحاول توسيع قراءة هذا المشروع بامتدادات أخرى .

ونجد قدامة بن جعفر يطبق الكليات النظرية الموجودة عند أرسطو على بلاغة الشعر العربي ويحاول حصر الجزئيات المكونة للنص الشعري وإرجاعها إلى مبادئ عامة يمكن تقسيمها يقول جابر عصفور في هذا الصدد : "إن قدامة ناقد شكلي يرد على الجمال في الشعر إلى ما ينطوي عليه الشعر من تجانس بين العناصر والأجزاء ، وهو يحاول - بالتركيز على الصياغة - تبرير قيمة الشعر؛ تلك القيمة التي ترتد إلى صورة القصيدة ، والتي لا يمكن أن تفهم منفصلاً عن عناصرها [...] ومن المؤكد أن قدامة كان يعرف أرسطو معرفة لا بأس بها ، فقد شرح بعض كتبه ، وتأثر به في نقه للشعر .

لقد علمه أرسطو أن أول خطوة في دراسة الشعر هي تحديد العناصر الأساسية المكونة له "<sup>(١)</sup>"

وأهم ما يطلبه قدامة هو الت المناسب ومواجهة المعنى للغرض المقصود مع مراعاة قاعدة التوسط للحفظ على الفضيلة ، وكل هذه الأفكار ذات منبع أرسطي ، وهدفه كان الوصول إلى علم يقضي على فوضى الأذواق .

---

<sup>(١)</sup> جابر عصفور، مفهوم الشعر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٥، 1995، ص: 101.

لا تبعد كثيرا اشغالات قدامة عن اشغالات حازم القرطاجني الذي أعلن انتهاء كتابه إلى علم البلاغة وأجزاء الكتاب توحى بالرغبة في بيان جزئيات القول البليغ خاصة منه الشعري بين ألفاظ ومعاني ومباني وأسلوب .

يقول حازم في معرض حديثه عن مقومات الشعر والخطابة : " ولو وجد هذا الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال، والاستدلالات واختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظاً ومعنى، وتحررهم في أصناف المعاني [...] لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية " <sup>(٥)</sup>

قوله هذا يثبت أن حازما اطلع على أرسطو في كتابيه الشعر والخطابة، والمنهج يعج بأدلة ذلك وحازم لم ينقل فقط، بل حاول أن يتجاوز النموذج الأرسطي، وذلك لوعيه بخصوصية النص العربي وخلفياته ومؤهلاته.

وبيدو أن كتاب حازم كان مخصصا للنظرية الشعرية عند العرب مع المحافظة على الكليات التي تجمع العمل الشعري، وقد حضرت الخطابة في الحديث عن الإقناع، وتداخل الأخير مع التخييل الشعري .

رأينا في هذا العنصر باختصار عوامل ساهمت في نشأة الاهتمام البلاغي وأطلقت العنوان لمشاريع بلاغية مؤسسة لها خلفيات ومقاصد واهتمامات تضعها ضمن نسق تأليفها، وسنرى من خلال قراءة العمري لهذه المشاريع البلاغية المتطرفة عن هذه الأصول والعوامل خلفياتها النظرية وألياتها والكليات النظرية التي تحكم إليها، وقراءتنا لمشروع العمري ستضيء جوانب هذه المشاريع من زاويتين :

---

<sup>(٥)</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلاغة وسراج الأدباء، تتح محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1981، ص: 69.

الأولى: متابعة تطور البلاغة العربية وتحولها إلى اتجاهات وامتدادات كبرى بعد أن رأينا أصولها وعوامل نشأتها .

الثانية: رصد الآليات المتبعة في قراءة الدرس البلاغي العربي في ضوء الدرس الجديد نظرياً وتطبيقياً .

وقد حاولنا التوسيع في نقاط وجدناها عند التوغل في مشروع العمري، لنصل هذه النتائج المتوصّل إليها ببرؤية العمري لامتدادات البلاغة العربية الكبرى، وسنعمل على التوسيع في الجزئيات التي نرى ضرورة هذا العمل فيها، أو الإشارة إلى المشاريع التي لم تحظ ببرؤية واضحة في مشروع العمري، كل هذا بالاستعانة باستراتيجيات الكشف الجديدة التي تتيحها البلاغة المعاصرة .

لنتقل ضمن مدخلنا هذا إلى عنصر يبحث في مفهوم البلاغة عند العرب وكيف تشكل وما مقاصده؟ بعد أن حاولنا رصد العوامل الكامنة وراء نشأة الاهتمام البلاغي باعتباره ملكة واسفة للخطاب بعد أن كان ملكة فطرية .

#### 4- مفهوم البلاغة بحث في المشترك وتبيّن للفرق بين الموروث والوافد الجديد:

إن تحديد مفهوم البلاغة خاصة بعد أن رأينا المسار الذي قطعه الوعي البلاغي باعتباره أولاً: ملكة فطرية وثانياً باعتباره ملكة صناعية مكتسبة، والعوامل التي ساهمت في نشأتها، لنرى الآن تصور العقل العربي لمفهوم البلاغة وكيف خرج هذا المصطلح وبدأ انتشاره والتحولات الطارئة عليه، والسؤال حول البلاغة يطرح دائماً

وأبداً وهذا نراه حتى عند رواد البلاغة الجديدة الذين يلحوذون عليه وما يفرضه هو سوء فهم هذا الميدان .<sup>(١)</sup>

سنستفيده من الرصد التاريخي الذي قدمه حمادي صمود حول ظهور مصطلح البلاغة العربية ومفهومها عبر خط تاريخي يبدأ من سنة 40 هـ، إذ يلاحظ صمود ورودها عن علي بن أبي طالب باعتبار البلاغة إفصاح قول عن حكمة مستغلقة وإبانة عن مشكل، ثم نجد المفهوم يتطور خاصة مع قول ابن المقفع بأنها كشف ما غمض من الحق وتصوير الحق في صورة الباطل، ومع قول خالد بن صفوان بأنها إصابة المعنى والقصد إلى الحجة<sup>(٢)</sup>، إذ نجد هنا البلاغة تتحول إلى مواصفات واقعة في القول، أو في القائل، مع توفر عنصر الإقناع وتوجيه الرأي .

ولابن المقفع (ت 145هـ)، كذلك قول في مفهوم البلاغة عنده إذ يذكره الجاحظ: "وقال إسحاق بن حسان بن قُوهِي: لم يفسّر البلاغة تفسير ابن المقفع أحد قطْ، سُئلَ ما البلاغة؟ قال: البلاغة اسم جامع لمعانٍ تجري في وجوه كثيرة، فمنها ما يكون في السُّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جواباً، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعراً، ومنها ما يكون سجعاً وخطباً، ومنها ما يكون رسائل، فعامة ما يكون من هذه الأبواب الوحي فيها، والإشارة إلى المعنى، والإيجاز، هو البلاغة"<sup>(٣)</sup>

---

<sup>(١)</sup> ينظر Kibedi Varga, Rhétorique et Littérature, Diddier paris , 1970, p:19.

<sup>(٢)</sup> ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط 3، 2000، ص ص: 101، 103.

<sup>(٣)</sup> الجاحظ، البيان والتبيين تح عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط 1، 2010، ص: 94.

هذه الملامح التي قدمها ابن المفع، والتي سنجده أبا هلال العسكري(ت395هـ) يشرحها، تعطي التصور الأول بوجود وجوه متعددة للبلاغة، وهذا ما سيستثمره البلاغيون في تعداد مشاريعهم وتنوعها، بين البيان اللغوي، وغير اللغوي وبين بلاغة الإقناع، وبلاغة الشعر، والأنواع الأدبية ... .

وورد قول للخليل بن أحمد(ت170هـ) في الرسالة العذراء لأبي اليس الشيباني(ت298هـ) حول البلاغة يقول فيها : "كل ما أدى إلى قضاء الحاجة فهو بلاغة، فإن استطعت أن يكون لفظك لمعناك طبقا، ولذلك الحال وفقا، وآخر كلامك لأوله مشابها، وموارده لمصادره موازنا، فافعل،"<sup>(١)</sup>

إن هذا النص يجعل من البلاغة ميداناً لдинامية التداول والاستعمال والمنفعة، ثم يخصصها بالفعل اللغوي والظروف المحيطة به ويختم الأمر بالفعل وكأنها إشارة إلى المتكلم والمتلقي بين الفعل والانفعال .

أما بشر بن المعتمر ووصيّته الموئّقة في بيان الجاحظ فإنّها قد حوت مسائل عديدة من البلاغة العربية، ولكننا لا نوافق من يطلق الحكم القائل بأنّه مؤسّس البلاغة العربية، فهذا الدرس الكبير لا يمكن أن يقوم بعبيه رجل واحد وعقل وحيد، إنّها هي تراكيمات معرفية تصل حدّ التّهام في مشاريع بعينها وتلتحقها أخرى تفنّذدها أو تنقدّها أو توسيّعها أمّا أن يبني علم من علوم الخطاب مكتّملاً بحدوده من لدن عقل واحد فهذا لا يشهد له تاريخ العلوم الحقيقي وليس الأحكام الجازافية الذّوقية .

---

<sup>(١)</sup> أبو اليس الشيباني، الرسالة العذراء في موازين البلاغة، تحقيق يوسف عبد الوهاب، دار الطلائع، القاهرة، 2005، ص: 83.

وإنّ وثيقة بشر أهم ما نجده فيها هو تركيزه على مسأله مطابقة الكلام للمقام الذي يقال فيه فيقول بشر عن المتكلّم : "أن يعرف أقدار المعاني ويوازن بينها وبين أقدار المستمعين، وبين أقدار الحالات فيجعل لكل طبقة من ذلك كلاماً ولكل حالة من ذلك مقاماً حتى يقسم أقدار الكلام على أقدار المعاني ويقسم أقدار المعاني على أقدار المقامات، وأقدار المستمعين على أقدار تلك الحالات "<sup>(١)</sup>

لا يمكن العبور على هذا النص عوراً صامتاً أو أن نعلق على مضمونه بتعليق شارح فقط، فهو يؤسس لجانب نظري مهم لبلاغة السّكاكى ومن جاء بعده، بل نجد بشرًا يؤسس لمدرسة بلاغية يمكن أن نسمّيها بلاغة التواصل والإفهام، ونجد عنده مصطلحات بلاغية تواصلية :

أقدار المعاني = طبقات ورتب المعاني من بساطة وعمق وغموض ...

أقدار المستمعين = مراتبهم وطبقاتهم بحسب اختصاصاتهم ومستوياتهم العلمية ...

أقدار الحالات = المواقف الكلامية من جدال ومدح وذمّ و...و..

ولكل مقام من هذه المقامات كلام يختص به، فإذا تحقق التطابق بين المقام (الذي يشمل الحال باعتباره ظروفًا مكانية وزمانيّة والسامع) والكلام بلغ المتكلّم غايتها من الإفهام وتلك البلاغة، وهذا ليس بعيداً عما تقرّره البلاغات الجديدة بما فيها بلاغة الحجاج، فمصطلح المستمَع (مكان + أشخاص)<sup>(٢)</sup> كما يعرضه محمد العمري هو ترجمة لمصطلح (auditoire) الذي يقسّمه شايمير بيرمان إلى نوعين خاص = auditoire وكوني = auditoire universel، وهي لا تبتعد كثيراً عن مقامات توجيهه

---

<sup>(١)</sup> الباحث، البيان والتبيين، ترجمة عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا ص 58.

<sup>(٢)</sup> ينظر محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص 220.

الخطاب عند بشر، فإذا وجّه المتكلّم خطابه لقضية أو نظرية أُسّس دعائهما علماء وعارضون فهذا خطاب موجّه لمستمع كوني وعندها تكون في عملية تيقين conviction ولسنا في إقناع خاص عادي <sup>(١)</sup>.persuasion

وليس بعيدا عن بشر نجد الجاحظ، الذي يدخل مرحلة التأثر بالوافد اليوناني، والاستفادة من التراث الفارسي (وإن لم يكن للفرس تأثير علمي على الحضارة العربية إلا من جانب الحياة الاجتماعية والسياسية) والغريب الهندي، ونجد نصه الشهير حول البلاغة الذي يقول فيه : "خَبَرْنِي أَبُو الزُّبِيرُ كَاتِبُ مُحَمَّدٍ بْنَ حَسَانٍ، وَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ أَبَانَ وَلَا أَدْرِي كَاتِبُ مَنْ كَانَ - قَالَ: قِيلَ لِلْفَارَسِيِّ: مَا الْبَلَاغَةُ؟ قَالَ: مَعْرِفَةُ الْفَصْلِ مِنَ الْوَصْلِ، وَقِيلَ لِلْيُونَانِيِّ: مَا الْبَلَاغَةُ؟ قَالَ: تَصْحِيحُ الْأَقْسَامِ، وَالْخَتِيارُ الْكَلَامُ، وَقِيلَ لِلرُّومِيِّ: مَا الْبَلَاغَةُ؟ قَالَ: حَسْنُ الْإِقْتَصَابِ عِنْدَ الْبَدَاهَةِ، وَالْغَزَارَةُ يَوْمَ الْإِطَالَةِ، وَقِيلَ لِلْهَنْدِيِّ: مَا الْبَلَاغَةُ؟ قَالَ: وُضُوحُ الدَّلَالَةِ، وَانْتِهَازُ الْفَرْصَةِ، وَحَسْنُ الْإِشَارَةِ، وَقَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْهَنْدِ: جِمَاعُ الْبَلَاغَةِ الْبَصَرُ بِالْحُجَّةِ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفَرْصَةِ، ثُمَّ قَالَ: وَمِنَ الْبَصَرِ بِالْحُجَّةِ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفَرْصَةِ، أَنْ تَدْعَ الْإِفْصَاحَ بِهَا إِلَى الْكَنَاءِ عَنْهَا، إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقَةً، وَرَبِّما كَانَ الْإِضْرَابُ عَنْهَا صَفْحًا أَبْلَغَ فِي الدَّرَكِ، وَأَحَقَّ بِالظَّفَرِ" <sup>(٢)</sup>

هنا نلاحظ أن الخبر ينقله الجاحظ عن غيره، مما يبين أن هذه المفاهيم دخلت إلى العقلية العربية، وتماشت مع ما يريده العرب المسلمين بالبلاغة، وستشترك هذه

<sup>(١)</sup> ينظر : الحسين بنو هاشم، نظرية الحاجاج عند شايم بيرمان، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2014، ص 14.

<sup>(٢)</sup> الجاحظ، البيان والتبيين تح عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط 1، 2010، ص 77.

المفاهيم الأجنبية في صياغة المشروع البلاغي العربي بين بلوغة ترکز على الجانب الاقناعي وأخرى تهتم بالجانب التخييلي، والأمر هنا ليس بعيداً عن البلوغة اليونانية التي يعرفها أرسطو في كتابه الخطابة قائلاً : "إذن فلنسلم بأن الخطابة هي قوة أو ملكرة نستطيع أن نكتشف بها على وجه نظري أو تأملي ما يمكن أن يكون شأنه الإقناع في كل حالة على حدة "<sup>(١)</sup> وهذا يفهم من خلال عنصر البصر بالحججة فهو تأمل في سبل الإقناع الممكنة والتي توصل المتلقى إلى الأخذ برأي الخطيب أو المناظر . وأخرى تسعى للاستهواء ، وبلوغة ترى أن مدار الأمر على التأثير الجمالي والاستهواه العاطفي .

من هذه المرحلة المهمة ، نرصد التحديدات الواقعة في تاريخ بلاغتنا العربية ، وهي تحديدات تسعى إلى الدقة ، والضبط على عكس السابق منها ؛ حيث نجد الرسم موسع ليضم غيره ، أو يضع القارئ على الخيار بين المفاهيم ، وسنرى مصطلحين آخرين يزاحمان البلوغة هما البيان والفصاحة .

إذا رجعنا إلى ما كتبه الرمانى (ت386هـ) حول إعجاز القرآن الكريم ، حيث بين وجه إعجازه من خلال بلوغه وحسن نظمه ، ويعرف البلوغة قائلاً : " وإنما البلوغة إيصال المعنى إلى النفس في أحسن صورة من اللفظ ." <sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> أرسطو ، الخطابة ، ترجمة : عبد القادر قنيني ، أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء المغرب ، 2013 ، ص: 15.

<sup>(٢)</sup> الرمانى ، النكت في إعجاز القرآن ، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، تحقيق محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام ، دار المعارف ، القاهرة ، ط6 ، ص: 76.

والرماني يضع قاعدة جليلة في تاريخ بلاغتنا الجليلة تتمثل في عناصر الموقف

البلاغي من :

- المعنى = مقاصد يحكمها الموقف الخطابي
- متكلّم = يوصل المعنى
- مخاطب = يصل إليه المعنى (النفس)
- الخطاب = اللفظ
- الأسلوب = أحسن صورة

ونلمح اهتماماً بالتلقى، وبالصورة التي يكون عليها الخطاب، فصورة اللفظ هي كساوه ولباسه الذي يقدم من خلاله، ليقوى القبول، والاستحسان، فيكون مقنعاً أو جاذباً محركاً للعواطف .

هذا التعريف الذي سنجد له يتكرر بعبارات مختلفة عند من سيأتي بعده، خاصة عند أبي هلال العسكري: "البلاغة كل ما تبلغ به المعنى قلب السامع فتمكنه في نفسه كتمكنه في نفسك مع صورة مقبولة ومعرض حسن"<sup>(١)</sup>

وال العسكري في الصناعتين شارح من طراز رفيع لكلام المحافظ في البيان والتبيين، بل نجده يشرح كلام ابن المقفع عن البلاغة، ويشير في شرحه لوجود بلاغة الصمت وببلاغة الإشارة، وكتاب الصناعتين يتتقاسم نسقان بلاغيان بين بلاغة الكتابة، وببلاغة الشعرية، وسيكون له محل في مشروع العمري، وسيوفي الكلام عليه باعتبار أنّ له مخطّات تتجلّى فيها ملامح بلاغة عامة .

---

<sup>(١)</sup> أبو هلال العسكري، الصناعتين، تحقيق علي محمد البحاوي وأبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا بيروت، 2013، ص: 16.

ثم فخر الدين الرازي(ت606هـ) حيث يذكر حد البلاغة في نهاية الإيجاز بقوله : "البلاغة بلوغ الرجل بعبارته كنه ما في قلبه مع الاحتراز عن الإيجاز المخل والإطالة المملة "<sup>(١)</sup> وليس من الغريب أن تقرن البلاغة بمهمة التواصل، وقد سبق وأن أشرنا لذلك في حديثنا عن مرحلة المعرفة الفطرية والتصاق جذرها اللغوي بالتواصل، وهذا ما يقرره كيبيدي فارغا kibedi varga إذ يقول موضحا التداخل الواقع بين ما هو تواصلي وما هو بلاغي قائلا : "في أساس كل بلاغة توجد رغبة الاتصال "<sup>(٢)</sup> وينقل تعريفات للبلاغة تجمع بين فن القول الجميل والجيد وبين الإقناع، والتقاطع بين الشعري والإقناعي التداوily معهود في بلاغتنا العربية وليس مثلما هو الحال عند الغرب، استدعاي الأمر منهم الجداول الطويل، ونصوصنا وأنساق بلاغتنا، وأكبر وأعظم خطاب وهو القرآن الكريم كلام ربنا يجسّد الجمع بين جمال الصورة وإقناعية الحجّة بل وبرهانيتها في موقع تستدعي البرهان اليقيني على طريق المناطقة .

لسنا نبحث عن وجوه التطابق بين البلاغتين، لكن الأمر يستدعي النظر، خاصة وأن البلاغة في أيامنا هذه، أصبحت منطلقا لرؤيه العالم، والإنسان، هذا الأخير الذي أعيد تعريفه باعتباره البلاغي ، فإنسانيته تتحقق ببلاغته، والإنسانية فيه أفق كلما اقترب من البلاغة أكثر كان قربه وعلاقته أمكن بالإنسان .

إذن، مفهوم البلاغة الجامع بين التواصل، وحسن صورة اللفظ، هو من بين المفاهيم التي سارت مع البلاغة، بالإضافة إلى وجود لفظ آخر، كان يسير إلى جانب

---

<sup>(١)</sup> فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق نصر الله حاجي مفتري أوغلي، دار صادر، بيروت لبنان، ط 1، 2004، ص: 31.

Kibedi Varga ,rhétorique et littérature , Diddier paris ,1970,p:20 <sup>(٢)</sup>

البلاغة، وهو الفصاحة؛ إذ نجد أبا هلال العسكري يفرق بين البلاغة والفصاحة قائلاً: "ومن الدليل على أن الفصاحة تتضمن اللفظ، والبلاغة تتناول المعنى أن البيغاء يسمى فصيحاً، ولا يسمى بليغاً، إذ هو مقيم الحروف وليس له قصد إلى المعنى الذي يؤديه"<sup>(١)</sup>

وهذا الأمر نجده كذلك عند ابن سنان الخفاجي في حديثه عن الفصاحة، أما الجرجاني فالأمر عنده مختلف، فالرجل يساوي بين هذه المصطلحات ويجعل مدارها على الكشف عنها في النفس وإعلام الآخرين بما يحول في خاطر المتكلم ويزيد معها البراعة، قائلاً: "تحقيق القول على البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، وكل ما شاكل ذلك مما يعبر به عن فضل بعض القائلين على بعض من حيث نطقوا وتكلموا، وأخبروا السامعين عن الأغراض والمقاصد، ورآموها أن يعلموهم ما في نفوسهم، ويكتشفوا لهم عن ضمائر قلوبهم، ومن المعلوم أن لا معنى لهذه العبارات وسائل ما يجري مجرىها مما يفرد فيه اللفظ بالمعنى والصفة، وينسب فيه الفضل والمزية إليه دون المعنى، غير وصف الكلام بحسن الدلالة وتمامها فيما له كانت دلالة، ثم تترجمها في صورة هي أبهى وأزين، وأنق وأعجج، وأحق بأن تستولي على هوى النفس، وتنال الحظ الأوفر من ميل القلوب، وأولى بأن تطلق لسان الحامد، وتطيل رغم الحاسد. ولا جهة لاستعمال هذه الخصال غير أن يؤتى المعنى من الجهة التي هي أصح لتأديته،

---

<sup>(١)</sup> أبو هلال العسكري، المرجع السابق، ص: 14.

ويختار له اللفظ الذي هو أخص به، وأكشف عنه وأتم له، وأخرى بأن يكسبه نبلاً،  
ويظهر فيه مزية.<sup>(١)</sup>

فالجرجاني يرفض كون الفصاحة لتألف الحروف أو تنافرها في اللفظ بل يجب  
النظر كذلك للنظم، وندرك من كلامه حقيقة الواقع الذي كان عليه الدرس البلاغي  
وقتئذ؛ إذ كانوا يقترون الفصاحة على اللفظ والبلاغة على اللفظ والمعنى معاً، أو  
الثاني دون الأول وهذا ما يأبه الجرجاني بل رأى أن الفصاحة والبلاغة مدارهما على  
النظم، وهذا ما جعله لا يعترض بالخطأ الفاصل بينهما، بل رأى أنه من الخطأ أن يوضع  
هذا الخطأ في التعامل مع إعجاز القرآن الكريم.

وللبيان والبلاغة قصة مغايرة في المغرب العربي، إذ إن ابن البناء المراكشي  
العدي (ت 721 هـ) يوضح بأن علم البيان أعم من البلاغة ومن البديع، هذا الأخير  
الذي يرجع إلى صناعة القول ودلالة على المعنى المقصود ويستند إلى علم البيان.<sup>(٢)</sup>

أما البلاغة عنده، فهي مخصوصة بالأغراض، والمقاصد التي يتوجه المتكلم  
تحقيقها، وإبلاغها للسامع، فيعرفها قائلاً : "البلاغة هي أن يعبر عن المعنى المطلوب  
عبارة يسهل بها حصوله في النفس متمنكاً من الغرض المقصود"<sup>(٣)</sup>

---

<sup>(١)</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تحقيق محمود محمد شاكر، مطبعة المدنى، ط 3، 1992،  
ص: 43.

<sup>(٢)</sup> ينظر: ابن البناء المراكشي، الروض المريع في صناعة البديع، تحقيق رضوان بنشرقيون، ط 1985،  
ص: 87.  
<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص: 87.

فتعريف ابن البناء للبلاغة، يذكّرنا بتعريف فخر الدين الرازي لها، فعنصر التعبير عن المطلوب حاضر عندهما، والمطلوب إشارة من ابن البناء إلى أن الكلام البلّيغ ليس لغوا إنّما يأتي حاجات في النفس يريد المتكلّم بإبلاغها، هو كلام ترجى منه الإلّا فادة، ويرجى من خلال هذا القول التأثير في الآخر، ويشرط لذلك أن يكون ملائماً للمخاطب الذي يُتوجّه نحوه بالكلام والعبارة، أما التمكّن من الغرض المقصود، فهو الأثر النهائى ، والتوجيه الذي يريد المتكلّم البلّيغ أن يصل إليه .

وإنّ نموذج ابن البناء المراكشي رحمة الله يعكس رؤية موسّعة لفعاليّات البلّاغة، فهي تهمّ بكافة أنواع القول من برهان وجدل وخطابة وحتى السفسطة والشعر، وإن كان قد أخرجهما عن مدار الحقيقة وابتغاء الحق، إلا أنّنا نلمّس في إشارته لكافّة أنواع الخطاب أنّ البلّاغة تمّ رواقها على كل هذه الخطابات، وإذا قرأتنا المصطلح البلّاغي عند ابن البناء نجدّه على غير شاكلة المشارقة فالرجل يرى للفصاحة بعين المشاكلة بين التداول الدلالي والصوقي اليسير، وإذا اجتمعت الفصاحة بالبلّاغة التي تهمّ بالمقاصد والمعاني تعين معرفة طبقات الكلام وهذه تتبع صناعة البديع التي تعطي القوانين الكلّيّة الضابطة لجزئياتها وتستند صناعة البديع إلى علم البيان وهو أمر فطري يتمّ التنبيه عليه، فهو يهتم بالدلالة والدليل في اللغة وغيرها من الأسواق التوأصلية، فابن البناء يخرج الاهتمام البلّاغي من نسق اللغة ليملّح ويشير إلى اهتمامه كذلك بالأسواق غير اللغويّة، وهذا أثر من آراء الجاحظ، وكذلك حسن فهمه للأسواق الثقافية الإغريقية الواقفة وكذلك للعلوم الهرمسية التي اشتهر بها أمثال ابن البناء في عصره .

"وتكمّن أهميّة هذه البلّاغة البناء في الخروج عن التقسيم الذي سنته البلّاغة المدرسيّة، وكذلك في عدم حصر البديع في المحسّنات (اللفظيّة أو المعنوّيّة)، بل الرجوع

به إلى دلالته الأولى عند العرب، حيث البديع هو البلاغة عموماً<sup>(١)</sup>، فالبديع هو أوجه الكلام، وأفناه وأساليبه التي درج العرب على استعمالها للتعبير عن معانيهم، حيث يكون المعنى للفظ موافقاً للمعنى، والمعنى مواجهاً للغرض المقصود.

وفي حديثنا عن المقاصد، يستدعي الأمر الحديث عن المقام الذي تحدد من خلاله هذه المقاصد، وهنا تحضرنا تعريفات السكاكي (ت622هـ) والقرزوني (739هـ)، يذكر السكاكي تعريفاً للبلاغة يقول فيه: "البلاغة هي بلوغ المنكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص بتوفيق خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها، ولها أعني البلاغة طرفاً أعلى وأسفل متبابنان تبايناً لا يتراهى له ناراً هما وبينهما مراتب تقاد تفوت الحصر متفاوتة، فمن الأسف تبتدىء البلاغة وهو القدر الذي إذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بما شبهناه به في صدر الكتاب من أصوات الحيوانات ثم تأخذ في التزايد متضاعدة على أن تبلغ حد الإعجاز وهو الطرف الأعلى وما يقرب منه. واعلم أن شأن الإعجاز عجيب يدرك ولا يمكن وصفه كاستقامة الوزن يدرك ولا يمكن وصفها وكالملاحة، ومدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العلمين"<sup>(٢)</sup>

والسكاكي خلص إلى هذه التبيّنة، بعد كلامه عن العلوم الأدبية التي أسس مشروعه عليها، وهذا ما سناه في قراءة العمري للسكاكي، فالبلاغة عنده ملكرة تمكّن

<sup>(١)</sup> عمر أو كان، اللغة والخطاب، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة مصر، ط١، 2011م، ص: 196.

<sup>(٢)</sup> أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ص: 526.

المتكلم من تأدية المعاني، وطرق أساليب متعددة وأوجهها تخدمه في بلوغ مقاصده، ثم يحول اتجاهه إلى طرف البلاغة بين الإبانة والإفهام، وبين بلوغ حد الإعجاز الذي لا يكشف عنه إلا بخدمة هذين العلمين (التركيب والبلاغة).

أما صاحب الإيضاح، فقد اتخذ مسلكاً تداولياً في تحديد معنى البلاغة، وربطها بالسياق والظروف المقامية التي ترافق إنجاز القول أو الفعل الكلامي قائلاً في تعريفها ما نصه: "أما بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"<sup>(١)</sup>

وقد قسم القزويني البلاغة إلى وصف للكلام ؛ أي للنص ثم للمتكلم ؛ أي للمنشئ، وقد كان لرؤيه القزويني ميزات، تخدم الدرس البلاغي، لو أحسن من جاء بعده استثمارها، وقراءتها وتوسيعها، خاصة كلامه عن المقام، والمقاصد، والأغراض التي تؤديها العبارة البلاغية إمتحاناً وإنقاضاً، ولذلك ينبغي العودة للقزويني لقراءته في ضوء معطيات السكاكبي، فلأنه يستطيع أن ندرس بلاغة التلخيص والإيضاح وما جاء بعده عند التفتازاني والأخضري إلا بعد أن نقف على عمل السكاكبي الذي أراد بناء بلاغة أدبية تهتم بالخطابي / الحجاجي وبالشعري / التخييلي، ومدارسنا وثانوياتنا ما زالت تدرس الأساليب البلاغية بعيداً عن أنساقها وسيرها، بل وتتجاهل تأثيرها، ونجد البلاغة في عصرنا أصبحت قوالب معادة لا تبني متكلماً بلлагаً، وأصبحت مستبعدة عن تحليل أجناس خطابية كثيرة أهمّها السرد، نريد للبلاغة العربية أن تعود لسابق عهدها لتتربي على عرش التحليل والتفسير، ليعود النقد إلى مهامه المنوط بها ونجد البلاغة ميادينها الشاملة تداولًا وأدبًا، فالبلاغة ليست للتزيين والتنميق فقط،

---

<sup>(١)</sup> جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط١، 2003، ص 20.

وليست خاصة بالخطاب الجميل، بل تتعداه للخطاب العلمي كذلك فـإدام مطابقاً لمقاصد صاحبه ومفهوماً عند المتلقّي فهو كذلك يستحق نصيبيه من البلاغة .

لنصيل إلى الرؤية الشاملة مع حازم القرطاجني، في حديثه عن البلاغة؛ باعتبارها علماً كلياً يهتم بها هو تخيلي وتداوي شعري، ثم يتقطع كلاً السبيلين ليستفيد كل من الآخر، وهنا نصبح في صميم النظرية الحجاجية المعاصرة التي تبحث عما هو حجاجي إقناعي، ضمن النص الشعري التخييلي.<sup>(١)</sup>

فكثيراً ما نجد نصوصاً شعرية تحمل في طياتها مقاصد حجاجية، فنجد النقائض ذات صبغة حجاجية بحثة، فمقصدها إقناع السامع بعيوب المهجو، وكذلك نجد في شعر الطوائف السياسية في العصر الأموي، فالمهاشميات للكميٰت بن زيد الأُسدي ليست إلا دفاعاً وحجاجاً عن موقف سياسي في قلب جمالي شعري، هنا يتولّ الشاعر بالتخيل للإقناع، ونجد في الخطابة وهي محلّ الحجاج ومركته، نجد فيها التخييل الشعري بغية الاستهواء والجذب والتأثير، ولكن ينبغي ألا يتتجاوز الشعري الجمالي المقصد الحجاجي الإقناعي وإلا تحولت إلى بلاغة تزيينية كما حصل في العهد الروماني للبلاغة الغربية مع "الفيلسوف والمخطيب اليوناني كاسيوس لونجينوس الذي عاش في ظل الحكم الروماني وكانت وفاته سنة 273م ولقد أنجز هذا في كتابه رسالة في التسامي"<sup>(٢)</sup>، فحضور المكوّن الجمالي ليس

---

<sup>(١)</sup> ينظر : حازم القرطاجني، منهاج البلاغة وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط2، 1981، ص: 226.

<sup>(٢)</sup> محمد الولي، مقدمة ترجمته للاستعارة الحية، بول ريكور، دار الكتاب الجديد، ص: 10.

مُدعاة لخروج جنس الخطابة الإقناعي إلى غايات شعرية صرفة بل لغايات تمتد إلى  
الحجاج العاطفي، بعد إحكام أجزاء الجدل في الخطاب .

يقول حازم القرطاجني رحمه الله : "قد تقدم الكلام في أن التخييل هو قوام  
المعاني الخطابية . واستعمال الإقناعات في الأقوال الشعريّة سائع، إذا كان ذلك على  
جهة الإلماع في الموضع بعد الموضع . كما أن التخييل سائع استعمالها في الأقوال  
الخطابية في الموضع بعد الموضع "<sup>(١)</sup>

ويشير حازم رحمه الله إلى أن استعمال الشعري في الخطابي أو العكس سائع أي  
مسموح ويستساغ يكون مستحسننا لكن في الموضع بعد الموضع، ولا يجب أن يطغى  
الخطابي على الشعري فيغدو الشعر إعلانا سياسيا أو دعائية، ولا تتحول الخطب إلى  
مقامات شعرية وقصائد يزداد لها الوزن فتقوم على شعريتها .

ويقول حازم رحمه الله مبينا العلة من وراء هذه الاستخدامات المستساغة: "إنما  
ساغ لكليهما أن يستعمل يسيرا فيها تنتقّم به الأخرى، لأن الغرض في الصناعتين  
واحد، وهو إعمال الحيلة في إلقاء الكلام من النفوس بمحل القبول لتأثير مقتضاه،  
فكانت الصناعتان متآخين لأجل اتفاق المقصد والغرض فيهما ".<sup>(٢)</sup>

مُقصد الكلام المقنع والتخييلي واحد وهو التأثير ولهذا جاء تعريف البلاغة بأنّها علم  
الخطاب الاحتمالي المؤثّر تخييلا وإقناعا، إنّ الآخر مبتغى كل من الشعر والخطابة، وأيّ  
اتجاه بلاغي يتبعي هذا الأمر، وفي البلاغة العربية اتجاهات شعرية الاهتمام لكن أولت  
عناية بالأجزاء الإقناعية لعلم أصحابها بمسألة التأثير، ونجد اتجاهات خطابية لم

---

<sup>(١)</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلاغة وسراج الأدباء، ص : 361.

<sup>(٢)</sup> المرجع السابق : ص : 361.

تستبعد الجوانب الجمالية الشعرية لعلمها يقيناً بأنّ الشعري كذلك يدخل في مركزية التأثير، ويشير حازم إلى إمكانية هذا التناقض ولكن باحترام العمدة في كل خطاب، وهنا يأتي خطاب حازم ليتلامس مع خطاب البلاغيين الغرب الجدد الباحثين حول البلاغة العامة La Rhétorique Générale ؛ بين من يرى مشروعية قيامها وبين من يعارض ذلك، ويبدو أنّ البلاغيين العرب بنوا درسهم على إمكانية قيامها بل ومارسوها في أولى خطواتهم البلاغية من لدن الجاحظ ومن جاء بعده، ويقول الفرنسي Olivier Reboule: "هل ينبغي علينا الاختيار بين بلاغة حجاجية وبين بلاغة أسلوبية؟ أم هل يمكن وضعهما جنبا إلى جنب؟ نحن نتبين حلاً ثالثاً ونبحث عن جوهر البلاغة ليس في الأسلوب وحده ولا في الحجاج لوحده ولكن في منطقة تناقضهما، والبلاغة بالنسبة لنا تمثل كل خطاب يجمع الحجاج مع الأسلوب "<sup>(١)</sup>

هذا ليس جديداً على بلاغتنا العربية، بل تتجاوز البلاغة العربية آفاق البلاغة الغربية وحدود تصورياتها لأنّنا لم نكشف بعد عن بلاغة التفسير وبلاطجة التلقّي والاختيارات الشعرية، وكذلك بлагة التأويل، إنّ درستنا البلاغي يجمع الشعري والخطابي، ليس هذا فقط، بل يفتح المجال للنسق غير اللساني ليدخل في نطاق البلاغة وحيزها من خلال مشاريع الجاحظ وابن وهب، وكذلك تضع البلاغة العربية المتنقلي في أرفع مقام، وكذلك تجعل للنص مكانة بتخصيص آليات لبنائه وتحليله وهذا ما نجده ماثلاً عند المهتمين بالتفسير والشرح .

---

Olivier reboule : La rhétorique , que sais je ? puf ; paris p 32 <sup>(١)</sup>

ثم نجد اهتمام القرطاجي بمفهوم التنااسب بين المسموعات والمفهومات، وأن طرق معرفة هذا التنااسب هو العلم الكلي المعبر عنه بالبلاغة، يقول حازم : " ومعرفة طرق التنااسب في المسموعات والمفهومات لا يوصل إليه بشيء من علوم اللسان إلا بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة الذي تدرج تحت تفاصيل كلياته ضروب التنااسب والوضع "<sup>(١)</sup>

فالتناسب بين أجزاء القول الشعري ومدلولاته علة الاستحسان، والعلم الذي يضبط هذا الأمر هو علم البلاغة، وسنقف مع حازم القرطاجي ونستعرض قراءة العمري له، ومحاولته الجريئة المتمثلة في إثبات الصواب من كتابه.

هذه إطلاالة بسيطة للغاية على منجز ورؤيه حازم للبلاغة ندرك من خلالهاوعي البلاغيين العرب بأهمية دراسة الإقناعي والتخيلي جنبا إلى جنب .

#### إشارة في الرّد على مختار نويوات :

وإنّا لنتعجب من دراسات تجعل من البلاغة العربية ذات بعد تزييني كما فعل مختار نويوات في سابقة يندى الجبين لها أمام دراسات تكشف عن الجوانب الحجاجية في البلاغة العربية وأخرى تكشف عن البلاغة العامة فيها، وهذا الدّارس قدّم عملاً مقارناً بين البلاغتين العربية والفرنسية معتبراً الثانية بلاغة معاصرة، لأنّه مدّى صحة هذا الزعم ، والعمل الذي قدّمه يستحق التنويه من الوجهة المقارنة ويساهم في فهم المشترك والمتميّز في بلاغتنا العربية لكنّ حكمه على الدّرس البلاغي العربي بأنه ذو غاية جمالية فقط لا يعضده الدليل العلمي الحقيقي الناشئ عن التقييب والبحث الجاد

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه : ص: 226.

إذ نجده يقول : " وغلبت على البلاغة العربية نظرية الفن للفن " (١) أين وجد ذلك ؟ هل في كتب المتأخرین والبلاغة الواضحة وبلاحة المستوى الثانوي أم أنه أساء قراءة البديعيات ولم يضعها في نسقها الصحيح وسياقها الذي تولّدت منه ؟ وما يزيد الأمر غرابة أنه يدرك أنَّ البلاغة العربية مصدرها من القرآن الكريم والحديث الشريف، ويصرُّ على جعلها لغاية فنٍّ لا غير، وكأنَّ مصادرها كذلك كانت هذه الغاية، والدراسات تشهد أنَّ أسمى أنواع الحجاج وجدت في القرآن الكريم، ونجد عند مختار نويولات تلميحاً إلى أنَّ البلاغة العربية لم تبن على النص كاملاً إنما بنت قواعدها على اجتزاء بيت أو بيتين وذلك في قوله : " وشواهد الآية الكريمة والحديث النبوي الشريف والبيت الشعري أو البيتان يقوله الشاعر فيبهر الأسماع " (٢) وهذا تعليم لبلاغة المتأخرین على كل البلاغة العربية، فهذا الدارس (مع احترامنا لمقامه العلمي) لم ينظر إلى مختلف الاتجاهات البلاغية ومدارسها، بل وجّه اهتمامه نحو بلاغة التلخيص وما جاء بعدها من شروح وأخذ البديع ومصنفاته بعيداً عن أصوله التي يجب أن يقرأ فيها، ومارس حكماً قاسياً جداً على البلاغة العربية التي يجتمع فيها الإقناعي والتخيلي والتأويلي وكذلك السرد والتلقّي، والدراسات لازالت تكشف عن ما كمن في هذه الجليلة التي مكّنت العقل العربي من الفهم والإفهام .

أمّير مختار نويولات في شروح الشعر ؟ هل غابت عنه البلاغة فيها ؟ خاصة إذا كان لا يعتبر البلاغة إلا علوماً ثلاثة تشبه ثلاثاً مرحًا أصبح لا يستجيب في كثير من الأحيان لمطالبات تحليل الخطاب ؟ أمّ ينظر في شواهد العلوي صاحب الطراز كيف يختار نصوصاً شعرية وخطباً ؟ وأمّير كذلك تمثيل حازم بمقاطع كاملة تحوي ما هو

(١) مختار نويولات، البلاغة العربية في ضوء البلاغات المعاصرة، دار هومة، الجزائر 2013، ص 18.

(٢) المرجع نفسه، ص 18 .

سردي في منهاجه؟ ولا نذهب بعيداً ونحو نجد في اهتمام المفسّرين بلاغياً بالتناسب بين آيات القرآن الكريم وبين السّور القرآنية وهذا البقاعي في كتابه الجليل "نظم الدرر في تناسب الآيات وال سور" وجوهر عمله في البلاغة وهي بلاغة نصية تهتم بتناسب الخطاب الكامل، وليس بعيداً عنا عند الغرب اعتبروا علم النص وريثاً للبلاغة وهو الذي يهتم بتناسب النص وانسجامه ومقصديته، ونجد الشراح من أمثل الإفراني الذي قدّم عملاً بلاغياً راقياً في شرحه لموشح ابن سهل الأندلسي، كذلك ألم ينظر في عمل ابن مقلاد الوهارني في شرحه للبردة البوصيرية كيف يتكلّم عن التداخل النصي بين البردة والسياق الأدبي العام؟ هذه جوانب من درسنا البلاغي غطّت عليها المدرسيّات الضّحلة التي يدرّسها أساتذة عربية لا يدركون ما يصنع بها تلاميذهم ولا ما يصنعون هم بها ضعف الطالب والمطلوب، إنّ بلاغتنا للفهم والإفهام لفهم كلام المولى عزّ وجلّ وإحسان العمل به.

إنّ مصطلح "البلاغة العربية" ليس حكراً على بلاغة التلخيص وما جاء بعدها من شروح، ولا يقصد بها فقط علوماً ثلاثة (معاني / بيان / بديع) وإذا أطلقناه نحن نريد به إمبراطورية تجمع دراسة الخطاب والمتلقي والسياق و...، وكذلك عندما يطلق اسم البديع لا يتبادر إلى ذهن القارئ الذكي الوعي محسّنات للتزيين بل البديع نسق بلاغي له مدرسته وأهدافه وتطبيقاته، إنّما انتكست أعلامه مع فهم ضيق من طرف المعاصرين الذين قاسوه على بلاغة المحسنات الغربية، وهذا حكم قاس على درس بديع كدرس البديع .

إنّ البلاغة العربية عندما يتشدّق أيّ دارس للحديث عنها يجب أن يحدد مقصوده منها : هل يقصد بها البلاغة المدرسيّة التي سطّحت العقول وذلك بسوء فهمهم لها واجتزأها من أدبيّتها وإنقاوميّتها ؟ أم يقصد بها البلاغة بأساقها المختلفة التي تهتم بالحجاج والشعر والتلقي والتأنويل والسرد وهذا المبتغى الثاني هو الذي رست عليه

البلاغة العربية الحقة، ونجد العقل العربي لم يخرج من البلاغة إلا لاما لأتها عدمة تحليل الخطاب، وما الفقه إلا تحليل للخطاب وكذلك التفسير والأصول وما شئت من علوم المسلمين الشرعية ولذلك يصبح الأستاذ الجليل الدكتور محمد محمد أبو موسى أستاذ ورئيس قسم البلاغة بجامعة الأزهر وهو يحدّر من مغبة إقصاء العلوم العربية في فهم ديننا وتحليل أدبنا قائلاً : " ذكرت الفقه والتفسير والنحو والحديث .. ولم أتكلّم عن الشعر ... إنما أتكلّم عن علوم هي عند الناس بعيدة عنه، وفي الحقيقة هي مغمومة فيه، ولو أنك قلت إنّ العلوم العربية والإسلامية قائمة على تحليل النص ، لم تكن خطئاً ... أمّا علم البلاغة فإنه أدخل كل هذه العلوم في هذا الباب لأنّ طلبه في النص " <sup>(١)</sup>

إذن تحديد مفهوم البلاغة ورصد العوامل التي أسهمت في نشأة الدرس البلاغي العربي والبحث عن جذوره الأولية يخدم قراءتنا للمشاريع البلاغية الجديدة التي تحمل عباء إعادة قراءة الموروث القديم وتدعميه وتطوирه ليقوم بهمّة تحليل الخطاب بعد أن طغت على هذا الميدان مناهج متضاربة لم تقدم إجابة شافية ومشروع العمرى يوضح العديد من النقاط التي ستصادفها ويبرر اختيارات مشروعه، وسعينا من خلال هذا المدخل إلى استنطاق ما رأينا خافيا في درسنا البلاغي ووضعه مشروع العمرى باعتباره أساساً يبني عليه نتائجه، ويتوسّع نطاق امتداداته واهتماماته لينظر في منجزات الآخر وعلى ضوئها يصوغ مباحثه.

فالمدخل يعكس رؤيتنا الخاصة لمسائل النشأة والأصول ويعزز دراستنا المشروع العمرى، ويضعنا على الطريق لنقارب منهجه والنسق الذي اعتمد عليه .

---

<sup>(١)</sup> محمد محمد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، مكتبة وهبة، ط٤، 2012م، ص: 14 .

## **الفصل الأول**

### **مفهوم البلاغة وخلفيات القراءة في مشروع العمري**

1-المشروع البلاغي الجديد، الرحلة والمقاصد:

أ/ تحقيق في معنى المشروع .

ب/ مفهوم البلاغة والبلاغة العامة مساءلات القديم والجديد .

ج/ مراحل مشروع العمري .

د/ مقاصد المشروع .

2-مرتكزات المشروع ومقوماته :

أ/ البحث من الداخل وتوسيع شبكة العلاقات .

ب/ البحث في الخارج .

3-خلفيات القراءة ووجهاتها وسؤال المنهج :

أ/ خلفيات غربية :

أولاً: بنوية

ثانياً: تداولية / حجاجية

ثالثاً: نظرية القراءة

ب/ خلفيات عربية .

لا نستطيع الخوض في إحدى أهم قراءات البلاغة العربية في ضوء الدرس  
الجديد، دون التساؤل عن مفهوم البلاغة عند محمد العمري<sup>(١)</sup>.

وإن السؤال عن ماهية البلاغة، يتكرر مع كل مشروع، ومع كل بلاغة، لأن مكونات الدرس البلاغي وموجهاته واتجاهاته تفرض مفهوماً متغيراً من مشروع آخر، لأن في المفهوم كثيراً ما تحدد المنطلقات، والخلفيات النظرية، والمقاصد ولهذا يتحتم علينا التساؤل: ما مفهوم البلاغة عند العمري؟ وما هي الخلفيات التي تقف وراء تعامله مع التراث البلاغي العربي؟ وما المقاصد التي يريد تحقيقها؟.

وإذا تبعنا رحلة العمري بлагايا سنجد البداية مع عمله الموسوم بـ "في بلاغة الخطاب الإنقاعي"، الذي كان ثمرة ونتيجة للاحتكاك بالوافد الغربي وعمل العمري

---

<sup>(١)</sup> محمد بن عبد الله بن حمود العمري، من مواليد سنة 1945 بمقرية الحارة على ضفاف وادي درعة جنوب المغرب، تعلم القراءة والكتابة وحفظ القرآن وبعض المتنون على يد والده بمقرية الحارة، وعند استقلال المغرب التحق بالمعهد الإسلامي بمدينة تارودانت (معهد محمد الخامس حالياً) حصل من المعهد المذكور (من سنة 1958 إلى سنة 1968) على الشهادة الإبتدائية والثانوية والبكالوريا الأصلية بميزة حسن، في سنة 1968 التحق بجامعة محمد الخامس حيث حصل على الإجازة في الأدب العربي بأربع ميزات، واشتغل بالتدريس في المدارس الثانوية من 1972 إلى 1981 متابعاً تكوينه الجامعي بموازاة التدريس، وفي سنة 1989 ناقش أطروحة دكتوراه دولة بعد دبلوم الدراسات العليا، وترقي في مناصب التدريس بالتعليم العالي، وخرج من المغرب إلى جامعة الملك سعود أستاذًا للنقد والبلاغة، تقاعد مبكراً في إطار المغادرة الطوعية ابتداءً من أوت 2005م، له عدة أعمال بلاغية ونقدية أهمها: بلاغة الخطاب الإنقاعي، تحليل الخطاب الشعري البنية الصوتية، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، وترجم البلاغة والأسلوبية لهنريش بليت، وعديد الأعمال والمقالات، يعتبر العمري حالياً أحد أقطاب الدراسات البلاغية المعاصرة في العالم العربي بمشروعه (البلاغة العامة) أو قراءة البلاغة العربية في ضوء المعطيات البلاغية الجديدة.

في ترجمة بنية اللغة الشعرية مع محمد الولي<sup>(١)</sup>، والمطالع لكتابه هذا يجد رؤية جديدة لفن الخطابة العربية وتجديدا للرؤبة النظرية البلاغية المؤطرة لها، وكذلك نوعاً جديداً للتحليل والآياته.

ثم توجه اهتمام العمري نحو الخطاب الشعري، الذي بدأ معه في مشروع إعادة صياغة البلاغة العربية انطلاقاً من تصور لساني، في كتابه :

- تحليل الخطاب الشعري : البنية الصوتية .<sup>(٢)</sup>

- اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم .

- موازنات الصوتية في الرؤبة البلاغية .<sup>(٣)</sup>

وكانت هناك أعمال تسير بالموازاة مع الاهتمام البلاغي كتحقيق التراث والترجمة والإشراف على الدوريات المختصة في تحليل الخطاب، ثم ظهر العمل الذي بين من خلاله العمري نظرته للبلاغة العربية وهو كتابه : "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها"<sup>(٤)</sup>، والذي ستنخرط به عمادة دراسة قراءة العمري للبلاغة العربية في ضوء معطيات الدرس الجديد، وما سيأتي بعده من مؤلفات كـ: البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، وكتبه الأخير : أسئلة البلاغة لا تعدو أن تكون رؤية مكملة أو

---

<sup>(١)</sup> ينظر: www.medelomeri.net

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، تحليل الخطاب الشعري، البنية الصوتية، الدار العالمية، الدار البيضاء المغرب، 1990م.

<sup>(٣)</sup> محمد العمري، موازنات الصوتية في الرؤبة البلاغية، دراسات سال، الدار البيضاء، 1991م.

<sup>(٤)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفرقيا الشرق، المغرب، ط2، 2010م

شارحة لما وضعيه في البلاغة العربية أصوتها وامتداداتها، لكنها ذات أهمية في تناول مشروعه ومعرفة دقائقه.

ونحن إذ نقف على أعمال العمري، نسعى لاستكشاف وجه البلاغة العربية كما ترأت في مرآة الدرس الجديد، بعد أن حاولنا توضيح الرؤية فيها يخص أصوتها، فقراءتنا ذات بعدين: مباشر يسعى للبحث في أصول البلاغة العربية مستعيناً بمعطيات الدرس الجديد، وغير مباشر يتلمس معالج البلاغة وطرق البحث فيها وعنها من خلال المشاريع المعاصرة ومن بينها المشروع العلمي لـ محمد العمري.

## ١- المشروع البلاغي الجديد، الرحلة والمقاصد :

### أ/ تحقيق في معنى المشروع :

إن كلمة مشروع تحمل معاني التخطيط والتحقيق وتوحي بمفهوم التكامل والتناسق خاصة إذا ما تعلق الأمر بمشروع فكري، فأعمال مفكر ما تكتسي صفة المشروع، إذا كانت بينة الأهداف تحقق التواصل بين الأعمال التي ينجزها وتسير أعماله ضمن مقصد واحد، وإن تعددت طرقه الفرعية التي ترجع دائماً إلى هذا الأصل الموحد.

فالمشروع "يعني تصوراً نظرياً لعمل قابل للإنجاز"<sup>(١)</sup>، وهذا ما ينطبق على عمل العمري، فالرجل يقدم منذ البواكيير الأولى تصوراً نظرياً لما يتصور عليه البلاغة، ويدعمه بالجانب التطبيقي والإنجازي، ونجد عنصر النسق والتواصل موجوداً بحيث لا يمكن أن يصنف عملاً من أعمال العمري خارج نطاق مشروعه البلاغي،

---

<sup>(١)</sup> محمد اليملاحي، *أسئلة الفكر البلاغي في المغرب*، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط، ط١، 2014، ص: 249.

حتى تحقيقه للسلوك السهل في شرح توشيح ابن سهل للإفرازي، فإن الرجل يرجعه إلى عمل بلاطي يرصده ضمن بلاحة النص التي تهتم بجزئيات التواصل والتماسك النصي وتركز على وحدة النص الكامل دون اجزاء أو قطع للأوصال الجامدة للنص الواحد.

وأعمال العمري تأتي في نسق واحد، حتى أعماله في تحليل الخطاب السياسي تندرج ضمن الرؤية البلاغية الموسعة، وهذا الأمر سينعكس على رؤيتنا لمشروع الرجل، فلا يمكن أخذ عمل من أعماله بعزلة عن سابقه أو لاحقه، أو حتى بعيداً عن النسق الذي يعمل عليه الرجل، أو المقاصد التي وضعها لمنجزاته.

وتركيزنا على مفهوم المشروع وعنصر التواصل فيه والمقصدية الموحدة، يضعنا أمام نقطة مهمة وهي عدم الخلط بين آراء صاحب المشروع وآراء غيره في موضوع قد يشتر� فيه معه، لأن العمري باعتباره صاحب مشروع ستكون نظرته موجهة في إطار الخلافات والمنطلقات التي وضعها والمقاصد التي حددتها.

#### ب/ مفهوم البلاغة والبلاغة العامة، مساءلات القديم والجديد :

اهتم العمري بتحديد مفهوم البلاغة وعرض لهذا الأمر في العديد من الموضع في مؤلفاته، فالبلاغة مفهوم تاريني يتغير بحسب الثقافات والحقب سواء في الثقافة العربية الإسلامية أو الغربية القديمة والحديثة<sup>(١)</sup>، لكنه بعض طوافه بالنظريات

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، أفرقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط 1 2013، ص 11.

الغربية والتراث العربي يقول:<sup>(١)</sup> "أما بعد هذه التمهيدات، فمن حق من درس في جامعاتنا، من المحيط إلى الخليج، أن يسألني الآن: عن أي بلاغة تتحدث؟"

هذا السؤال الذي رأى العمري أنه من الضروري أن يكون حاضراً في الدراسات العربية لأنّه محرك البحث الذي دفع الدراسات الغربية إلى البحث عن بلاغات متنوعة ومنه تطوير درسهم النّقدي.

ويجيب العمري عن هذا التساؤل مقسماً البلاغة إلى كفاءة تعبيرية لأنّ الكلام البليغ هو الكلام الفعال المعجب، وإلى العلم الذي يصف هذه الكفاءة وهذا الحسن، ويوضح بأنّ تركيزه سيكون على المعنى الثاني مع عدم تغيب الأول، ليصل في الأخير إلى قوله: "ومن هنا نقول :البلاغة هي علم الخطاب المؤثر القائم على الاحتمال"<sup>(٢)</sup>

والخطاب المؤثر القائم على الاحتمال يتوزع عبر نوعين :

1- الخطاب التداولي الحجاجي .

2- الخطاب التخييلي الشعري .

لكن أليس من الضروري التساؤل عن الخلافية المرجعية التي حدد من خلالها العمري مفهوم البلاغة ؟ ألم يتأثر تحديده هذا بالخلافية الأرسطية ؟ وبلاعة الحجاج ؟ وما محل التراث العربي في المفهوم الذي قدمه للبلاغة ؟

ألا نلاحظ بأن المفهوم الذي قدمه العمري يرمي إلى بناء بلاغة مغايرة للتصور القديم ؟ إذا كان الأمر كذلك، فما هو التصور الذي يربد العمري ترسيخته ؟ في دراسة

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه :ص 17

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه :ص 18

متاخرة منشورة له في كتاب مشترك أعده محمد مشبال بوضح العمري أن البلاغة التي يرمي إليها هي بلاغة عامة تؤسس موقعها بدراسة كلا النوعين من الخطاب : التداوily والشعري، ويناقش من خلاله عرضه هذا مسألة البلاغة والخطابة بين الوجهين : العربية والغربية ؛ موضحا بأن مفهوم (rhétorique) عند الغربيين حديثا يطابق الرؤية العربية التراثية التي ترى بأن البلاغة هي بلاغة عامة تتناول جميع الخطابات، والبلاغات الخاصة بكل خطاب .<sup>(١)</sup>

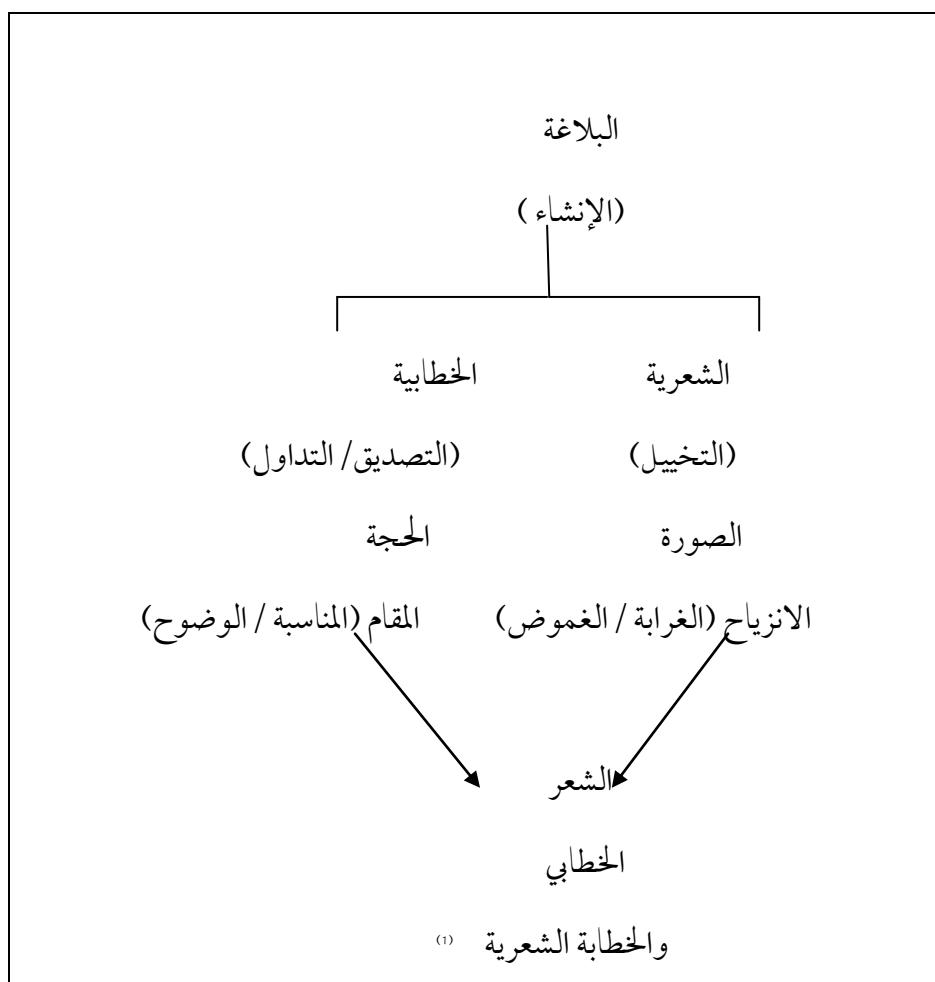
ويشرح مسألة الريطورية التي ينظر إليها باعتبارها تتناول الخطاب الإقناعي، وقد ساهمت الدراسات التداولية في إعادتها إلى الساحة تحت مسمى البلاغة الجديدة أو الحاج، لكن الاستخدام المتكرر لكلمة بلاغة بين المعنيين السابقين خاصة في الدراسات الغربية، والترجمات العربية يحدث نوعا من الاضطراب، أبقى العمري متربدا لمدة عقدين من الزمن ليصل في النهاية إلى أن البلاغة علم يتناول الخطابين معا التخييلي والتداوily حيث يطلق على الأول الشعرية، وعلى الثاني خطابية محافظا على المفهوم الأرسطي، وكلا المنتجين يرجعان إلى إنشاء المتكلم، أما الخطابة فقد جعلها خالصة للمنتج الكلامي الذي يقصد به الإقناع والتصديق، وقد أشار إلى استيعاب التراث العربي لهذه التقسيمات، كما أن النسق الحديث يتقبل ما يقدمه من تفريعات، يقول في ذلك : " فالبلاغة باعتبارها العلم الذي يتناول الخطاب الاحتمالي المؤثر تنقسم إلى شعرية تتناول كل المخيلات، وخطابية تتناول كل المصدقات (أو التداوليات)"<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> ينظر : البلاغة والخطاب، محمد مشبال، دار الأمان، الرباط المغرب، ط ١ ٢٠١٤، ص ٤٢.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه : ص ٤٤.

ثم يقدم خطاطة تجمع رؤيته للبلاغة كما يراها بلاغة عامة تتناول بالدرس  
شتي أنواع الخطاب .



<sup>(١)</sup> البلاغة والخطاب، ص: 42.

لكن العمري لم يصل إلى نتيجة البلاغة العامة دون كفاح وأخذ ورد بين الدراسات، لأن الأمر يحتاج إلى مشروعية الوجود، ولا تبني المفاهيم والحدود والميادين العلمية عفو الخاطر، فما هي جذور البلاغة العامة وما مشروعية وجودها؟ خاصة وأن العمري يشير إلى التداخل بين الشعري والخطابي كما نلاحظ ذلك في مخطوطه .

يناقش العمري مسألة البلاغة العامة ومشروعية وجودها ضمن مختلف أعمالي التي تهتم بالبلاغة الجديدة والتراث العربي البلاغي، فالبلاغة العامة يتقطع فيها التخييل والتداول، وهي عبارة عن الوصل بين الشعرية والخطابية وقد "بذل بلاغيون محدثون جهداً فلسفياً ومحرياً، إن صح التعبير، في بيان مدى صلاحة الأساس العلمي لقيام بلاغة عامة . البلاغة باعتبارها "علمًا كلية" يستوعب ثمار علوم اللسان وعلوم الإنسان"<sup>(١)</sup>، هكذا تظهر رؤية العمري للبلاغة العامة والمرتكزات التي يريد تأسيسها ودعمها من خلالها، فهي العلم الكلي والمصطلح حازمي بحث، ثم يعتمد الأساس الحديثة ليبرر قيام هذه البلاغة .

إن مسألة قيام بلاغة عامة عند الدارسين المحدثين مثل أوليفيبي روبيول ( Olivier Reboule ) أو جماعة مو ( Groupe MU ) تستدعي إجراءين :

**1- الأخذ من المنجز اللساني والمنطقى .**

**2- التقريب بين التخييل والإقناع .**

وفي ذلك يبين روبيول (Reboule) بأن البلاغة تقاسمها كل من نظرية الحجاج المطورة من طرف بيرلان (Perelman) عن أرسسطو والمهتمة بالحجج على حساب

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص: 21.

الصور والأسلوب خاصة منها ما لا يؤدي وظيفة حاججية، والبلاغة الأدبية (La rhétorique littéraire<sup>(1)</sup>) والتي تشق طريقها لتكون علمًا للأسلوب والصور .

وهذا القسمان سيطرا على الدراسات البلاغية، إلى أن ظهروعي بالمشترك بين المجالين اللذين تتحرك فيما النظريتان السابقتان، هذه المنطقة التي يركز عليها العمري عمله، وسيحاول رصد معالمها - فيما بعد - في تراثنا البلاغي العربي، محاولا رصد الاهتمامات بهذه البلاغة، والتفرقي بين المشاريع الحادة والمحاولات التلسفية .

ومن الضروري ذكر التساؤل الذي أورده روبيول عقب حديثه عن المجالين اللذين يسيطران على الدرس البلاغي إذ يقول : " هل يجب علينا الإختيار بين الحاج والأسلوبية ؟ وهل يتوجب علينا إضافة أحد هما للآخر تباعا ؟

أما عن موقفنا فإننا نبني حلًا ثالثا، ونبحث عن جوهر البلاغة وليس في الأسلوبية ولا في الحاج، ولكن في منطقة محددة هي تقاطع بينهما . بعبارة أخرى ينحو باتجاه البلاغة كل خطاب يجمع بين الحاج والأسلوب "<sup>(2)</sup>"

ويعتبر العمري هذا الطموح الذي تريد بلوغه البلاغة أمرا طبيعيا لأنها ترغب في استرجاع الأرضي التي فقدت منها، وأخذتها ميادين عاشت على ميراث البلاغة .

ثم يتوجه العمري إلى التراث العربي ليبرر شرعية وجود البلاغة العامة، ويؤصلها ؛ يقول : " فللبلاغة العربية، إذن، مهدان كبيران أنتجا مسارين كبيرين : مسار البديع يغذيه الشعر، ومسار البيان تغذيه الخطابة، ونظرا للتداخل الكبير بين الشعر

---

Olivier reboule , la rhétorique ,presses universitaire de France ,1<sup>er</sup> ed ,1984,p:32. <sup>(1)</sup>

Olivier reboule , la rhétorique ,presses universitaire de France ,1<sup>er</sup> ed ,1984,p:32. <sup>(2)</sup>

والخطابة في التراث العربي، فقد ظل المساران متداخلين ومتباينين رغم الجهود الكبيرة  
التي ساهم بها الفلسفه وهم يقرؤون بلاغة أرسطو وشعريته.<sup>(١)</sup>

فالعمري يرى بأن البلاغة العربية تنطلق من الملاحظات الأولى حول  
الخصوصية الشعرية والجمالية التي لا حظها العرب، ثم قارنوا بينها وبين النص  
القرآن، وهذا الأمر قامت بأبعاده الدراسات البدعية، ويوجد طرف ثان كان يبحث  
في سبل المعرفة والإقناع ويمثله تيار البيان، من المحافظ إلى ابن وهب الكاتب،  
ونلاحظ كذلك تداخل ما هو شعري مع ما هو خطابي على مستوى النص المنجز سواء  
كان شعرياً أو نثرياً، وهذا ما لفت انتباه البلاطين، خاصة منهم من تأثروا بالتيار  
الأرسطي، وأهم شخصية تمت الإشارة إليها هي شخصية حازم لما يقول: "ومعرفة  
طرق التناسب في المسموعات والمفهومات لا يصل إليه شيء من علوم اللسان إلا  
بالعلم الكلي في ذلك وهو علم البلاغة"<sup>(٢)</sup>

فالبلاغة هي العلم الكلي الجامع، وما يجمعه هو صناعتي الشعر والخطابة  
لقوله: "ما كان علم البلاغة مشتملاً على صناعتي الشعر والخطابة وكان الشعر  
والخطابة يشتراكان في مادة المعاني ويفترقان بصورتي التخييل والإقناع ... وكانقصد  
في التخييل والإقناع حمل النقوس على فعل شيء أو اعتقاده أو التخلّي عن فعله  
واعتقاده"<sup>(٣)</sup>

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص: 29.

<sup>(٢)</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلاغة وسراج الأدباء، تحقيق الحبيب بن خوجة، دار الغرب الإسلامي، ط 2، 1981، ص: 226.

<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه: ص: 19.

فالبلاغة تجمع بين فعاليات الحاج والتخيل إذ يدو اللقاء بينهما على مستوى :

- الماضي والمعاني .
- المقاصد والأغراض (التأثير)

ويفترقان في خصوصيات تحفظ لكل استراتيجيات الخطابية، في عنصري التخيل والإقناع، وسيشير القرطاجي إلى التداخل بين الأمرين، وفي ذلك يقول العمري : "فالشعر مبني على التخييل، وقد يستعمل مكونات الإقناع الخطابي ضمن هيمنة العنصر الذاتي . وعكس ذلك حال الخطابة التي تبني على العناصر الإقناعية وتدخل العناصر التخيلية في خدمتها "<sup>(١)</sup>

وبهذا يبني مفهوم البلاغة والبلاغة العامة عند العمري على لقاء عنصري التخيل والتداول ، ويقوم ببناء شرعية وجود هذه البلاغة وأحقية تطبيقها بالحوار بين النموذج الغربي الحديث والتراث العربي، من أجل ترسیخ هذا النموذج الذي يرى فيه العمري مجالاً يسمح باستعادة البلاغة لمكانتها التي كانت عليها واستعاده الأراضي التي فقدتها منذ تحنيط البلاغة .

### ج / مراحل مشروع العمري :

عندما حددنا أعمال العمري بالمشروع العلمي ذي الأهداف والمقاصد المعلنة والضمنية، وحددنا مفهوم البلاغة عنده والأسس المعتمدة لبنائها، سيكون من الضروري الإمام بمراحل هذا المشروع لتعريف المفاصل التي تتمحور عليها قراءتنا، كذلك تحديداً لمراحل هذا المشروع هو تحديد للمرجعيات المعتمد عليها، ومعرفة

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، المغرب، 2012، ص: 57.

التغيرات الطارئة على النظرية النقدية والبلاغية الغربية والعربية وتفاعل العمري معها .

### - المرحلة الأولى: بلاغة الإنقاذ

دخل العمري عالم الدراسات البلاغية الجديدة والنقدية من باب الإنقاذ ودراسة آليات الحاجاج، وقد بدأنا بهذا الاهتمام متتجاوزين بذلك فترة تأثره بمندور، أو دراسته له لأنه لا يدخل ضمن مشروعه البلاغي، لأن العمري قدم موضوعا للنخرج بعنوان: مندور من التأثيرية إلى الواقعية الاشتراكية وقد أفاد العمري من موضوعه هذا ضرورة المعرفة الشاملة للمحيطة بالمجال الأدبي والنقدi وكذا مناهج الدراسة الأدبية، لكن فيما بعد توسيع آفاق العمري بين الترجمة والكتابة والتدرис إلى أن وصل إلى البحث في البلاغة العربية، نتيجة الاحتراك بما هو غربي واضطلاعه على التراث العربي؛ إذ يقول : "وكان من ثمرات هذا الاحتراك كتاب : في بلاغة الخطاب الإنقاعي، الذي أردت أن أنه فيه إلى بعد الإنقاعي للبلاغة العربية، هذا بعد الذي كان حاضرا، عند الجاحظ على وجه الخصوص، ثم نسي مع هيمنة صياغة السكاكي للبلاغة العربية . وقد أعجبت كثيرا في هذه المرحلة بعمل بيرلمان Perelman وتيتيكا Tytēka لعمقه وبساطته "<sup>(١)</sup>

ثم يبين العمري بأنه في هذه المرحلة اهتم بنص الخطابة العربية في كتابه: بلاغة الخطاب الإنقاعي، هذا العمل الذي بدأه ببيان أهمية الجانب الإنقاعي في البلاغة العربية، ومسألة إهماله من طرف البلاطين المتأخرين، خاصة علماء الإعجاز، وإن كان هذا الأمر يحتاج إلى مناقشة لأننا نجد الرماني والباقلاني يشير كل منها إلى قضية

---

<sup>(١)</sup> موقع العمري www.medelomari.com:

الاحتجاج، وصحة البرهان مع حسن البيان ، بل نجد الجاحظ يشير لهذا الأمر في حجج النبوة وإثباتها، والعمري في عمله هذا يتخد من الرؤية الأرسطية إطاراً يتناول من خلاله قضية الإقناع في البلاغة العربية، ويقول في ذلك: "ثم رأيت الدارسين الغربيين المحدثين الذين لهم باع في هذا المجال يستنيرون بآراء أرسطو، بل ويعتبرونها حديثة ومناسبة للمجتمعات الحالية . فزاد افتتاحي بإمكان تأطير اجتهادات البالغين العرب بالإطار العام للنظرية الأرسطية "<sup>(١)</sup>

ونجد العمري، في اعتقاده على ما هو أرسطي في قراءة التراث البلاغي، يعتمد على القراءة الغربية لأرسطو، وبالضبط شاييم بيريلمان وتيتيكا في كتابهما: مصنف في الحجاج، ويعتبر العمري من أوائل المعتمدين على هذا المرجع الذي أشاع تسمية البلاغة الجديدة على الحجاج، والعمري أصدر دراسته هذه في سنة 1986م، "وتأتي أهميته من جهتين :

- الأولى أنه أول كتاب ينشره العمري بعد التحاقه للتدرис بالجامعة .
- الثانية أنه كتاب طموح كما يعكس ذلك عنوانه الطويل بالنظر إلى حجمه الصغير .

وما يلفت الانتباه أن المؤلف أثبت في ذلك الوقت المبكر، ضمن قائمة المصادر والمراجع، كتابين لـ: برلان Perelman هما مصنف في الحجاج وامبراطورية البلاغة "<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفرقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2002، ص: 9.

<sup>(٢)</sup> محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب مقاربة لمشروع محمد العمري، ضمن كتاب البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد مشبال، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط 1 2014، ص: 251.

هذه الإشارات التي أحصاها اليملاحي فوجدها سبع مرات، والعمري بحد ذاته يبين أهمية رؤية بيرلان للناحية الإقناعية في البلاغة ويرى ضرورة تسلیط الضوء على جانب الإقناع في بلاغتنا العربية ونصوصنا، إذن المرحلة الإقناعية من المشروع البلاغي للعمري تضمنت دراسة الجانب الإقناعي في البلاغة العربية كنظرية وفي الكلام البليغ كنص متحقق بصفة الإقناعية أو الحاجاج .

وعند الاطلاع على فحوى كتابه في بلاغة الخطاب الإقناعي، وعنوانه الفرعي مدخل نظري وتطبيقي لدراسة الخطابة العربية، نجد حديثه في الفصل الأول عن الموضوع، والمنهج يختص لمعنى الخطابة عند الغرب والعرب، وتفريقها عن الشعر، باعتباره معاناة فردية، واعتبار الخطابة فعالية مشتركة تأثيرية، هذا ما لا يمنع تقاطعهما.<sup>(١)</sup>

ثم يتكلم عن أساس بلاغة الخطاب الإقناعي؛ من براهين وأسلوب وترتيب أجزاء القول، ويلاحظ بأنه في كل حضارة يغلب عنصر معين من هذه العناصر، وبالنسبة للخطابة العربية، غالب عليها عنصر الأسلوب، ثم يمضي للحديث عن أنواع الحجاج على طريقة أرسطو، وقراءة بيرلان له، مقسماً إياها إلى حجاج جاهزة أو مصطنعة، ويلاحظ عليها إتباعها لثلاثية الإيطوسات الأرسطية المعروفة.<sup>(٢)</sup>

وقراءة العمري لنص الخطابة العربية لم يلغ الظروف الملائمة لنشأتها أو ما سماه بالمقام، وتحديد مواضعها؛ إذ يقسمها إلى خطابة دينية، خطابة سياسية، وخطابة

---

<sup>(١)</sup> ينظر : في بلاغة الخطاب الإقناعي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2002، ص ص:16،

<sup>(٢)</sup> ينظر المرجع نفسه : ص: 27.

اجتماعية، ولكل منها خصائص وأضرب تتفرع عنها ليدخل في تحديد الجزئيات التي يحمل من خلاها نص الخطبة، بين :المقام والمحجج والأسلوب، وعلى ضوئها يقدم عملاً تطبيقياً فذا يدرس فيه خطباً للرسول صلی الله علیه وسلم ولاّي بکر والمحاج بن يوسف كاشفاً عن آليات الإنقاع في الخطابة العربية والتأثير النظري الذي تنبه له اتجاه البيان البلاغي فيما يخص عناصر البرهان .

وهذا الكتاب ليس نهاية عهد العمري بالإقناع فسنجد اهتمامه بالعنصر الإقناعي لكنه سيعطيه حجمه الطبيعي ضمن البلاغة العامة التي تحوي التخييل بجانب التداول والإقناع ضمن منطقة مشتركة، خاصة في كتابه البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ونجد كذلك للإنقاع مكانته في البلاغة العربية أصوتها وامتداداتها والذي سنركز عليه لرصد قراءة العمري للبلاغة العربية باعتباره مشروعاً مهتماً بهذه الرؤوية .

#### - المرحلة الثانية : التصور اللساني البنائي لبلاغة النص الشعري .

تأتي هذه المرحلة ضمن عمل العمري على الخطاب الشعري واهتمامه بالجانب الصوتي معلناً كتابة تاريخ جديد للبلاغة العربية، يقول في ذلك : "دخلت في مشروع إعادة صياغة البلاغة العربية انطلاقاً من تصور لساني بنائي يراعي البعد التاريخي، مبتدئاً بالمستوى الصوتي الذي كان يعني من الاهتمال رغم كونه يفسر، في نظري، خمساً وسبعين في المائة (75%) من جمالية القصيدة العربية القديمة . وقد نشر هذا العمل الذي اقتضى إنجازه أكثر من ثمانين سنوات في ثلاثة كتب :

1- تحليل الخطاب الشعري : البنية الصوتية .

2- اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي القديم .

### ٣- الموزنات الصوتية في الرؤية البلاغية ."<sup>(١)</sup>

هنا نلاحظ بأن النص المستهدف ليس الخطابة، بل هو نص الشعر، ويتم التركيز فيه على الجانب الصوتي الذي رأى بأنه مهمش في نظرة البلاغيين ودراساتهم .

ويقوم العمري باستئثار المعرف اللغوية خاصة منها الصوتية من تراثنا العربي، ويدخلها في حوار مع النص الشعري، لتساهم في تفسيره وتحليل اختياره، كل ذلك بالاستعانة بالرؤى البنائية والطرح اللساني الحديث، هذا ما يفتح الباب على مصراعيه لمعرفة القدرات الوصفية التي تمتلكها البلاغة العربية والتي ينبغي تسخيرها في قراءة وتحليل الخطاب .

أما الكتاب الثاني فقد أراد له العمري "أن يكون مساهمة في تحقيق مشروع ما انفت الحاجة إليه تتأكد: مشروع تاريخ للأشكال الأدبية . وعلامة هذا التاريخ وشرطه تقاطع البنائي والتاريخي، وتجاوب الإبداعي (الشعري) والوصفي (البلاغي)"<sup>(٢)</sup>.

وهذا الأمر يضع البلاغة العربية كترسانة إجرائية تسخر لتاريخ الأشكال في الشعر العربي في مختلف العصور .

والأسئلة التي طرحتها العمري كانت تصب في صميم عمل المؤرخ، لكن ليس أي مؤرخ للأدب؛ بل هو المهتم بالسؤال الرئيس حول أشكال الشعر، ثم السؤال حول اهتمامات البلاغيين بالمقوم الصوتي الإيقاعي القائم على الوزن والتوازن

---

<sup>(١)</sup> موقع محمد العمري <http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm>

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، الموزنات الصوتية، أفريقيا الشرق، ....، ص : 5.

والأداء.<sup>(١)</sup> لأن الاهتمام بهذه القضايا في رأي العمري هو كشف لبنية هذه البلاغة، وإشارة إلى الأجزاء الغائبة / الحاضرة فيها، والتي عاملتها القراءات التراثية المتتابعة معاملة الغائب ولم تهتم بها.

وقراءة العمري للموازنات الصوتية أعاد من خلاها الاعتبار لكتب البديع، مثل المنزع البديع للسجلماسي، وأعاد النظر في كتب، مثل سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، واللماحظ على عمله هذا، أنه كان بداية جادة للاهتمام بالاتجاهات البلاغية، خاصة في فصله : (موقع الموازنات الصوتية في الاتجاهات البلاغية )، الذي اهتم فيه باتجاه الجاحظ وابن وهب الكاتب، ثم ابن سنان الخفاجي، والجرجاني والباقلاني ليربط النتائج مع مفاهيم التخييل والمحاكاة عند الفلسفه كابن سينا والفارابي .<sup>(٢)</sup>

أما الكتاب الأخير، فقد كان توسيعاً للفصل الثاني من الكتب الثاني، ويقول عنه: "أما الكتاب الثالث فيدخل في إطار قراءة جديدة لتاريخ الفكر البلاغي العربي"<sup>(٣)</sup> فقد أعاد النظر في الاتجاهات المعروضة سلفاً، ودعم عمله بالتطبيق على النص الشعري، من مراحل مختلفة، وأدمح عنصر الدلالة مدققاً بين المصطلحات البلاغية، ومعتمداً على مفاهيم الكثافة الصوتية، الفضاء (الصوتي أو البصري) والتفاعل بين الأصوات والدلالة، معرفة الموازنات الصوتية بكونها : "تفاعل عنصرين صوتيين أو أكثر في فضاء "<sup>(٤)</sup>

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه : ص: 09.

<sup>(٢)</sup> ينظر : محمد العمري، الموازنات الصوتية، ص ص : 47، 132.

<sup>(٣)</sup> موقع محمد العمري : <http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm>.

<sup>(٤)</sup> محمد العمري، اتجاهات التوازن الصوتي في الشعر العربي، أفريقيا الشرق ....، ص: 137.

هذا العمل الذي يساهم في كشف عديد من المفاهيم الصوتية، التي تشكل الدرس البلاغي العربي، وتضعه أمام استراتيجيات التطبيق بالوقوف أمام النص الشعري ومساءلة إمكاناته الصوتية المالية وعلاقتها بالدلالة، ويتم من خلال تفاعلها مع بقية المستويات البنائية للنص، لأن الاهتمام بالجانب الإيقاعي يكشف عن اتجاهات الشعر العربي، بين اتجاه يعتمد على التراكم الصوتي، واتجاه يعتمد التفاعل بين الصوت والدلالة وينحو منحى تحليلياً فلسفياً، ويوجد المذهب الوسط الذي يصفه بالتكامل، ويجعله للنخبة العربية غير المتكلفة .

هذا التفكير الذي يصل بين التاريخ الشعري، والتفسير البلاغي، ويساهم من جهة في كشف الغيب من بلاغتنا العربية، هو ما سيتيح للعمري الانطلاق في مشروع إعادة قراءة البلاغة العربية في كتابه البلاغة العربية أصوها وامتداداتها، والذي ستركته عماداً في دراسة قضية رؤية البلاغة العربية بعيون البلاغة الجديدة، متخد़ين من مشروع العمري نموذجاً لذلك، دون تضييع أو فصل الكتاب عن كامل المشروع لأن أعمال العمري لا تسمح بهذا الفصل الشنيع الذي لا يراعي مبادئ البحث العلمي في المشاريع الكبرى .

### - المرحلة الثالثة : أصول البلاغة وتأريخها بين النسق والتلقى .

كان كتاب (البلاغة العربية أصوها وامتداداتها) الخلاصة التي وصل العمري إليها بعد طول بحث في البلاغة العربية، وتنقيب عن أصوها ومحاولة معرفة الخلفيات التي بنت الدرس البلاغي العربي .

وكان يرى العمري بأن عمله ضروري ؛ لأن الدراسات التي كانت تمر به وهي قراءات تجريبية للبلاغة أو اختزالية تحاول أن تختزل البلاغة في رؤية السكاكي أو في

أحياناً أخرى تقتصر على قراءة القزويني للسكاكيني ومن جاء بعده، مقصبة الرواقد والاتجاهات الأخرى، هذا الأمر دعا العمري إلى ضرورة التحرك من أجل التاريخ للبلاغة العربية، ليقوم بعمل الجمع بين ما هو نسقي بنوي وما من صميم نظرية التلقي التاريخية عن ياؤوس، منطلقاً بذلك إلى اكتشاف المناطق المجهولة والمنسية من بلاغتنا العربية .

يقول في ذلك محمد العمري : "كتاب البلاغة العربية أصوتها وامتداداتها، هو في الواقع امتداد لكتيب صغير سابق هو : الموزانات الصوتية في الرؤية البلاغية . والأخير جزء من المشروع العام في دراسة : البنية الصوتية في الشعر العربي فخلال إنجاز الجزء التاريخي من ذلك المشروع وجدت نفسي أمام خطاطة تصنف البلاغة العربية [...] ثم جاءت ظروف محايطة رجحت التاريخ على البحث في موضوع الدلالة ذلك بعد تزايد الاهتمام بالتلقي في الثمانينات "<sup>(1)</sup>

ونجد بأن عمل العمري هذا، يتسم بقدر من الشمولية، ومحاولة الجمع قدر المستطاع، ليكون مؤلفه مسحاً كلياً للدرس البلاغي العربي، مما جعل مشروعه هذا يكون مؤهلاً لتنطلق منه دراسات تحمل عناوين فصوله وتوسعها ضمن مشاريع بحث في الدراسات العليا .<sup>(2)</sup>

---

<sup>(1)</sup> محمد العمري : محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط 1 2013، ص : 253.

<sup>(2)</sup> ينظر : موقع محمد العمري : <http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm>

لن نوسع القول في هذا العمل الأخير للعمري لأننا سنركز دراستنا لرؤيه العمري للبلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة على هذا المؤلف دون إهمال ما يتصل به من أعمال لأنها تبع من منبع واحد .

#### د-مقاصد المشروع:

ما يرمي إليه العمري من خلال مشروعه، ليس فقط تاريخ البلاغة العربية بطريقة روتينية تتبع المحطات التاريخية، أو معرفة أهم اللحظات في درسها، بل يتجاوز هذا المقصود الداخلي الضيق ليوسعه إلى تاريخ البلاغة العالمية، ومن المهم أن نذكر عبارة العمري في مدخله العام حول التأريخ في البلاغة العربية أصولها وامتداداتها إذ يستهل عمله ببيان أن كتابة تاريخ للبلاغة العربية مسألة ملحة لاعتبارين عام وخاص ؛ أما الأول فلأن الدراسات المنجزة غير كافية أو أنها جزئية، أما الاعتبار الخاص وهو اعتبار منهاجي يختص بتغير ظروف القراءة وتغيير السؤال الأدبي، ثم يردد قائلاً : "وقصيرى ما يطمح إليه (عمله) أن يكون خطوة في السعي لكتابه تاريخ شامل للبلاغة العربية "<sup>(١)</sup>

ثم يحدد المسار الذي يسير فيه من أجل مقصده مذكراً بأن التيارات النقدية الحديثة "ترى إمكانية إعادة قراءة البلاغة على ضوء المكتسبات المنهجية الجديدة" <sup>(٢)</sup> ويضع العمري أعماله ضمن هذا الإطار .

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2010، ص: 9.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه: ص: 11.

إذن مشروع العمري يهدف إلى تأريخ البلاغة العربية تأريخاً يحافظ على الأصول التي بنيت عليها ولا يهتم فقط بالتسلسل التاريخي المتتابع لأن هناك من التيارات والاتجاهات التي تنشأ متوازية ومتابعتها تحتم اعتماد مفاهيم كالنسق والبنية ... وغيرها من المفاهيم التي ستتوقف عندها لنكشف استثمار العمري لها، كذلك من المهم أن نشير إلى أن ما يرمي إليه العمري هو قراءة هذه البلاغة ضمن التيارات المعاصرة وفي ضوئها، وذلك لإغنائها وكشف الغموض عنها، ونجد عند العمري غرضاً تعليمياً يريد الوصول إليه رغبة منه في تغيير طرق تدريس البلاغة التي أصبحت قديمة وتكتلست عقول المعلمين والطلبة من جراء تكرارها واجترار الشواهد المعتادة في أبواب البلاغة، ويظهر المدفوع التعليمي من خلال الخطاطات والتشجيرات والخرائط المفاهيمية التي يسخرها العمري في سبيل الإفهام، "ويلاحظ أن الأستاذ العمري يولي عناية خاصة بهذه الوسيلة، إذ يعتمد عليها كثيراً في ترسيخ المادة المعرفية إلى القارئ [...] غير أن الخطاطات تحضر بكثافة في كتاب البلاغة العربية إذ يصل مجموعها إلى خمسة وثلاثين جدواً"<sup>(١)</sup>

وهذه التقنيات البيداعوية تفتح المجال للحديث عن مقصد آخر للعمري وهو : الحصول على تاريخ علائقى ونسقي للبلاغة العربية حيث لا تقف الشخصيات والمؤلفات بعيدة عن بعضها البعض كتلك الجزر المتاثرة دون نظام يحفظ نسقها، مع أن تاريخ البلاغة يشهد بعكس ذلك وتكفي قراءة الظروف المحيطة بنشأته لفهم هذا النسق الذي يتنظمها .

---

<sup>(١)</sup> محمد اليملاحي، أسلحة الفكر البلاغي في المغرب، ضمن : البلاغة والخطاب، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص: 255.

لكن العمري يسيطر لعمله مقاصد عالمية يهدف من خلاها إلى إعادة الاعتبار للبلاغة العربية ضمن بلاغات العالم، وأن تلتفت الدراسات الحديثة لموقع بلاغتنا وخاصة قراءة العرب لأرسطو ومنهم ابن رشد، وإعطاؤهم المفاهيم الجديدة، وتأويلهم لعمل أرسطو وتكييفه مع وجهة النظر العربية، ليصبح الإنجاز العربي أحد إمكانات البلاغة التي تتيحها خطابة أرسطو أو شعريته، لأن الدراسات الغربية تتجاهل المجز العربي مع احتفاء العرب بالمنجز الغربي، ولا تعني الدراسات الغربية وفي أحيان الدراسات العربية أن هناك حلقة مفقودة ضمن تاريخ البلاغة في العالم، وإعادة هذه الحلقة تحبيب عن عدة أسئلة يطرحها المتن الأرسطي وما يليه؛ لأن أرسطو دخل مشروحاً بعقلية عربية إلى الغرب، فلماذا تتجاهل هذا الأمر؟

يقول العمري في هذا الصدد : "المطلوب الآن في الواقع، إذا توضّحت المجزات البلاغية العربية، بقدر كاف، أن نحاول فتح موقع لنا في تاريخ البلاغة العالمية. أن نخرج من ذلك التاريخ الذي يقفز من أرسطو إلى الشكلانيين الروس، أو من البلاغة العربية القديمة إلى البلاغة العربية الحديثة . فتقديمنا لـ قراءة الفلاسفة العرب لأرسطو وصولاً إلى مفهوم التغيير عند ابن رشد، هي ورقة في يد الدارسين الذين سيؤولون الموضوع فيما بعد : وهم على علم بالبلاغة العربية، ليعلموا أن هناك حلقة مغيبة، وأن هناك تاريناً غير عقلاني مبتور للبلاغة العالمية ."<sup>(١)</sup>

فالبلاغة العربية والتنقيب عن أسرارها وعن تعاليقاتها الخارجية يسمح بانضمامها لتكامل تاريخ البلاغة العالمي خاصة فيما يخص النقطة المشتركة بيننا وبين

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري : محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، أفرقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط 1 2013، ص : 255.

الغرب وهي قراءة أرسطو، أما ما يخص باقي المنجز البلاغي العربي فلا يمكن أن نجد مكاناً يتسع له في تاريخ البلاغة العالمية خاصة ما يتعلق عندنا ببلاغة القرآن الكريم وإعجازه أو دراسة الشعر العربي واستخلاص القوانين البلاغية منه، أو تأسيس الاختيارات الشعرية على أساس بلاغية .

ومحمد العمري يضع منجزه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها بين بعدين: بيداغوجي تحليلي وقد سبق الحديث عنه، وآخر تأويلي "يساهم في ربط المشاريع والمنجزات والكشف عن خلفياتها (أو تفسيرها) واستكشاف مساراتها الكبرى"<sup>(١)</sup>

هذا بعد الأخير، هو ما أراد العمري كذلك الوصول إليه ؛ أي كتابة تاريخ للبلاغة العربية أو دراسة مشاريعها بالبحث الشامل عن الأصول والربط بين المنجزات وإقامة العلاقات و اختيار المشاريع وقراءتها في ضوء معطيات عصرها والتفريق بين المشروع الذي يحمل هما نسقياً وبين عمل تراكمي .

## 2- مركبات المشروع ومقوماته :

المقصود من المركبات والمقومات هي الأسس والمنطلقات التي بني العمري عليها مشروعه، والسبيل التي اتخذها وسلكها للكشف عن المغيب والمجهول من بلاغتنا العربية .

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2010، ص: 6.

## أ/ البحث من الداخل وتوسيع شبكة العلاقات :

ينطلق العمري من التراث العربي البلاغي ليفحص مناطقه ويتحسس مكامن القوة فيه، ويبحث عن الأسئلة البلاغية التي تمكن من الحصول على مشروع بلاغي محدد النسق والمقاصد، ونجد عملية البحث من الداخل أو ما سماه بالاكتشاف من الداخل في بحثه عن أصول ومنابت البلاغة العربية، وربط العلاقات بين هذه الأصول ، ثم في امتدادات المشاريع البلاغية الكبرى .

ومن الأهمية بمكان أن نعرف :ما المقصود بالنسق عند العمري ؟ وما هي الطريقة التي اتبعها في تحديد الخيوط المتحكمة في أصول البلاغة العربية، وتعيين منابعها وروادها ؟

### - أولاً : تحديد النسق :

يحدد النسق باعتباره :"مركب من عناصر مختلفة تضبطها علاقة قائمة فيما بينها" <sup>(١)</sup> ونلاحظ التشابه القائم بين النسق والبنية وإن كان النسق من مضامين البنية ومرتكزاتها لأنه النظام الذي يحكم عناصرها، هذا ما نجده عند بشير تاوريريت عندما يقول :"إن البنية هي نسق من العناصر أو الوحدات المنتظمة فيما بينها تنظيمياً داخلياً" <sup>(٢)</sup> وإذا توجهنا للنسق عند العمري وجدناه منطلقاً نظرياً أخذه من البنية وسخره كأدلة إجرائية تمكنه من رصد الخيوط التي تحرك المشاريع البلاغية والتي

---

paul aron ,denis saint-jacques et alain viala , le dictionnaire du littéraire ,puf,2eme <sup>(١)</sup>  
ed ,2010,p:753.

<sup>(٢)</sup> بشير تاوريريت، محاضرات في مناهج النقد الأدبي المعاصر، دار الفجر للطباعة والنشر، الجزائر، ط 1، 2006، ص: 13.

تؤهلها لأن تكون محوراً للدراسة اتجاه معين، وهذا نتلمسه في حديثه عن السياق الذي نشأت فيه الدراسات البلاغية أو الظروف العلمية الفكرية التي أحاطت بها: "لقد تقوى مفهوم النسق والبنية في البحث العلمي العربي منذ البداية، عندما غالب القياس على الرواية .القياس الذي يقوم على استقراء الظواهر واستخراج نظامها الخفي الذي يترجمه الاطراد"<sup>(١)</sup>

إذن فالعمري في بحثه عن المشاريع والمنجزات سيعقيم ويركز بحثه على الأنماط والبنية واستخراج الأنظمة التي تتحكم في المشاريع والمنجزات؛ باعتبار أن البحث العلمي العربي لجأ إلى القياس مرسخاً فكرة النسق التي ترجمها علماء اللغة وغيرهم تحت مسمى الأسرار أو السر كما نجدها عند ابن جني(ت) أو الأنباري، ثم يلاحظ انتقال الهم النسقي ومشاغل وجود نظام يحكم الدرس البلاغي في أعمال البلاغيين "فالمهم النسقي كان حاضراً في أعمال البلاغيين العرب"<sup>(٢)</sup>

فالعمري سيبحث عن المؤلفات والمشاريع التي تتحقق معيار الفكر النسقي، وتنتظم أفكارها ضمن نظام يحكمها ، وهذا ما سيجعله يقصي أعمالاً بلاغية بحجة عدم توفر النسق والمقصد، لكن هل كشف العمري كل الأنماط التي تقف وراء الأعمال البلاغية واتجاهاتها؟

لأننا نلاحظ وجود أعمال لم تعط موقعها من تاريخ البلاغة العربية، فمثلاً تناصي العمري لكتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز مع ما

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2010، ص: 15.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه: ص: 15.

يحمله من هموم بلاغية نصية صميمة تعبّر عن اتجاه البلاغة النصية التي تهتم بالنص وتنوع في التعامل مع نماذجه هذا التناسي غير مبرر، وإن كان له ما يبرره فهو طبيعة انتقاء العمري التي شا بها الاعتماد على المركزيات بحجّة توفر النسق فيها، يتبع هذا كذلك تهميشه للمثل السائر لابن الأثير مع ما يمثله من مشاغل البلاغة التطبيقية التي كان فن الكتابة والإنشاء مصدرًا لها.

ويصرح العمري بأن من بين أهم مركبات عمله في تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات، ومن ثم تحديد المشاريع التي تمثلها بعد أن رأى انتزاع المقولات البلاغية وتجزئتها بعيداً عن نسقها من طرف الدارسين الذين لم يفهموا حقيقة الارتباط بين الدرس البلاغي والظروف المولدة له والعلاقات الكامنة بين جزئياته فيقول : "وبدأ يزعجني ما أسمعه في الندوات العلمية من استشهادات بنصوص متزرعة من النسق، لا نعدم في المؤلف الذي أخذت منه ما ينقضها أو يخالفها مخالفة صريحة . ولذلك كان من بين همومي الموجهة حين تصديت لإعادة قراءة تاريخ البلاغة العربية استخراج أنساق المؤلفات في حوار بين المشاريع والمنجزات "<sup>(١)</sup>

إذن فتحديد النسق هو المعيار الذي يؤهل العمل البلاغي لأن يكون مشروعًا في نظر العمري، وهي رؤية ينجح العمل بها، لكنها تعتمد على نوعية القراءة والرؤوية التي يتوجه بها الواحد نحو مؤلف معين فهناك من تنكشف له الأنفاق المتحكمّة بفعل معرفته بالخلفيات والظروف المولدة للعمل البلاغي وهناك من يرى في أعمال بعض البلاغيين مجرد تراكم وروايات، كحال العمري مع العمدة لابن رشيق

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2010، ص: 16.

القيرواني، فلا نستغرب أن يطلع علينا دارس آخر يؤرخ للبلاغة العربية يضع عدمة ابن رشيق في مركز الدرس البلاغي ويكشف عن نسق لم يره العمري أو لم تكن وجهة العمري تتفق مع مسار نسق صاحب العدمة .

#### - ثانياً : اختيار المشروع :

إذن فاختيار العمري للمشاريع البلاغية قائم على وجود النسق من عدمه، فبعد أن بين منابت البلاغة العربية وعوامل نشأتها الأولية الداخلية منها (الخيارات الشعرية والنقد)، والخارجية (النص والمعيار وأسئلة النص المقدس) يلجأ إلى اختيار المشاريع الكبرى التي مثلت محطات مركبة في تاريخ البلاغة العربية، والتي يمكننا بالاعتماد عليها في ضوء الوافد الجديد الغربي يمكننا أن نبني بلاغة عربية عامة والمساهمة في وصل الحلقة المفقودة من تاريخ البلاغة العالمية .

واختيار العمري للمشاريع أو ما أطلق عليه اسم "الامتدادات أو النماذج الكبرى"<sup>(١)</sup> قائم كذلك على التفريق بين المشروع الذي يمثل المقاصد والمنظفات التي يجب أن يكون عليها عمل البلاغي في بنائه المعرفي، والمنجز وهو ما تحقق فعلاً وعياناً ووصل إلينا، إذ يقول العمري : "لقد قادني البحث في موقع الموازنات الصوتية من الرؤية البلاغية [ ... ] إلى تكوين تصور عام عن مسارات البلاغة العربية وخلفياتها الفكرية والأيديولوجية، كما قادني إلى اكتشاف الفروق بين المشاريع والمنجزات وما يؤدي إليه ذلك من تضارب بين منطوق نصوص من المؤلف البلاغي الواحد."<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2010، ص: 277.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه : ص: 15.

فمن بين دعائم اختيار الأعمال البلاغية عند العمري تحقق المنطلقات والمقاصد المسطرة في المنجز الفعلي .

ولهذا نجد العمري قد اختار دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، ثم سر الفصاحة ليختتم الحديث عن الامتدادات بمنهاج البلاغة لحازم القرطاجي لأن كل واحد من هذه المشاريع كان له منطلقات نظرية ومقاصد وضعها وعمل على تحقيقها في منجزه .

لكن يجب أن نتبين إلى أن نظرة العمري لبعض الأعمال البلاغية وقراءته لها قد توصف بالإجحاف ؛ خاصة ما يتعلق بتصنيف السجلماسي والماراكشي ضمن تيار البديعيات مع أصول البلاغة الأولى خاصة ما أطلق عليه النقد التطبيقي الناشئ عن الخصومات بين القدماء والمحدثين والتي تطورت وأصبحت على شاكلة الدرس البديعي الذي يصفه العمري بالتكلارية والتراكم دون توفر النسق ولذلك لا يدخل ضمن نطاق اهتماماته في الحديث عن المشاريع الكبرى في تاريخ البلاغة العربية، ويقول العمري : "إن هذا الجهد الذي بذله البديعيون لم يتجاوز التصنيف إلى التفسير فهم وإن عايشوا الجدل حول سر الفصاحة وأسرار البلاغة فإنهم لم يتموا بكشف السر المختفي وراء كل الصور، [...؛ وهذا كانت عملية التجنيس نفسها بدون روح، لم تختلف كثيراً عن عملية النظم والتحنيط "<sup>(١)</sup>"

هذا هو موقف العمري من مؤلفات البديع، والتي تمثل في رأينا اتجاهها مهما ينبغي الكشف عن مقاصده وخلفياته واستراتيجيات عمله، وفي ذلك نجد صنيع

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2010، ص : 64.

محمد مفتاح الذي درس كلا من الروض المريع والمنزع البديع في كتابه التلقى والتأويل وهو المتمم لمجهول البيان السابق عليه .

يقول محمد مفتاح في دراسته للمنزع البديع : " ومن يرجع إلى الكتاب يدرك مجاهودا جبارا في القراءة وفي التصنيف وفي الترتيب وفي تقديم قوانين للتأليف يسير على هديها الناشر والناظم للإقناع والإمتعاع، كما كان يتغيا قوانين للتأويل تعصم من الهذر والقول في المخاطبات بغير علم " <sup>(١)</sup>

والرجل يصرح في عنوان عمله، بأنها مقاربة تهدف لكشف الأنساق، والعمرى كذلك جعل من توفر النسق معيارا لاختياره المشاريع البلاغية، إذن إقصاء العمري لهذه الأعمال قد يكون للمعنى القدحى الذى اكتسبه معنى البديع في العصور المتأخرة، أو لأن السكاكي جعله تابعا، أو لأن العمري جمع كل الدرس البلاغي البديعى في عملية تعميم شاملة ولم يهتم به، أو ليجعله بابا من الأبواب التي يمكن أن تطرق في المستقبل من الدارسين.

مع أن محمد مفتاح يصرح بأنه قد وجد بهذه المؤلفات ما هو موجود في الدرس البلاغي الجديد، ويقول : " هكذاقرأنا أدبيات في البلاغة الجديدة وفي نظريتها من إبدالية وتشبيهية فاعتقدنا أنها من بنات أفكار البلاغيين المعاصرين، ولكننا لنثبت أن وجدنا ابن البناء يذكر الاستعارة التناصية الإبدالية والاستعارة التشبيهية " <sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> محمد مفتاح، التلقى والتأويل مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط 3 2009، ص: 61.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه: 82.

ويعرج على السجلماسي الذي اعتمد المقاربة الأرسطية في معالجته للبديع في البلاغة العربية وقد كان هدف السجلماسي أن يقوم بإحصاء: "قوانين أساليب النظوم التي تشتمل عليها الصناعة الموضوعة لعلم البيان"<sup>(١)</sup>

فالرجل يصرح بالهدف والمقصد، ويزيد مفتاح على ذلك، بأن هذا التيار البلاغي البديعي تأثر بها هو أرسطي، وتواافقه مع ما نجده عند الغرب، راجع إلى وحدة الطبيعة البشرية، وهنا نفهم سر اختلاف موقف العمري عن موقف أستاذه، ذلك أن العمري لم يضع مسألة الكونية، والكليات الفطرية، وقراءة النسق الفكري، والسياسي المرافق للأعمال البلاغية ضمن منطلقاته، وإن اهتم بالسياق الفكري المذهبي، وهو الذي مكنته من فهم ابن سنان الخفاجي، فلو سخر قراءة مماثلة وموسعة للبديعيات المتأثرة بنظرية المقولات الأرسطية لخرج بنتيجة معايرة، ولتمكننا من رؤية مشاريع أخرى تنضم إلى النماذج الثلاث التي اختارها في القسم الثاني من الكتاب الذي نحن بصدده اتخاذه وثيقة لاكتشاف قراءة البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة بعد أن حاولنا تبيان العناصر الأصلية فيها والتي تؤهلها للوقوف جنبا إلى جنب مع الدرس البلاغي الجديد.

## ب/ البحث في الخارج :

بعد أن حاولنا الوقوف على شبكة العلاقات الداخلية التي قام العمري بنسجها وتحديد نسقها وعلى أساسها اختيار المسارات الكبرى التي سيدرسها، نأتي إلى السبيل التي استعن بها لرؤية البلاغة العربية والكشف عن المغيب منها، هذه السبل التي

---

<sup>(١)</sup> السجلماسي، المتنع البديع في تحنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، الرباط المغرب، ط١، 1980، ص: 180.

أتاحها له الدرس المعاصر الجديد، والعمري تمكن من هذه السبل من خلال القراءة والترجمة والمساءلة .

#### - أولاً: القراءة :

المقصود هنا بالقراءة، هو تلقي العمري للوافد الجديد، وطريقة فهمه وتأويله، ومن ثم استخدامه وتوظيفه في التنقيب عن روافد البلاغة العربية، وكشف الغيب منها .

وقد كان عمل العمري على الخطاب الإقناعي، خطوة أولى في دراسة الغيب والمنسي من بلاغتنا العربية ونصوصنا الشرية والخطبة منها على وجه التحديد، "ويستعين العمري في عمليته البحثية هذه بجهاز مفاهيمي [...] يجمع إلى القديم وعيًا جيداً بالبلاغة المعاصرة، وإحساساً مبكراً بالبلاغة الحجاج"<sup>(١)</sup>

إن قراءة العمري خاصة في بعدها التأويلي الذي ينتفع بالنصوص لا من أجل فهمها، بل لتجاوز ذلك إلى فهمها<sup>(٢)</sup> إن قراءته لما كان يتوجه الغرب خاصة مع الدراسات الأولى التي اهتمت ببلاغة الحجاج وحضرت إعادة مكانة البلاغة فيها وهو الاتجاه المنطقي والفلسفي الذي قاده شاييم بيرمان، قد حدثت في وقت مبكر حين كان النقد العربي المعاصر مفتوناً بالبنيوية والبنيوية التكوينية وفي حالات نجده كان لا يزال يعمل بالاتجاهات السياقية والفنية، "وما يلفت الانتباه في ذلك الوقت

---

<sup>(١)</sup> محمد سالم محمد الأمين الطلبة، *الحجاج في البلاغة المعاصرة*، دار الكتاب الجديد المتحدة بيروت لبنان، ط1، 2008، ص: 255.

<sup>(٢)</sup> ينظر: محمد اليملاحي، *أسئلة الفكر البلاغي في المغرب*، ضمن البلاغة والخطاب، إعداد وتنسيق محمد مشبال، دار الأمان الرباط، ط1، 2014، ص: 248.

المبكر، ضمن قائمة المصادر والمراجع، كتابين لبرمان هما :**مصنف في الحجاج**  
**" وإمبراطورية البلاغة " وقد أحال المؤلف، في متن الكتاب، على هذين الكتابين ست**  
**مرات في الصفحات : 71، 77، 78، 128، 130.<sup>(١)</sup>**

إن قراءة العمري للمنجز الحجاجي الغربي فتحت أمامه آفاقاً جديدة لتحليل الخطاب العربي لاكتشاف آليات إنجازه، وكانت الخطابة الميدان الذي عمل عليه في مؤلفه الأول : في بلاغة الخطاب الإقناعي، والملفت للنظر هو استيعاب العمري للنظرة الحجاجية البلاغية الغربية وعدم تطبيقها مباشرة على النص العربي إلا بعد المرور على خصوصيات البيئة التي أنجزت هذا الخطاب، وكذلك فحص رأي البلاغة العربية وإن كان غير ظاهر في عمله بشكل جلي، فالعمري عندما يقرأ الأعمال البلاغية الغربية يحاول إجراء عملية تأويل لمضامينها ولا يسارع لتطبيقها على النص العربي مباشرة ولهذا كان تحليله لنص الخطابة في القسم التطبيقي لعمله خاضعا للرؤى العربية أولاً ثم يستعين بالخطاطة الأرسطية عبر برمان، فالرجل لم يأتِ بال قالب الحجاجي الجديد ويطبقه بشكل تعسفي على النصوص العربية، وإنما استدعي كل الخلفيات التي تقف وراء النص وتقف وراء تحليل القدماء له .

كذلك نجد قراءة العمري لجامعة مو "Mu" وتأثره بها في مسألة البلاغة العامة واستفادته من كييدي فارغا kibedi varga rhétorique générale البلاغة والأدب، فلو رجعنا مثلاً إلى قراءة العمري لتيار جامعة مو فإننا نجد قراءته لمشروعهم كانت قراءة تعمل بالتوابي مع الوعي بما هو موجود في التراث العربي، فيذكر اتجاههم ضمن التيارات الكبرى للبلاغة الحديثة باعتبار الجماعة تهتم بالصور

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 251.

البديعية أو التيار الشعري البديعي ثم يشير إلى أن هذه الصور (بالمفهوم الذي قصده ابن المعتر)<sup>(١)</sup>، وهناك قراءة لا تعتمد عنصر النظرة المتوازية أو المقارنة، إنما تعمل على بناء نموذج بلاغي طبيعي؛ يحترم الخصوصيات العربية للمنجز اللغوي ومميزات الدرس البلاغي العربي ويعمل على إتام الناقص منه بالاستفادة مما هو غربي بما أن البلاغة العربية حلقة مهمة لاستكمال البلاغة العامة العالمية، وهنا نجد العمري يقدم مشروع البلاغة العامة من خلال قراءته لهنريش بليث وكبيدي فارغاً، خاصة عندما ترجم للأول .

ومن الضروري التساؤل، عن منهج العمري في قراءته للوافد الجديد القادر من الغرب؟ فالرجل كان متسبعاً بالترااث العربي، ليس في طور دراساته الجامعية، بل من قبل ذلك، من أيام الكتاب الأولى، ولهذا فقراءته للمعطيات البلاغية والنقدية الجديدة تمت باحترام الخصوصية التي يتميز بها الترااث العربي، وكذلك كانت تبحث في الدراسات الغربية بعيون عربية، تمتلك خلفيات تمكنها من استكشاف الجديد والاستفادة منه، وفهم القديم في ضوئه، وكان البحث في جذور الدراسين العربي والغربي يمنع من تغليب رؤية أحدهما على الآخر، أو تقييده، مع أن العمري يصر على السير وفق المسار الأرسطي<sup>(٢)</sup>، متبعاً أعلام الفكر العربي في قراءتهم المذهبة لمنجزاته (فن الشعر والخطابة)، لكنه يسير على هذا الطريق محترماً خصوصية المتن العربي، وخصوصية العقلية العربية ذات البعد الإسلامي .

---

<sup>(١)</sup> ينظر: محمد العمري، *أسئلة البلاغة، أفريقيا الشرق، المغرب*، 2013، ص: 29.

<sup>(٢)</sup> ينظر: *أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة*، ص: 284.

كان الحوار هو المحور الذي أقام العمري عليه منهجه، في قراءة الدرس البلاغي والنقدi الجديد، حوار بين التراث والحداثة، ويرفض العمري أن يكون لمسيرته العلمية مساران، بل يؤكد على أن "المسار واحدٌ وحيدٌ، وهو البحث عن بلاغة عربية حديثة من خلال الحوار بين التراث العربي والمناهج والنظريات الأدبية الحديثة".<sup>(١)</sup>

هذا الحوار الذي يجريه العمري في مشروعه، يكتسب شرعية التجديد والحداثة من مطالب المشاريع التراثية، ويكتسب التأصيل من العلاقات التي تبني بين الجديد والقديم، لأننا عندما نمحض النظر في قضيائنا البلاغية، سنجد أنها تشتراك مع بلاغات أخرى، لأنها إنجاز إنساني، يجمع بين علوم الإنسان وعلوم اللسان، وما لا سبيل لإنكاره، أن القدماء وأشاروا من خلال حديثهم عن القوانين الكلية للصناعة الشعرية أو الخطابية مثل هذا الأمر، والواجب علينا أن نسعى للتحقق ، أو لتحقيق ذلك الأمر .

#### - ثانياً: الترجمة والمساءلة :

"الترجمة تعني الفهم والتأنويل معاً، وهذا يتضمن نقل نص من لغة طبيعية إلى لغة أخرى"<sup>(٢)</sup> هذا الأمر يبارسه كل مترجم ؛ فالنقل من لغة إلى أخرى تجري في خضم فعاليات الفهم والتأنويل، ولكل مترجم آفاقه وخلفياته التي تتم من خلالها عملية النقل .

---

<sup>(١)</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص: 284.

Paul aron Kdenis saint jacques alain viala Le dictionnaire du littéraire ;puf France <sup>(٢)</sup>  
2eme éd 2010 ,p:775.

وإذا رجعنا إلى أعمال العمري ضمن مشروعه نجده استهدف بالترجمة عملين هامين هما :

- بنية اللغة الشعرية لجان كوهن، وكانت الترجمة بالاشتراك مع محمد الولي .
- البلاغة والأسلوبية لهنريش بليث .

وكان عمله في ترجمة هذين العملين متوازياً مع بحثه البلاغي، بل إن ترجمته كانت تستهدف التنقيب عن فهم الغرب للبلاغة، أو توضيح العلاقة بين ميادين مثل الشعرية والأسلوبية بالبلاغة .

فاهتمامنا بالترجمة كمرتكز خارجي، في بناء مشروعه البلاغي، هو كشف عن المساءلات التي أراد العمري طرحها، وإيجاد حلول لها على مستوى الدرسین النقاديين العربي والغربي، ونعرف بإمكانية تناول الترجمة عند العمري موضوعاً منفصلاً، يعمل على الكشف عن آليات الرجل، وخلفيات فهمه وتأويله ومقاصده بالموازاة مع أسئلة البلاغة العربية، لكننا هنا نريد أن نصل إلى إجابات عن أسئلة من قبيل :

كيف اختار العمري أعمالاً بعينها دون غيرها وقرر ترجمتها ؟

ما الذي خرج به العمري من ترجمته لبنية اللغة الشعرية، والبلاغة والأسلوبية ؟ وما أثر ترجمته وفهمه للعملين على بحثه في البلاغة العربية ؟

فنجد العمري يبين بأن ما دفعه لترجمة عمل هنريش بليث هو ذلك التشتت الذي تعشه الدراسات العربية النقدية في المستوى الجامعي، بين سيميائيات وشعرية وأسلوبية وغيرها، من المقاييس التي تتناثر تناثر النجوم في السماء، إلا أن للنجوم نظاماً يحكم تحركاتها، ويربط علاقات تناظراتها مع الكواكب، وهذا ما لا نجده بين هذه

المجالات العلمية في الجامعة، هذا من جهة، ومن جهة ثانية وجد فيه العمري نموذجا يحاور النظريات القديمة والحديثة ويفتح باب الاجتهاد والاقتراح<sup>(١)</sup>.

وترجمة العمري لهذا العمل أدخلته ضمن أجواء بناء البلاغة العامة، التي سنجد الدعوة لها، وملامحها ضمن أعمال : البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، وأسئلة البلاغة، ويقول في ملخص ترجمته : "ينصي هذا البحث ضمن مشروع كبير لبناء بلاغة عامة جديدة تستوعب إنجازات البلاغة القديمة وتستفيد من اتجهادات الأسلوبية الحديثة، محاولة تجذير جوانب النقص فيها باقتراح نموذج يقوم على نظرية الانزياح في التركيب والدلالة والتداول"<sup>(٢)</sup>

إن فهم العمري لمفهوم هنريش بليث كانت تصب لصالح بناء نموذج البلاغة العربية العامة، واستحضار المغيب منها، مما جعل ترجمة العمري تكون قراءة، وفهمها، وتأويلا يحصل دائمًا، باستحضار البلاغة العربية، فمثلا عندما يتحدث بليث عن كون البلاغة القديمة فكر نسقي يعمل على الحفاظ على قوانين يتبع حسبها الخطاب، يجعل العمري هذا الأمر قابلا للنقاش في البلاغة العربية؛ لأن هناك تيارا بلاغيا يقوم على دراسة النصوص واستخراج مكالمتها وإمكانياتها البلاغية والجمالية.<sup>(٣)</sup>

فقد كانت الترجمة محورا ثانيا بنى من خلاله العمري مشروعه ونظر في ضوئه إلى البلاغة العربية، لكنه لم يحاكي النموذج الغربي، بل سعى لفهم خصوصيات الدرس البلاغي العربي، والاستفادة من الاتجاهات الغربية قدر ما تسمح به الظروف،

---

<sup>(١)</sup> هنريش بليث، البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999، ص: 09.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 11.

<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص: 23.

وبنية النصوص المتوجة، والمكونات النظرية، والآليات التطبيقية للجهاز البلاغي الراصف .

وقد كان العمري يفكر في غيره من الدارسين، عندما كان يتوجه لترجمة عمل معين، لإيمانه بأن الدرس الجديد(باعتباره عدة وأداة منهاجية<sup>(١)</sup>) ضروري ليتمكن الدارسون من فهم الحاضر، ليس بأعين الماضي، ولا بأعين الآخر وأهوائه، بل وفق ما تميله الحقيقة التي يتضمنها التراث، والضرورة التي توجها مستلزمات العصر الحاضر .

### 3- خلفيات القراءة، وموجتها، وسؤال المنهج :

لكل مشروع خلفيات تقف وراء بنائه، وموجها تسير خطوطه الكبرى، وسؤال المنهج هو الخريطة التي يتحدد من خلالها خطوط الطول، والعرض التي سيت موقع من خلالها هذا العمل، كذلك نحن مع العمري سنكشف عن الخلفيات، والموجها، وستطرق لمسألة المنهج الذي اخذه العمري عمدة في عمله .

ولن نتكلم عن التراث العربي، باعتباره خلفية لأن العمري كانت انطلاقته من التراث، لكن لو اقتصر الرجل على التراث لما استطاع أن يشكل أسئلته، التي قادته نحو بناء هذا المشروع، فمسألة اعتماد التراث كخلفية، أمر لا مفر منه، لكنها خلفية، كان الرجل مضطراً الدعمها بأفكار وافدة، لاستكمال الحلقات المفقودة .

تنتهي أعمال العمري إلى تيار الدراسات البلاغية التي تريد الكشف عن الدرس البلاغي العربي، بالاستعانة بالنظريات الغربية، دون قولبة أو تعسف أو ذوبان

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، ص: 284.

في الآخر، فالعمري على وعي بما خلفه السابقون من العرب واللاحقون والأمر بالمثل مع القديم والجديد الغربي<sup>(١)</sup>

لكن تبرز الخلفيات الغربية التي وجهت نظر العمري وقادته نحو اتخاذ منهجه بعينه دون آخر فتتجزء ذلك نظرة العمري إلى المسائل البلاغية والتاريخ البلاغي تشكل رؤيته الخاصة دون غيره من الباحثين، وكان على رأس الخلفيات التي قادت العمري منذ أعماله الأولى حتى عمله الذي نركز عليه وهو : البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، كانت البنوية من أهم الخلفيات التي وجهت رؤيته ومنهجه في البحث والتنظيم، ونجد التداولية والحجاج من أهم الجزئيات التي حضرت عند العمري بالإضافة إلى إدراجه لرؤيه التلقني التاريخي في قراءة الأعمال البلاغية ويخضر إلى جانب ذلك تيارات نقدية وبلاعية معاصرة أسندت مشروعه .

#### أ/ الخلفيات الغربية:

##### - أولاً : البنوية :

تعرف البنوية (Structuralisme) على أنها تيار / منهجه / طريقة في البحث ناتجة عن تظافر عدة تيارات من الشكلانيين الروس ومجموعة براغ والأنثروبولوجيا واللسانيات البنوية وهذه التيارات وجدت سندها في أعمال فرديناند دي سوسير .<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2008، ص: 243.

<sup>(٢)</sup> ينظر : paul aron ,denis saint jacques ;alain viala; Le dictionnaire du littéraire ,puf,2eme ed 2012 p:735.

كذلك هي "نظريّة نقدية مكتملة الآليات [...][ا]خذت من اللغة أساساً لها في البروز على الساحة النقدية، ليس اللغة كأداة للتواصل والتعبير، بل هي هنا غاية في حد ذاتها، لا تحيطك إلا على معجمها الداخلي كنظام من العلامات"<sup>(١)</sup>

وتحظر الكلمة النظام/النسق في كل حديث عن البنية باعتبار البنية نقلة عن بياجي (Piaget) لا بد أن تتصف بالشمولية (اتساق وتناسق البنية داخلياً) والتحول (تأثير وتتأثر)، ذاتية الانضباط (عدم اعتقادها على مرجع خارجي)<sup>(٢)</sup>

إن فكرة النسق هي المحور الذي تدور عليه البنية والبنوية، وهذا ما تشتراك فيه مع فلسفتي ديكارت وكانت، فهي تعمل على جعل الذات حبيسة سجن النسق ونسقها هو اللغة وعند العقليين هو العقل<sup>(٣)</sup>، فرحلة البحث البنوي هو رحل بحث عن النسق واكتشافه أو جمع التصور المشتت تحت طائلة نظام نسقي .

فكرة النسق هذه أخذها محمد العمري واستعان بها في إطار إعادة قراءة الدرس البلاغي العربي والكشف عن تiarاته واتجاهاته وربط العلاقات (وفكرة العلاقة فكرة محورية عند البنويين) واكتشاف الأدوار التي يؤديها كل اتجاه ضمن نسقه أو ما يفيد به أنساقاً أخرى، لأن البلاغة العربية ليست مجموعة من المؤلفات والأسماء والفنون

---

<sup>(١)</sup> بارة عبد الغني، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 2005، ص: 96.

<sup>(٢)</sup> ينظر: ميجان الرويلي وسعد البازعي، دليل الناقد الأدبي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط5، 2007، ص: 71

<sup>(٣)</sup> ينظر: بارة عبد الغني، إشكالية تأصيل الحداثة، ص: 98.

الكلامية لا صلة بينها عيت في الحي انتسابا، وفي أحياناً نجد أعمالاً لا نستطيع تصنيفها ضمن الاهتمام البلاغي لغياب الوعي النسقي .

لكل هذا يقول محمد العمري : "لا شك أن للمعالجة البنوية اللسانية، جدوى كبيرة في استخراج الأنماط وتفسير الفعالية "<sup>(١)</sup>

فعمل العمري على المشاريع البلاغية التراثية تمكن من تصنيفها وتتبع مساراتها أو ما أسماه بخطوط الطول والعرض كانت البنوية بمفهوم النسق الذي تحمله هي الموجه في تغليبه على الرؤية، بل إننا نجد الرجل أصبح يبحث لا عن النسق كوصف تتسم به التيارات البلاغية العربية، بل في داخل أعمال البلاغيين وما أحاط بهم من دراسات لغوية ودينية، وهنا يصبح للنسق مفهوم خاص ضمن مشروع العمري فيقول : "لقد تقوى مفهوم النسق والبنية في البحث العلمي العربي منذ البداية، عندما غلب القياس على الرواية . القياس الذي يقوم على استقراء الظواهر واستخراج نظامها الخفي الذي يترجمه الاطراد [...][فالم نسقي كان حاضراً في أعمال البلاغيين العرب

<sup>(٢)</sup>"

و عمل العمري في قراءة المؤلفات البلاغية كان يحدوه هم نسقي يسعى دائياً لاكتشاف النسق المهيمن على المؤلف وهل لديه حقيقة سؤال بلاغي يقوم على أساسه ؟ هو السؤال الذي يكشف من خلاله العمري وجود النسق من عدمه وعدم النسق هو التراكمية التي لا تجمع بين أوصافها مقاصد محددة، ونحن إذا حاولنا تأصيل الرؤية

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2010، ص:

.11

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص:15.

النسقية فإننا سنجد الرازي في نهاية الإيجاز يعمل على طريقة العمرى مع الفارق في العصر والرؤى والآليات، إذ إن فخر الدين الرازي توجه نحو عملی الجرجانی الأسرار والدلائل وحاول استنباط القوانين العقلية التي يقومان عليها، وفي ذلك نجده يصرح قائلاً : "ولما وفقي الله تعالى لمطالعة هذين الكتابين التقطت منها معاقد فوائدها ومقاصد فرائدها وراعيت الترتيب مع التهذيب والتحرير مع التقرير [...] وجمعت متفرقات الكلم في الضوابط العقلية "<sup>(١)</sup>.

ويبني الرازي فيها بعد عمله هذا على مقدمة وجلتين وهذا ما يوحى بالنسق العقلي والمنطقى لعمله، فالقراءة النسقية نجد لها أصولاً في التراث لكنها للأسف لم تمارس بطريقة موسعة وناجحة كما هو الحال عند الرازي أو ابن رشد في قراءته للخطابة .

وهناك أثر ودليل آخر على حضور الرؤية النسقية (البنوية) عند العمري، ذلك من خلال استخدامه للخراط المفاهيمية والمخطوطات، باعتبارها لغة واصفة ميسرة، وضابطة للعلاقات، وموضحة للأصول والتعالقات، ويزرع العمري في ذلك، معطياً لعمله بعدها بيداغوجيا، ويجعل الدرس البلاغي في مساراته "خريطه واضحة المسالك موصلة الواقع . وبهذا تحول كتابة البلاغة العربية من الإنسانية الموضوعاتية والتاريخية إلى النسقى البنائية والتأويلية "<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> فخر الدين الرازي، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق: نصر الله أوغلي، دار صادر بيروت لبنان، ط1، 2014، ص: 25.

<sup>(٢)</sup> محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، ضمن: البلاغة والخطاب، دار الأمان الرباط، ط1، 2014، ص: 255.

لكن العمري لا يريد أن يجعل من الدرس البلاغي العربي أسيرا داخل أنساقه، إنما يسعى دائمًا إلى تبيان علاقاته مع بقية الأنساق (الخارجية)، عبر عملية تأويلية تحاول الكشف عن العلاقات وتبير الأصول والمنطلقات، لأن صاحب المشروع يدرك أهمية دراسة المصادر والملابسات التي أنشأت هذا الدرس، لكن البلاغة العربية تتعمى إلى نسق الثقافة والحضارة العربية، وهذه الأخيرة يسعى العمري إلى إحلالها محلها الطبيعي والتاريخي في سياق الثقافة العالمية من خلال البلاغة.

#### - ثانياً: التداولية ونظرية الحجاج :

ليس من العسير إيجاد صلة بين التداولية والبلاغة، فالدراسات التداولية وسعت أجزاء بعضها من خطابة أرسطو معطية وجهاً جديداً لها، لا ينافق البلاغة وإنما يثير جوانبها، وفي ذلك يقول صلاح فضل: "التداولية العلم الذي يعني بالعلاقة بين بنية النص وعناصر الموقف التواصلي المرتبطة به بشكل منظم، مما يطلق عليه سياق النص، ويأتي مفهوم التداولية هذا ليغطي بطريقة منهجية منظمة المساحة التي كان يشار إليها في البلاغة القديمة بعبارة مقتضى الحال"<sup>(١)</sup>

لكن الدراسات التداولية لم تقف عند هذا الحد، بل طورت اتجاهاتها خاصة اللسانية، والتي تصنف اهتماماتها ضمن البلاغة خاصة ما يتعلق بمواضيع التشبيه والاستعارة والمجاز<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، 1992، ص: 21.

<sup>(٢)</sup> ينظر: محمد اليملاحي، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب، ضمن البلاغة والخطاب، دار الأمان، الرباط، ط1، 2014، ص: 242.

أما الحجاج أو بلاغة الإقناع، فقد أعلن عن وجوده وفرض نفسه باعتماد الفعل والتأثير عبر الفعل الكلامي، خاصة الحجاج اللساني عند ديكرُو، فنظريته "تَهتم بالوسائل اللغوية وبإمكانات اللغات الطبيعية التي يتوافر عليها المتكلّم، وذلك بقصد توجيه خطابه وجهة ما، تمكنه من تحقيق بعض الأهداف الحجاجية، ثم إنها تنطلق من الفكر الشائعة التي مؤداها: إننا نتكلّم عامة بقصد التأثير"<sup>(١)</sup>

فالإقناع حسب ديكرُو (Ducrot) يقع بشكل طبيعي ضمن أي خطاب، ومحمد العمري انطلق في عمله بلاغة الخطاب الإقناعي من طرح مقارب لهذا الطرح خاصة اعتماده على جزئية اللغة والأسلوب لبيان مكامن الحجاج ضمنها.

ومن الضروري أن نقف لمناقشة مصطلح "الحجاج"، "الخطابة" و"البلاغة"؛ وفي رأينا أن الحجاج لا يعدو أن يكون وجهة من وجهات البلاغة أو جزءاً أو نسقاً من أنساقها وهو ذو أهمية، ولكن لا يمكن تعميمه على كلّ البلاغة، وهو عنصر حاضر في أنواع كثيرة من الخطاب، لكن ليس عمدتها التي بنيت من أجله، أمّا الخطابة والبلاغة فترك المجال للمترجم الفذ والدارس الذي تتوّق دوماً لقراءة منجزاته باحترام وتعّن، وهو الأستاذ الدكتور محمد الولي في مقدمة ترجمته للاستعارة الحية vive La métaphore لبول ريكور Paul Ricœur حيث يقول في سياق عرضه لتاريخ الدرس الاستعاري عند الغرب ضمن الخطابة الأرسطية وما جاء بعدها من

---

<sup>(١)</sup> أبو بكر العزاوي، الحجاج في اللغة، ضمن الحجاج مفهومه و مجالاته، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2010، ج1، ص:56.

شرح وتألیف لاتینیة : " وحينما تم اختزال المقومات الخطابية إلى محسّنات ، كفت الخطابة عن أن تكون خطابة لكي تصبح بلاغة ، أو بالأحرى بلاغة محسّنات "<sup>(١)</sup>

فالخطابة أصلّق عند الغرب بالإقناع والبلاغة بالتحسين الجمالي ، ولكن عندنا وفي تراثنا العربي ، الخطابة فن أدبي إقناعي ، والبلاغة هي علم يدرس الخطابي والشعري والسردي ، فهي مصطلح يرتفع ليشمل كلّ أنواع الخطاب ، ونجد البلاغة عند المؤخرین يقصدون بها البديع أو علوماً ثلاثة (معانٍ / بيان / بديع) وهذا مفهوم قاصر مختزل جاءت الدراسات المعاصرة لتعديلها وإرجاعه إلى نسقه الأصيل ، لتعود البلاغة العربية إمبراطورية تعمّ كلّ أنواع الخطاب دراسة وتحليلاً .

كذلك عند الغرب كانت الخطابة سيدة الإقناع ، ثم جاء زمن تحولت فيه إلى بلاغة محسّنات تزيينية عند اللاتين والقرون الوسطى حتى القرن 19 وببدايات القرن 20 ، لتعود مع دراسات الحجاج إلى خطابة جديدة (بلاغة جديدة ) Nouvelle Rhétorique ، ثم تصبح بلاغة جديدة وعلماً يدرس كافة أنواع الخطاب اللغوي وغير اللغوي (الإشهاري ... ) ، فهي إمبراطورية عامة .

أما نظرية الحجاج كما يعرضها بيرلان وتيريكا في كتابيهما : " مصنف في الحجاج " و " بيرلان في إمبراطورية البلاغة " فأول عهدهما بالبحث كان في المجال القانوني

---

<sup>(١)</sup> مقدمة محمد الولي لترجمة كتاب : الاستعارة الحية ، بول ريكور ، دار الكتاب الجديدة المتحدة ، ط 1 ، 2016م ، ص 12.

والتشريعي، وهناك بدأ بالبحث عن منطق للقيم، ووُجِدَ أنَّ ما كانا يبحثان عنه قد تضمّنه علم قديم مستبعد هو الخطابة القديمة ذات المركبات الحجاجية<sup>(١)</sup> واعتبر بيرلمان أنَّ الحجاج هو البلاغة الجديدة، وهي مؤسّسه على فكريتين جوهريتين :

وجوديَّة ظاهريَّة = ترتكز على مقوله هيدغر Heidegger بأنَّ اللغة هي الوجود بكل أبعاده وهي مسكن الإنسان ومن خلالها تتحقّق رؤيته للعالم<sup>(٢)</sup>. تأويليَّة هرمينوطيقيَّة (herméneutique) = " مفادها ضرورة الانطلاق من اللغة المرسلة في مقام معين، ثم تفكّيكها والغوص فيها للوصول إلى مكوناتها الأساسية وعلاقتها بالمتكلّمين والمخاطبين ".<sup>(٣)</sup>

ويعرّف بيرلمان الحجاج بقوله : " موضوع هذه النظرية هو دراسة تقنيات الخطاب التي تؤدي إلى التسلیم بالأطروحتات المعروضة عليها أو الزيادة في درجة التسلیم "<sup>(٤)</sup>

---

Ch,perelman ,l'empire rhétorique :rhétorique et argumentation ,édition :Librairie philosophique ;paris :1977; p:10.

(٢) هذه الفكرة مستنادًا ذكره أستاذنا الدكتور عبد الغني بارة في محاضراته الفذة بجامعة سطيف في مرحلة الماجستير في مقياس نظرية التأويل التي فتحت لنا نوافذ ما كان لنا بها من علم فقط .

(٣) محمد سالم محمد الأمين الطلبة، الحجاج في البلاغة المعاصرة، دار الكتاب الجديد المتقدّم، 2008، ط 1، ص :105 .

Ch,perelman et Lucie Olbrechts-tyteca ; Traité de l'argumentation ; éd:univ bruxelles p:05 .

فبىرلان يجعل من الحجاج رديفا مطابقا للبلاغة، ويتميز الحجاج عند بيرلان بملامح رئيسية هي :

- أن يتوّجه إلى مستمع .
- يعبر عنه بلغة طبيعية .
- احتمالية مسلّمه .
- ألا يفتقر تقدّمه إلى ضرورات منطقية محضة .
- نتائجه احتمالية غير ملزمة ولا حتمية .<sup>(1)</sup>

ويمكن القول بعد النظر في مشروع بيرلان وتيتكا بأنّ الحجاج ذو صبغة فلسفية غير ميتافيزيقية، فهو أكثر اهتمامه بخطاب كوني وهذا ما يفرقه عن الخطابة ذات الاهتمام الجماهيري / الخطابي الذي يصنع القبول أو يزيد فيه، وكذلك يستفيد من الحجاج الخطابي والاستدلال المنطقي بحسب نوعية المستمعين، وللحجاج أنواعه من حجاج اقناعي L'argumentation persuasive وهو راجع إلى مخاطب خاص وجداً محدوداً يعتمد الخيال والعاطفة، ومن حجاج اقناعي L'argumentation convaincante يعتمد على الحرية والعقلانية وهو كوني عام ومطلق، وللحجاج أطروه ومكوناته وطرقه<sup>(2)</sup>

---

<sup>(1)</sup> ينظر : أوليفيي روبيول ، هل يمكن أن يوجد حجاج غير بلاجي ، تر محمد العمري ، ص 77.

<sup>(2)</sup> أحسن من عرض نظرية بيرلان هو د.الحسين بنو هاشم في عمله الجنيل : نظرية الحجاج عند شايم بيرلان ، دار الكتاب الجديدة ط1، 2014م، لأنّ هذا الموضع الذي نحن فيه إنّما هدفه تبيان الحجاج باعتباره خلفية من خلفيات القراءة عند العمري وليس المدف منه التعريف بالحجاج وأطروه ومنطلقاته وطرقه الاتصالية والانفصالية و....و....

وقد أصبح الحجاج بنظرياته محطّ أنظار الدّارسين، يقاربون من خلاله نصوصهم، مثلما فعل د عبد الله صولة في القرآن الكريم، وكذلك د سامية الدريدي في عملين مميزين : " الحجاج في الشعر العربي القديم بنيته وأساليبه " وكذلك : " دراسات في الحجاج "

ونظريّات الحجاج التي تمثّل شطراً منهاً من البلاغة الجديدة، ليست مناهج نقدية كما يعتقدوها ضعيف الرأي وقليل الرزق المعرفي ممّن يتسبّب إلى الجامعة أو غيرها من المعاهد، بل هي بلاغة تحلل الخطاب بالآيات وليس من وظيفتها التقسيم والحكم، فهذا منطق النقد، والنقد اليوم يعيد حساب مساحاته المخصصة له من قديم الزمن، فيبدو أنّه قد تعدّاها وأخذ كثيراً من أقاليم البلاغة وادعاهما لنفسه ، والآن نحن في عصر البلاغة، لأنّ النقد للأسف الشديد لم يقدّم إجابات منهجية عن كثير من مضامين الخطاب، وحسبه أن يكون ميداناً للأحكام والرؤى المعللة التي يأخذ زاده النظري لتأسيسها من الإمبراطورية الكبرى وهي البلاغة ومنها يستمدّ آلياته ليقيم أحکامه، للنقد مجالاته ومناهجه ولكن ليس منها بكلّ تأكيد الحجاج، فالحجاج نسق بلاجي نظري وإجرائي .

ولنظريّة الحجاج أثر واسع عند العمري في كتابه الأول وحتى في دراسته التالية، لكن العمري لم يتخذ الحجاج قالباً يطبقه على النصوص، بل اتخذ مسلكاً من بين مسالكه لبناء عمل البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، وفي الحوار الذي نسوقه أكبر شاهد على ذلك وهو من إنجاز محمد الولي وإدريس جبري :

" أقمتم كتابكم : البلاغة العربية، على مفهومين قرائين عامين هما : البعد البيداغوجي، والبعد التأويلي، فهل استطعتم أن تنجزوا بهذين المفهومين قراءة جديدة وشاملة للبلاغة العربية ؟

هناك بعد حجاجي كذلك في الكتاب، إلى جانب البعد البيداغوجي والتأويلي، كأني أبرهن على قضايا مشكوك فيها، أركز أحيانا على التفاصيل (مثل التركيز على مدخل كتاب مفتاح العلوم) مع خطاطة مجسدة تكون حجة على ما أقول [...] فالجانب الحجاجي مهم في جعل الحوار بناء "<sup>(١)</sup>

هنا نلاحظ استخدام العمري واعتماده على استراتيجيات الحجاج، في بناء مشروعه، لكننا لو تفحصنا جيدا فكرته لوجدنا أن للعمري مفهوما خاصا للحجاج، فكما عرفنا من قبل أديкро وعرض مفهوم الحجاج اللساني وأن اللغة تحمل في طياتها كفاءات حجاجية، ويوجد مفهوم ميشال ماير الذي يقدم الحجاج على أنه: "دراسة العلاقة القائمة بين ظاهر الكلام وضمنيه"<sup>(٢)</sup> ويضيف صولة بأن الضمني هو السؤال والجواب هو ظاهر الكلام، ونجد أثر هذا المفهوم الحواري حاضرا عند العمري في خوضه في مسائل البلاغة العربية ورغبته في إقناع الطرف الآخر بصحة وجهة نظره، فالعمري لم يتخذ الحجاج آلية فاحصة عن قدرات البلاغة العربية الإقناعية، وفقط بل واستثمره في بناء درسه البلاغي، لكننا نجد الحجاج، باختلاف اتجاهاته، يفرق أصحابه بين البرهنة الصارمة، وبين الحجاج القائم على الإحتمال، خاصة عند بيرلان

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013، ص: 258.

<sup>(٢)</sup> عبد الله صولة، الحجاج في القرآن، دار الفارابي، بيروت لبنان، ط2، 2007، ص: 39.

<sup>(١)</sup>; حيث نجد الأولى تشيع في المعاجلات العلمية والرياضية الصارمة، أما الثانية فهي القائمة على الاحتمال، والعمري اختار أن يعالج موضوعا علميا بطريقة احتمالية، كذلك فإنه استخدم الحجاج بطريقتين :

- خارجية : من خلال معالجته لتاريخ البلاغة العربية واتجاهاتها والدفع عن التقسيمات التي أقرها .
- داخلية : من خلال بحثه وتدقيقه في مسألة الإقناع عند الجاحظ، أو ما سماه بـ: المعرفة والإقناع إذ يقول : "يتنازع البيان عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مفهومان أو وظيفتان :
  - 1- البيان معرفة : الوظيفة الفهمية .
  - 2- البيان إقناع، أو الوظيفة الإقناعية .

الوظيفة الثانية هي الوظيفة الصريرة والوظيفة الأولى هي الوظيفة الكامنة المتحكمة في مقدمة الكتاب ."<sup>(٢)</sup>

ونجد العمري بهذا الأمر يزاوج بين مفهومي الحجاج : باعتباره آلية للإقناع أو باعتباره علما يدرس الإقناع وتقنياته، لكنه لا يعلن الخلقيبة الغربية بشكل صارخ يجعل القارئ يضج من حضور الغربي في أحضان التراث العربي ويعكر صفو رؤيته لمجاري واتجاهات بلاغتنا، إنما تشرب العمري المفاهيم الغربية وحاورها بما يستند إليه من

---

<sup>(١)</sup> ينظر : الحسين بنو هاشم، نظرية الحجاج عند شايم بيرلان، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط 1، 2014، ص 30، 31.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق المغرب، ط 2، 2010، ص: 195.

تراث عربي ليستفيد منها دون أن يتعرف في إرغام البلاغة بالاعتراف بها ليس فيها أو أن تقصي جزءاً منها لأن الغرب لا يوجد عندهم أو لم يهتموا به .

ويوضح صنيعه في ما قدمه حول الجاحظ قائلاً : "الفصل الذي خصصته للبيان في كتاب البلاغة العربية كان موجهاً لإبراز بعد الحجاجي في البلاغة العربية من جهة ومحاورة مجموعة من الدارسين الذين كانوا يبحثون عن مصطلحات نقد الشعر في البيان والتبيين "<sup>(١)</sup>

والعمري يستخدم مصطلح التداول، ويقصد به غالباً الخطاب النفعي، والتأثيري الإقناعي، ومنه نستطيع القول بأن مفهوم ديكرو للحجاج بأنه ضرورة لغوية تتوفّر في الفعل الكلامي قصد التأثير، أخذ طريقه إلى فكر العمري، وجعله يعتمد هذا التقسيم، ويتجاوزه إلى المزاوجة بينهما باعتبارها ضرورة حاصلة في الخطابات الإنسانية .

بل نجد العمري، بعد بحثه في أنواع الحجاج، وانتفاءه بين الحجاج المنطقي، والتداويي اللساني، والحجاج البلاغي يتبع الرأي القائل بالدرجات الحجاجية التي تحدد مستوى كل نص ومرتبته في الإقناع من أجل ألا تطغى الرؤية الحجاجية لوحدها على الدرس البلاغي .<sup>(٢)</sup>

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، *أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، أفريقيا الشرق، المغرب، 2013*، ص: 285.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 42.

### - ثالثاً: نظرية القراءة :

قامت هذه النظرية في النصف الثاني من القرن العشرين، معلنة الاهتمام بالقارئ / المتلقي، هذا الجزء الذي كان حاضرا / غائبا في النظرية النقدية، فكل نص يوجه لقارئ، يهتم به ويكتشفه، فحضوره كان ضروريا في دورة التواصل الأدبي، لكن الرؤية النقدية التي اهتمت بالنص، أو بالظروف المحيطة، غيبته عن حساباتها وبرامجها في التعامل مع العمل الأدبي، ولذلك قامت هذه النظرية لرد الاعتبار، وقد تمثلت في عديد الاتجاهات ، يقوم عملها على الاهتمام بالقارئ والتلقي<sup>(١)</sup>، من جماعة برلين إلى مدرسة جنيف، وكذلك المدرسة الفرنسية، إلا أن مدرسة كونستنس الألمانية، هي التي تمثل الشرعية المدرسية التي تؤسس طريقها على أعمال منتظمة، وهذا ما يؤكده أحمد بو حسن قائلا : "تعتبر مدرسة كونستنس الألمانية، بما قامت به من أبحاث، والفرضيات النظرية التي وضعتها في نظرية التلقي، المرجع الأساسي في جمالية التلقي التي ستعيد للقارئ أو لقطب القارئ اعتباره [...] لقد أعطيت أوصاف كثيرة لما قامت به هذه المدرسة، فقيل مرة إنها ثورة في تاريخ الأدب الحديث، وأخرى بأنها وضعت نمط استبدال جديد "<sup>(٢)</sup>

وإذا قمنا بقراءة في المصطلح الأساس، نجد أنفسنا مع اتجاهين اثنين، يجمعهما هم واحد، مع اختلاف الأسلوب والطريقة، فجمالية التلقي يتقاسمها اتجاهان :

---

<sup>(١)</sup> ينظر : Paul aron Kdenis saint jacques alain viala Le dictionnaire du littéraire ;puf France 2eme éd 2010 ,p641.

<sup>(٢)</sup> أحمد بوحسن، نظرية التلقي والنقد الأدبي العربي الحديث، ضمن :نظرية التلقي اشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1993، ص:26.

- نظرية التلقي: تهتم "بالكيفية التي تم بها تلقي النص الأدبي في لحظة تاريخية معينة"<sup>(١)</sup>، ومن الضروري أن تنقب عن خلفيات المتكلمين وردود أفعالهم .
- نظرية التأثير: تعتمد على المنهج النظرية والنصية، لاكتشاف استجابات القراء الافتراضيين، الذين بنى النص استجاباتهم مسبقاً، ولهذا نجد تسمية أخرى لها، وهي الاستجابة الجمالية .

" وأية نظرية عن الاستجابة الجمالية تكمن جذورها في النص ؟ أما أية نظرية عن التلقي فتنشأ من أحکام القارئ"<sup>(٢)</sup>، أما يجمع هذين الاتجاهين تحت سقف واحد مع اختلاف المشارب والطريقة، هو التركيز على عنصر المتكلمي، سواء كان ضمنياً أم كان متكلماً حقيقياً .

فجمالية التلقي تستند إلى التأويل والتاريخ عند هانز روبرت ياووس Hans robert jauss، وتستهدف المدونات وترصد تعاقب عمليات التلقي وتغير أفق الانتظار، أو نظرية التأثير الجمالي عند فولفغانغ آيزل Wolfgang Iser التي تأثرت بالظاهراتية ونظرية القص، فكان عمله على النصوص السردية والكشف عن

<sup>(١)</sup> عبد الكريم شرفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2007م، ص: 143.

<sup>(٢)</sup> فولفجانج إيسير، فعل القراءة نظرية في الاستجابة الجمالية، تر عبد الوهاب علوب، المجلس الأعلى للثقافة، د.ت، ص: 4.

استراتيجيات بناء المعنى من نص وما يحتوي عليه من سجل وآليات أو من القارئ من خلال البياضات والقارئ الضمني<sup>(١)</sup>.

وإذا رجعنا إلى العمل الذي قدمه ياوس، فإنه قد حاور عديد النماذج التي كانت لها كلمة قبل أن يعلن عن نظرته اتجاه تاريخ الأدب، من اتجاه تاربخاني يؤمن بموضوعية بناء اللحظة التاريخية الماضية، وإعادة بنائها وفقا لشروط عصرها، إلى تاربخ الفكر الذي يرصد جواهر الأدب ومتاعياته، وغيرها من المقاربات التي كان ينظر إليها ياوس، باعتبارها تخلق هوة بين التلقي الجمالي وسيورته، وبين العمل التارخي<sup>(٢)</sup>، ولا نستطيع الحديث عن جمالية التلقي عند ياوس دون الإشارة إلى الأصول التي يرجع إليها، والدعائم التي بنى عليها نموذجه في التلقي، فالرجل استفاد ما قدمه الشكلانيون حول اعتبار التاريخ الأدبي تطورا للأشكال الأدبية، وكذلك مفهوم التغريب الذي كان حجر الزاوية في بناء أفق الانتظار، وكان لفكرة تلقي الآفاق واندماجها أثر واضح على منجز ياوس، وهي الفكرة التي وردت كذلك عند هانس جيورغ غادامير (Hans-Georg Gadamer)، والتي تؤكد على التفاعل بين الفهم الراهن للقارئ / المؤول، وبين فهم النص الذي يتمي بحقبة سابقة، ولا وجود لفهم ثابت متعالي، يظهر بشكل بدائي ليفرض رأيه كقيمة ثابتة، بل إنه تعامل وفق مبدأ الحوار الدائم<sup>(٣)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> ينظر : عبد العزيز طليمات، فعل القراءة : بناء المعنى وبناء الذات، ضمن : نظرية التلقي اشكالات وتطبيقات، مطبعة النجاح الجديدة، الرباط، 1993، ص ص: 149-165 ..

<sup>(٢)</sup> ينظر : عبد الكريم شريفي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، ص ص: 153 - 159 ..

<sup>(٣)</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص: 168.

ولقد أخذ العمري بما جاء عند ياؤس ؛ لأن المدونة البلاغية تغطي حقباً تاريخية ممتدة، وتلقي المنجز البلاغي تغير من فترة لأخرى، وأفق الانتظار يتغير كذلك .

واعتماد العمري على منطلقات ياؤس في القراءة والتلقي التاريخي ساعده على بناء تصور لتطور بعض المواضيع البلاغية كمسألة الاختيارات الشعرية، يقول العمري في ذلك : "لا شك أن للمعالجة البنوية اللسانية، جدوى كبيرة في استخراج الأساق [...][غير أنها حاولنا أن نستغل بعض مقترنات جمالية التلقي في بعدها التاريخي "<sup>(١)</sup>

فمن بين أهم المفاهيم التي اعتمدت هي مسألة أفق الانتظار، وكيف فهم اللاحق السابق في مجال البلاغة، باعتبار أن أفق الانتظار هو : "النظام المرجعي القابل للتحديد الموضوعي الذي يعد بالنسبة لكل أثر في اللحظة التاريخية التي ظهر فيها، حصيلة ثلاثة عوامل أساسية :

خبرة الجمهور المسبقة بالجنس الأدبي الذي يتميّز إليه الأثر  
شكل ومحفوظ آثار سابقة يفترض معرفتها في الأثر الجديد  
التعارض بين اللغة الشعرية واللغة العملية "<sup>(٢)</sup>

هذه العوامل التي ذكرها تلعب دورها إذا حصل تطابق بين أفق الانتظار المتلقي والنص الإبداعي، أما إذا نجح النص في تغيير الأفق أو تعديله، فيإمكانه أن يعتمد جزئياً عليها، لكن بطريقة سلبية، وليس بطريقة إيجابية تعتمد التطابق .

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقيا الشرق المغرب، ط2، 2010، ص:11.

<sup>(٢)</sup> هانس روبرت يارس، نحو جمالية للتلقي، تر محمد مساعدى، مطبعة الأفق – فاس، منشورات الكلية العدد الثاني، ص:59.

هذا الأفق الذي أعاد العمري بناءه، في المجال البلاغي، وكشف عن تلقي مختلف البلاغيين للأعمال الشعرية، والأعمال البلاغية للسابقين، والمعاصرين، مثل قراءة بيان الجاحظ من طرف ابن وهب، ومن طرف أبي هلال العسكري، والرؤوية المطافية الصارمة للأول، والمحاولة التلفيقية للثاني، وكذلك كشف من خالله عن استراتيجية قراءة أصحاب الاختيارات الشعرية، وتلقي النقاد والبلغيين لاختياراتهم بعد الفصل بين الرواية التي تعتمد على التراكم، وبين الاختيار المؤسس على معايير ضمنية، يقول العمري في ذلك : "ومن المباحث التي بنيت أساساً، وبشكل جلي في إطار نظرية التلقي دراسة الاختيارات الشعرية . فعملية الاختيار كانت عملية قرائية نقدية أعقبتها عملية تأويلية لاستخراج الصور البلاغية . اختار أبو تمام من الشعر العربي على أساس غير معلنة . غير أن انتهاء النصوص المختارة وتجانسها، لاشراكها في خصوصية معينة سهل مهمة القارئ الثاني الذي هو الشارح : المرزوقي . هكذا رأى المرزوقي من المفيد أن يكشف السر، سر الاختيار وأساسه، فكتب في ذلك مقدمة نقدية بلاغية بسط فيها الحديث عن عمود الشعر الذي هو أساس البلاغة في الوقت نفسه "<sup>(١)</sup>

فالمتأمل في ما اختاره أبو تمام وما علق به المرزوقي يدرك أفق أبي تمام الذي يروم الخصائص الفنية التي تؤهل الشعر ليكون شعراً وليس همه ذكر المطولات أو الحفاظ على والوفاء للنموذج الجاهلي القديم، أو ما عبر عنه المرزوقي بعمود الشعر <sup>(٢)</sup>، ونجد اختيار أبي تمام وأفق تلقيه للشعر المبني على أساسه تدخل فيه اعتبارات عقلية

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفريقياً الشرق المغرب، ط2، 2010، ص:12.

<sup>(٢)</sup> ينظر : المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1 2003، ص:10.

وأخلاقية لم تكن داخلة ضمن اهتمام أصحاب الرواية، والأسس الضمنية التي كشف المزوقي عن جملة منها ستعاد طرح أسئلتها في الأسرار عند الجرجاني<sup>(١)</sup>، في حين نجد اختيار الجاحظ الشعري في البيان والتبيين يقوم على أفق آخر هم الثورة على النمط الأموي القائم على الفخر والتهديد واستبداله بنمط الإقناع والتسليم .

وقد عكَف العُمرِي على استكشاف قراءة البلاعِين العرب وتلقيهم لمحاكاة أرسطو، وعن الأفق الذي تلقوا من خلاله عمليه : الشعر والخطابة، وكيف فهموا مسألة المحاكاة وركز على تلقي ابن رشد والقرطاجي لمسألة المحاكاة الشعرية التي حولوها من الفعل إلى اللغة وجوانب التصوير، وهذا الأمر يدخل عند ياؤس ضمن تغيير الأفق قائلاً : "فالنص الجديد يثير في القارئ طائفة من التوقعات [...] هذه التوقعات يمكنها، مع توالي القراءات أن تتعرض للتغيير أو التصحيح أو التعديل "<sup>(٢)</sup> وما حدث عند العرب هو التغيير والتعديل للمفاهيم الأرسطية خاصة المفهوم المحوري المحاكاة .

كذلك اعتمد العُمرِي على مبدأ السؤال كما نجده عند ياؤس، أين يغدو السؤال أهم من الجواب، لأن كل عمل يقدم إجابة عن سؤال ما، والمتلقي سيبحث عن هذا السؤال، والعُمرِي يصرح بأن "تاريخ البلاغة العربية فعلا تاريخ أسئلة: أسئلة مباشرة

---

<sup>(١)</sup> ينظر: محمد العُمرِي، *البلاغة العربية أصولها وامتداداتها*، أفريقيا الشرق المغرب، ط2، 2010، ص: 84.

<sup>(٢)</sup> هانس روبرت يارس، نحو جمالية للتلقي، تر محمد مساعدى، مطبعة الأفق – فاس، منشورات الكلية العدد الثاني، ص: 61.

وضمنية ."<sup>(١)</sup>، والعمري أقام حواراً بين أسئلة التراث وأسئلة الحاضر، ذلك للكشف عن المحطات الكبرى في تاريخ البلاغة العربية، وعن الأسئلة التي طرحتها الدرس البلاغي، داخلياً في الحوار بين البلاغيين وبين منجزاتهم ومشارييعهم، وخارجياً لما قام الفلاسفة المسلمين بقراءة المنجز البلاغي الأرسطي .

ويربط العمري بين تلقي الأعمال البلاغية والنقدية وبين تأويلها وترجمتها، باعتبار الترجمة نوعاً من التأويل، فتلقي الفلاسفة المسلمين لفن الشعر لأرسطو، كان حدثاً يبين تميز الخلفيات المعرفية والأدبية التي صنعت تلقي العرب، وكشفت عن فهم مغاير لما نعهده اليوم حول فكرة المحاكاة الأرسطية، بل إن العمري يوجه اهتمامه للتلخيص باعتباره نوعاً من أنواع الترجمة التي تعكس فهم أصحابها وتلقيه للنص، إما بالتطابق والقبول، وإما بالتعديل والتغيير والرفض، وتقديم البديل، وهذا ما حدث مع ابن رشد وحازم القرطاجني، لما غيرا مركز المحاكاة من الفعل التمثيلي، إلى الفعل اللغوي الذي يلعب على أوتار اللغة .<sup>(٢)</sup>

## بـ- عربية :

يرتكز عمل العمري، كذلك، على الجانب العربي، خاصة منه التراشبي، والذي اتخذه عموداً لمشروعه؛ لأن الرجل أعاد قراءة التراث البلاغي، في ضوء المعطيات الحديثة، ولا نستطيع القول بأن العمري قد لخص الأعمال البلاغية التراشبية أو شرحها؛ بل كشف عن الغامض، وبين المختفي، وأكمل الناقص منها .

<sup>(١)</sup> محمد العمري، *أسئلة البلاغة*، ص: 107.

<sup>(٢)</sup> ينظر: المرجع نفسه، ص: 307.

ونحن قدمنا الغربي على العربي مراعاة لعنوان بحثنا، فكان من اللازم والضروري التطرق للخلفيات الغربية التي تمت من خلالها القراءة الجديدة للبلاغة العربية، واستناد العمري على التراث لم يجعله تراثياً، بل ساعده الوافد الغربي على فهم الأول ودعمه للخروج ببناء علمي متمثل في مشروعه .

## ١- تراثية:

يصف العمري مرحلة عمله الأولى في البحث النقدي والبلاغي قائلاً : "كانت الجسور شبه منعدمة وقتها بين فتتین من الباحثين في الجامعة المغربية، فئة تستغل بالتراث ولا تعير اهتمام للمناهج الحديثة، إن لم تجهر بمعاداتها، وفئة ترفع شعار الحداثة وتتخذ من التراث مواقف متضاربة تتراوح بين التنكر والإهمال واللامسة من بعيد [...]" في هذا الظرف أحسينا بالحاجة إلى إيجاد منبر للحوار [...] لقد سعينا من خلال هذه التجربة، التي كانت مدرسة لنا أيضاً، إلى ردم الهوة المفتعلة بين الباحثين [...] في هذا السياق شرعت في إعادة قراءة التراث البلاغي في ضوء المعطيات المنهجية الحديثة "<sup>(١)</sup>"

إذن فاعتىاد العمري على التراث لم يكن تعصباً له، أو تقطعاً لأوصاله وتسويفيها لأحلام رجالاته، بل إعادة اعتبار، ونلمح اهتمام العمري بالتراث في بداية أعمال تحقيقه؛ إذ حقق المسلك السهل في شرح توشیح ابن سهل للإفرانی، واهتم باتجاه

---

<sup>(١)</sup> موقع محمد العمري: www.medelomeri.com، المقال تحت عنوان: المشروع العلمي بين المؤمل والمتأخر .

الإفراطي البلاغي وإن لم يدمجه في كتابه البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أما موقف العمري من المادة التراثية فيمكن النظر إليه من زاويتين :

- الزاوية الأولى : وهي زاوية القبول والاعتماد، ونجد ذلك في تناوله لمشروع الجرجاني وابن سنان والقرطاجي مثلاً، لأن الرجل وصل إلى أن كل واحد من هذه المؤلفات التراثية يحمل لها نسقياً ومشروعياً في طياته .
- الزاوية الثانية : وهي زاوية الاستبعاد والإقصاء : وهذا ما تعرضت له مشاريع بلاغية وأعمال كنهاية الإيجاز للرازي مثلاً، فالسكاكى الذي اهتم به العمري لم يكن ليفهم الجرجاني لولا الرازي الذي أعاد استخراج الأنساق العقلية والقوانين المنضبطة، كذلك نجد الرجل يقصي صاحب : "الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز" يحيى بن حمزة العلوي، مع أنه نموذج لمشروع بلاغي يحمل في طياته اهتماماً بالنص وإدراجاً للخطابة ضمن النصوص التي يهتم بها<sup>(١)</sup>

و عمل العمري في التراث كانت توجه جزءاً لا يستهان به رؤية تراثية ؛ لأنه كان في عديد من الواقع يبحث عن ما يوافق رؤية تراثية بعينها، كبحثه عن الاتجاه الاقناعي الذي رسخه الجاحظ أو اتجاه البلاغة العامة الذي بشر به القرطاجي، هذه الرؤية جعلت العمري يمر على غير قليل من الأعمال دون انتباه للعناصر المكونة لها

---

<sup>(١)</sup> ينظر : يحيى بن حمزة العلوي، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق الشريبي شريدة، دار الحديث، القاهرة، ط 1 2010، ص ص 256-271.

ويلاحظ في هذا الجزء الذي نتخذه كمثال عن معالجة تطبيقية عند العلوي في موضوع التشبيه كيف يهتم بالشرح والمناقشة الدائرة حول النص، وهذا ما لانجده في عصره .

ولأبعادها، وهو هنا يعترف بمروره على أبي حيان التوحيدى دون اهتمام كبير بما طرحته الرجل، ثم لما عاد إليه بعد صياغة مشروعه وإنماه اكتشف صواب منطق الرجل وجودة رأيه وسبقه بلاغياً كما كان على المستوى الفكري، يقول العمري في ذلك: "بعد صدور كتاب البلاغة العربية أصوتها وامتداداتها، وبعد مساهمتي، جهد المستطاع، في إبراز البعد التداولى للبلاغة العربية تنظيراً وتطبيقاً، أعدت اكتشاف المحاورة السابعة من ليالي الإمتناع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدى في المفاصلة بين البلاغة والحساب. أقول أعدت اكتشافها لأنني تلقيتها، لأنني تلقيتها هذه المرة باندهاش، وقد مررت بها قبل ذلك [...] دون أن تثير انتباھي [...] اليوم أنظر إلى مرافعة أبي حيان بدهشة من ظفر بقلادة ذهب في كومة تراب، وأتأسف لأنني لم أقدرها حق قدرها عند بناء الفصل المخصص لليان والخطابة من كتاب البلاغة العربية"<sup>(٥)</sup>

لا نستطيع أن ننكر جهود العمري في جمع المادة البلاغية، وصعوبة ذلك الأمر واضحة لكل من دخل ميدان البحث البلاغي، وهذا ما جعله يحمل المشاريع التي ذكرناها والتي لم يتح لنا ذكرها، كذلك كان العمري يتحرك وفق أسئلة تراثية (بالإضافة إلى أسئلة معاصرة) كالتي يحاول طرحها الجرجاني، أو المرزوقي حول الصدق والكذب والتخييل والتداول، ولكن العمري يعمل على تحين هذه الأسئلة ووضعها في سياقها الذي يجب أن تكون فيه بحسب طبيعتها البلاغية .

## 2- معاصرة :

---

<sup>(٥)</sup> محمد العمري، البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير من الشعر إلى الخطاب، ضمن البلاغة والخطاب، منشورات الاختلاف، ط 1 2014، ص: 16.

كانت الخلفية العربية المعاصرة حاضرة في عمل العمري، خاصة عمله المحوري البلاغة العربية أصوتها وامتداداتها، لأننا نجد عميلاً حفظاه على المضي قدماً في مشروعه وهو : البلاغة تطور وتاريخ لشوفي ضيف، والتفكير البلاغي عند العرب لحمادي صمود، لكن العمري لا يحاول نقض العملين السابقين أو أن يكون بديلاً عنهما وفي هذا يقول : " وعلى هذا الأساس فإن عملنا لا ينسخ، بأي معنى من المعاني، أي عمل سابق عليه . ولا يعتبر نفسه بديلاً يعني عن غيره "<sup>(١)</sup>

لكن موقفه صريح، فيما يتعلق بالدور الذي يلعبه كل إنجاز، "فلكل من هذه اللبنات موقعها في البناء، لكل من الكتب الثلاثة استراتيجية معلنة وفعالة لا يعني عنها الكتاب الآخر "<sup>(٢)</sup>، وهنا يقصد العمري لب المشروع الذي يحمله كل عمل بلاغي يساهم في قراءة البلاغة العربية، فشوفي ضيف تغلب عليه الرؤية التاريخية الشاملة، وهو عمل كبير، يتطلب في الفترة التي أنجز فيها شخصية بحاثة في مقام شوفي أو محمود شاكر، أما عمل حمادي صمود، فتظهر عليه آثار النسق، إذ اتخذ من الجاحظ معلماً ومرجعاً يتحدد من قبله ومن بعده من خالله .

ثم يوضح سبق شوفي ضيف ضمن ما أسماه بمدرسة التمهيد، والتي تعرف عليها في أول رحلة بحثه في المكتبة البلاغية، وكذلك سبق حمادي صمود، ضمن مرحلة الكتابة من منظور حداثي لساني مع أن الأجزاء المحيطة بالدراسات العربية الأدبية في تلك الفترة، وهي النصف الأخير من السبعينيات، كانت تشيع فيها الدراسات السوسيولوجية / السوسيوبنائية، ولهذا أحرز صمود سبقاً استفاد منه

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصوتها وامتداداتها، أفرقيا الشرق المغرب، ط2، 2010، ص: 9.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، أسئلة البلاغة، ص: 285.

العمري، وفي ذلك يقول : " ففي إطار هذا المد أنجزنا نحن أيضا مجموعة من أعمالنا السابقة في البعدين التنظيري والتاريخي مستفيدين من عمل حمادي صمود لتكوين تصور عام ."<sup>(١)</sup>

وقد استفاد العمري من حمادي صمود في مجال الحديث عن روافد الدرس البلاغي العربي ؛ إذ نجد صمود يتكلم عن عوامل النشأة<sup>(٢)</sup> ونجد عناصر الشعر والتقعيد اللغوي والمؤثرات الأجنبية يتطرق العمري إليها لكن بطريقة مغایرة لمنهج صمود الذي اتخذ من الجاحظ حدثا يؤرخ من خلاله للبلاغة العربية ويتحدد بعمله كل الدرس البلاغي ، مع أن صمود لم يعترف بالجانب الإقناعي صراحة عند الجاحظ . فالعمري من خلال العملين السابقين أخذ فكرة عن وضعية الدرس البلاغي العربي التأصيلي والتاريخي والدرس الذي يعتمد على المفاهيم الحديثة ومنه انطلق في إنشاء مشروعه وعمله .

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 11.

<sup>(٢)</sup> ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط 3 2010، ص ص 23-57.



## **الفصل الثاني**

### **محاور قراءة العمري ومساعلات الرحلتة، والروافد، والشبكة**

1- تحقيق نشأة البلاغة وتصحيح وجهة النظر إلى النقد.

2- روافد الدرس البلاغي وطرق الاكتشاف .

أولاً: اكتشاف من الداخل :

1. - الوعي وتطبيق المعيار .
2. - البديع وضرورة إعادة القراءة .
3. - الاختيارات وبلاغة الرصد.

ثانياً: اكتشاف من الخارج :

1. - السؤال اللغوي .
2. - إعجاز النص القرآني .
3. - سؤال المعرفة والإقناع .
4. - بلاغة الآخر وطبيعة القراءة .

ثالثاً- شبكة البلاغة وتحديد التماذج:

أ-أسس الاختيار

ب-الامتدادات الكبرى :

أولاً: التخييل والتداول : قراءة جديدة للمنجز البلاغي عند الحرجاني.

ثانياً: بحث في انسجام النص : قراءة سر الفصاحة .

ثالثاً: البلاغة بين علم الأدب والعلم الكلي .

دخل العمري غمار التراث البلاغي العربي، عارضا رمحه يشق به عباب الاتجاهات، ويكسر الرؤية المألوفة حول العديد من القضايا، التي تمس النقد والبلاغة: درسها، وتقسيماتها، وقراءة كتبها التي وقع الاختيار عليها في المؤلف الذي نصب عليه اهتماما في الدراسة، وهو: "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها".

وقراءة العمري، كانت لها مركباتها وخلفياتها، والتي سبق لنا أن ذكرناها في الفصل السابق، وفي هذا الفصل سنركز على المحاور الكبرى التي مثلت قراءة العمري للبلاغة، والمساءلات التي طرحتها عليه الرحلة التي قام بها، عبر ما يزيد عن عشرة قرون، أو ما يربو ذلك، ونرصد الروافد التي خصها بالذكر، باعتبارها روافد للدرس البلاغي، ونتطرق لخصائص رؤيته لشبكة البلاغة، ونسج علاقاتها، واستخدمنا لمصطلح الرحلة والشبكة، ليس غريبا عن الدراسات المعاصرة، التي تحاول قراءة التراث البلاغي، وهذا صنيع رولان بارت Roland Barthes الذي جعل قراءته للبلاغة الغربية التقليدية، مقتضاها عبر الرحلة (تاريخ الدرس البلاغي) والشبكة (بناء الدرس البلاغي ومكوناته وترتيبها)<sup>(١)</sup>، والسؤال الذي يحدُّر بنا طرحه، قبل ولوّج جزئيات هذا الفصل، هو: هل كانت قراءة العمري للبلاغة العربية تهدف إلى كشف تاريخ جديد للبلاغة، أم كانت تهدف إلى رسم معالم درس بلاغي، يراعي كل مكونات الخطاب الإنساني عامة؟

يبدو أن العمري، كان يرصد المدفین معا، لأن الرجل جعل من البحث في تاريخ البلاغة، وتأسيسه من جديد على ضوء المعطيات المعاصرة، بابا لبناء الدرس

---

<sup>(١)</sup> رولان بارت، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، تر عمر أوكان، دار رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط 1، 2011.

البلاغي الذي يدعو إليه، وهذا بالفعل ما حاول تحقيقه في البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، مستضيئا بنظرية التلقي، والحجاج، ونسق البنوية، وكاشفا عن المغيب من الدرس البلاغي .

## ١- تحقيق نشأة البلاغة وتصحيح وجهة النظر إلى النقد:

لقد ألف القارئ لدراسات النقد والبلاغة، أن يجد عناوين يتناولها الدارسون، تارة باعتبارها أعملاً بلاغية، وتارة أخرى باعتبارها نقدية، دون أن يطرح الأمر إشكالاً عنده، وما يقال عن بداية النقد مثلاً، هو ذاته ما يقال عن بداية البلاغة، وما يذكره شوقي ضيف مثال على ذلك، فنجد أنه يسوق مواقف الشعراء، والموازنات ضمن نشأة البلاغة<sup>(١)</sup>، وكذلك ضمن نشأة الدرس النقدي، بل يجعل النشاط النقدي عند العرب أقرب للبلاغة منه للنقد الخالص، هذا دون الإشارة إلى الفواصل بينهما .<sup>(٢)</sup>

وقد لاحظ العمري إقصاء الدارسين؛ إما لما هو بلاغي، أو لما هو نceği ضمن دراساتهم، وكذلك انتزاع الأعمال البلاغية، ومقاطع منها ووضعها بعيداً عن مقاصد مؤلفيها، ومقاصد المؤلفات وميدانها، وهذا الأمر جعل القسم الأول من عمله للحديث عن أصول البلاغة العربية، وفصل النقدي عنها، مع احترام نقاط التداخل التي تفرضها طبيعة اشتغالها على المنجز الواحد، ويقول في هذا الصدد : "قد يغري تدخل البلاغي والنceği في بعض مراحل الدرس الأدبي العربي القديم بإنكار هوية هذا أو ذاك بقليل من التأويل أو بدونه، وهذا طريق سهل، والأصعب منه والأجر

---

<sup>(١)</sup> ينظر : شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعرف، القاهرة، ط13، ص:11.

<sup>(٢)</sup> ينظر : شوقي ضيف، في النقد الأدبي، دار المعارف، القاهرة، ط6، ص:31.

بالتبني هو اعتهاد التطور التاريخي الراصد لأوجه التداخل والتخارج في اتجاه تكون العلوم وتحقيق هويتها<sup>(١)</sup>

فالعمري سيتبع التطور التاريخي، ويحاول رصد البلاغي والنقدi وتحديد معالم العلمين، بما يتوفران عليه من خصائص، ومميزات، وعلاقات، معتمدا على قراءة نسقية، غالبا ما تكون داخلية حيث تتحاور أنساق المشاريع في المجالين الندي والبلاغي.

فالملاحظات الأولى حول النص الإبداعي يمكن أن تستثمر ضمن البلاغي والنقدi معا؛ لأن "البلاغة مكون من مكونات النظرية النقدية، وثمرة من ثمرات الملاحظة النقدية الأولية"<sup>(٢)</sup>

ثم يحدد العمري المعيار الفاصل بين ما هو بلاغي، وما هو ندي، معتبرا بأن كل ما يتعلق بلغة النص، وبنيته في بعديها الشعري والتدابلي، تستقل به البلاغة، والنقد يتعامل مع الأمور السابقة لكنه يركبها مع مواد أخرى تتعلق بالأجناس الأدبية، وسيرورة تلقيها، وقضايا أخرى.<sup>(٣)</sup>

وهنا يأتي العمري، لتصنيف مجموعة من الأعمال، بين ما هو ندي، وما هو بلاغي، وبين ما هو بلاغي له مقاصد ندية، ضمن المجال الذي ذكرناه ضمن التداخل الذي توجبه طبيعة اشتغال الميدانيين على هذا المنوال :

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفرقيا الشرق، المغرب، 2010، ص:43.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، أفرقيا الشرق، المغرب، 2010، ص:43.

<sup>(٣)</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص: 43

أعمال بلاغية	أعمال بين النقد والبلاغة	أعمال نقدية
سر الفصاحة	منهاج البلاغاء	عيار الشعر
أسرار البلاغة	الاختيارات الشعرية	نقد الشعر
دلائل الإعجاز		الموازنة
قانون البلاغة		الوساطة
البديعيات		

ويبين بأن التناول النقدي العربي، كان تطبيقاً مفتقرًا للنظرية التي يمكن أن تقدمها الرؤية البلاغية، وهذا ما حدث مع أصحاب الاختيارات الشعرية، خاصة عمل المرزوقي مع أبي تمام في الحماسة، فعمل أبي تمام كان مؤسساً على معايير تمكن من خلاها من نقد الشعر، و اختيار مجموعة منه دون أخرى، والمرزوقي قام بالكشف عن تلك المعايير واستخلصها من اختيار أبي تمام وهذا عمل يبدأ نقايداً وينتهي بلاغياً.

أما حازم فقد قدم مفهوم البلاغة الكلي ومحتواه بلاغي لكنه يتوجه نحو صياغة نقدية تفسيرية، معطياً البلاغة النقدية التي تتصدى للنصوص.<sup>(١)</sup> ثم ينتهي العمري إلى خلاصة جامعة قائلاً: "فالوعي بالخصوصية هو البلاغة، وتميز الجيد من الرديء عن طريق ذلك الوعي هو النقد"<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 45.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 46.

معتبراً أن الملاحظات النقدية الأولى هي مهد البلاغة العربية، موضحاً طابع التداخل الذي يسم هذا الفصل، والذي يمكن تجاوزه بعدم تضييق حدود البلاغة واحتراها، والذي يلاحظ على كلام العمري، أنه يعبر كل اهتمام بمكونات النص التخييلية، والتداوilelle يقع ضمن البلاغي، وما يخرج عن هذا من اهتمام بالأجناس والبيئة الاجتماعية، والملابسات التاريخية، يتعمى إلى النقد، فطبيعة تناول الموضوع هي التي تحدد الانتهاء، وزاوية النظر هي التي تجعل النقدي ينفصل عن البلاغي في المهمة والطبيعة، لكن التواصل والتقاء موجود خاصية إذا اعتربنا البلاغة علماً كلية كما حددتها حازم وجعلها العمري بلاغة عامة.

ويمكن إرجاع رؤية العمري لما أورده كيبيدي فارغا (Kibedi varga) حول تداخل أنواع الخطابة الثلاث (القضائية، الإحتفالية والتشاورية) مع الأنواع الأدبية الثلاث (المأساة، الملهأة والشعر الغنائي)، مع ملاحظة الاختلافات الموجودة بينها كاعتهد الأجناس الأدبية في تحديدها على مواصفات داخلية واعتهد الأنواع الخطابية على مواصفات خارجية<sup>(1)</sup>، لكن هذا لم يمنع من قيام علاقات بينهما تستدعي بلاغة تتکفل بال النقد الأدبي والتنظير البلاغي .

## 2- روافد الدرس البلاغي وطرق الاكتشاف :

قام العمري بعملية تأصيلية، لبيان الدعائم التي قام عليها الدرس البلاغي، وجعل منها خمسة روافد، تستوعب الموضوع، منها راقد يعتمد على الاستكشاف من الداخل، وهو الخاص بالنقד التطبيقي، والاختيارات الشعرية؛ لأن العملية تمت داخل المنجز اللغوي، واعتمدت على آلياته للكشف عن الخصوصية البلاغية، وتقسيرها أو

---

<sup>(1)</sup> ينظر Kibedi Varga ,rhétorique et littérature , didier ,paris 1970,pp:84,86.

بناء الاختيارات عليها، وجعل من البحث اللغوي والباحث الدينية حول الإعجاز، والإقناع والتأثير بالبلاغة اليونانية روافد تعتمد على الاستكشاف من الخارج، باعتبار أنها تطرح أسئلة خارج الاهتمام البلاغي الصرف، إلا أنها بعلاقتها معه أصبحت إحدى روافده التي دعمته وثبتت فيه .<sup>(1)</sup>

#### - أولاً : اكتشاف من الداخل :

##### 1- الوعي وتطبيق المعيار :

إذا كانت البلاغة هي أول مظهر للوعي اللغوي كما لاحظ ذلك بعض الدارسين المحدثين، فإن جذور البلاغة موجودة مع أو ما أبداه الإنسان من آراء حول جماليات اللغة واستراتيجياتها الخطابية، ومن هذا المنطلق اعتبر العمري نسأة البلاغة مع الملاحظات التي أبدتها العرب عن الشعر، واختيارهم لشعر معين دون سواه .

ويجعل من موضوع غرابة الشعر عن سائر المنجز اللغوي أول محطة ينبغي الوقوف عندها، خاصة عند الشعراء أنفسهم، ويولى أهمية للتفسير الميتافيزيقي الذي قدم لتعليق غرابة الشعر وتأثيره وعجب صنعه، "إنه وعي أولي بالطبيعة الإشكالية للشعر التي ستحاول البلاغة فيها بعد ترجمتها بمفهومين يشكلان وجهين لعملة واحدة: الغرابة والانزياح ."<sup>(2)</sup>

---

<sup>(1)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصوها وامتداداتها، أفريقيا الشرق، المغرب، 2010، ص: 21.

<sup>(2)</sup> المرجع نفسه، ص: 49.

وكلام العرب عن شياطين الشعراء، خاصة ما نجده عند أبي زيد القرشي في جمهرة أشعار العرب<sup>(١)</sup>، هو تفسير إلهامي غيبي للصناعة الشعرية، وتأثيرها وهنا نجد الأصول الأولى، التي تنبه لها العرب لأثر الشعر على النفوس، ودخول المكون الإقناعي ضمن الشعري التخييلي، ويعطي العمري نظرة مهذبة لهذا النوع من التفسير، قائلاً: "من المسلم أن هذا المنحى الإلهامي قد تهذب تدريجياً حتى صار مجرد تعبير مجازي استعاري عن الفعل الخارق للغة الشعرية"<sup>(٢)</sup>

وبعد هذه المرحلة الأولى الضاربة في القدم، والتي تسير مع المحطات الأولى للتفكير البشري، الذي يميل وقتئذ إلى نوع من الأسطورية، جاءت مرحلة سار فيها التعليل الإلهامي، جنباً إلى جنب مع فكرة "الشعر صناعة وجهد ومعاناة شخصية" والفكرة تبرز خاصة مع مدرسة عبيد الشعر الذين يبقون على أبواب القوافي ينتظرون لحلول كامل وذلك لإخراج شعرهم على أحسن حال يستطيع الصمود أمام النزرة النقدية الفاحصة.

ثم يبين العمري بأن صناعة الشعر تنبه القدماء لها وصنفوها مراحلها عبر :

أ/ مرحلة الهيكلة الأولية .

ب/ مرحلة الصقل .<sup>(٣)</sup>

فالمرحلة الأولى يكون فيها النص هيكلًا وخطاطات أولية تحتاج إلى كساء وملء للفراغات وتصحيح للأخطاء وهذا ما تقوم به المرحلة الثانية .

<sup>(١)</sup> ينظر : أبو زيد القرشي، جمهرة أشعار العرب، دار صادر بيروت، ط2، 2008، ص:40.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصوتها وامتداها، أفريقياً الشرق، المغرب، 2010، ص:52.

<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص:56.

والبحث عن التفسير الغيبي للصناعة الشعرية وتأثيرها ثم العبور إلى فكرة صناعة الشعر والجهد في نظمه هي مرحلة لم تتجاوز الشاعر إلى الرأي الآخر، فالشاعر وصل إلى مرحلة أصبح يحتمل فيها إلى الناقد الحصيف الذي يمكن له معرفة الجيد من الرديء ويميز مستوى الإجاده والإساءة في المنجز اللغوي.

وعملية الاحتكام للآخر، هدفها كشف الخلل الواقع في الشعر، ويلاحظ العمري بأن الخلل كان مرتبطا غالبا بالجانب الصوقي الموسيقي، مما دعا الخليل إلى كشف النسق الذي تدور عليها لعبه الشعر وكلماته، وهو العروض والقافية.

والعمري، إذ يركز على هذه المرحلة، بالتحليل، والتقطيع، والتفسير وربط العلاقات، يريد من خلال ذلك بيان النشأة الشعرية التخييلية للبلاغة العربية، بجانب جزئيات تداولية إقناعية مهمة تمثل في: التفطن للأثر الذي يتركه النص الشعري على متلقيه، وتدخل الإقناعي والتخييلي في النص الشعري سيؤهل البلاغة العربية لأن تكون صالحة لإنشاء فكرة البلاغة العلم الكلي أو البلاغة العامة، أين يتقطع الحاج والتخيل ويؤدي كل منها دوره في بناء النص وتلقيه، على الوجه الذي رتب له مقاصده الضمنية والمعلنة.

## 2- البديع، وضرورة إعادة القراءة :

لقد كانت قراءة العمري لمؤلفات البديع، قراءة يشوّهها التوجس من الجمود، أو غياب النسق والمشروع، مع حضور التراكمية دون نظام يحكمها، وانتقل العمري من الفترة الأولى لظهور الوعي البلاغي واهتمام الشاعر بما يبدعه، ثم لجوئه للحكم الذي يفصل بينه وبين غيره، وانتقل مباشرة إلى مسألة البديع، مركزا اهتمامه على صنيع ابن المعتر (ت 296هـ).

مع أن هذا الأمر يلاحظ عليه تجاوز المرحلة الإسلامية، ومرحلة المخضرمين (بين العباسي والأموي)، وما نتج عنها من مذاهب وآراء في الحياة والفن، وسيعود العمري فيما بعد، ضمن روافد الدرس البلاغي الخارجية ليدقق في معالمه هذه المرحلة، ويبدو أن هنالك صلة وجدها العمري بين الملاحظات البلاغية الأولى، وبين مسألة البديع، فالمؤستان تتميّان إلى نسق واحد وهو : عملية الإبداع الشعري، ومقوماتها، ومذاهبها، وكذلك تلقيها واهتمام النقاد بها .

وتأثر الوعي البلاغي والنقدi بها يحدث على مستوى الإبداع الشعري واتجاهاته أمر لا سبيل لإنكاره، فالتنازع الذي كان واقعاً بين المحافظين، والمحدثين (اتجاه البديع )<sup>(١)</sup>، عمل على تنمية رؤية بلاغية ترصد القدرات التعبيرية التي تشكل القاعدة والانزياح، وكان هناك اتجاه يثمن الثبات على القاعدة، والسير على معالمها، ولا يحاول مفارقة أسلوبها، واتجاه يجعل الغرابة والمفارقة والجديد معياراً للجودة والتقدم .

وما صنعه عبد الله ابن المعتز هو بيان أن ما يتميز به التيار الشعري الجديد من أساليب البديع قد سبقوا إليه، من طرف الجاهليين والقرآن والحديث، ويقول في ذلك:

" قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليعلم أن بشاراًً ومسلياًً وأبا نواس ومن تقلياهم

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد نجيب البهبيتي، أبو تمام الطائي حياته وحياة شعره، دار الفكر، بيروت لبنان، الفصل الرابع، ص ص 172-200.

وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن ولكنه كثُر في أشعارهم فعرف في زمانهم حتى سُمِيَّ بهذا الاسم فأعرب عنه ودلَّ عليه. ثم إن حبيب بن أوس الطائي من بعدهم شُعفَ به حتى غلب عليه وتفرغ فيه وأكثر منه فأحسن في بعض ذلك وأساء في بعض وتلك عقبِ الإفراط وثمرة الإسراف وإنما كان يقول الشاعر من هذا الفنَّ البيت والبيتين في القصيدة وربما فرئت من شعر أحدِهم قصائد من غير أن يوجد فيها بيت بدِيع وكان يُستحسنُ ذلك منهم إذا أتى نادراً ويزداد حظوة بين الكلام المرسل<sup>(١)</sup>

فمثلاً نلاحظ، كان ابن المعتر كغيره من نقاد وبلاعجي عصره، على وعي بالاتجاهات الشعرية وتمكن، من رصد العناصر البارزة، والتي تميز اتجاهها عن غيره، فالبدِيع كان موجوداً في الشعر العربي والقرآن الكريم لكن لم يستكثِر منه ولما جاء المحدثون غالب على شعرهم فعرفوا به، وهذا ما أراد الرجل إبرازه لأنَّا يقال: عرف

. ٣٦

وتصنيف ابن المعتر للبدِيع بين البدِيع (استعارة، تجنيس والمطابقة ...) ومحاسن الكلام (الالتفات، التعریض والکناية ...) يدخل الدرس البلاغي إلى بداية التصنيف في البدِيع كوجهة بلاغية تروم رصد الأوجه الجمالية للعبارة اللغوية وطرق آدائها ومقاصدها، لكننا نجدُها عند ابن المعتر مرتبطَة بالحركة الشعرية واتجاهاتها، وهذا ما يعطيها صيغة المشروع، والتواصل مع حركة الإبداع الشعري ومعالجة المسائل النقدية المطروحة خاصة النزاع بين القديم والجديد.

ويرصد العمري تاريخ الدرس البدِيعي، باعتباره من الروافد التي دعمت البلاغة العربية، ولا حظ أنه مر بمراحل ثلاثة :

---

<sup>(١)</sup> عبد الله بن المعتر، البدِيع، تتح سمير شمس، دار صادر، بيروت لبنان، ط١، ٢٠١٣، ص: ١٧.

- المرحلة الأولى : تأليف بديعي تولد عن الخصومات وعالج إشكالاتها.
- المرحلة الثانية : تحرير أبواب البديع واستخراجها والفصل بين مكوناتها .
- المرحلة الثالثة :نظمها وشرحها، أو تجنيتها .<sup>(١)</sup>

وجعل العمري لكل مرحلة علماً، أخذه نموذجاً يمثلها، فالمراحل الأولى مثلها ابن المعتز، والمراحل الثانية مثلها ابن أبي الإصبع المصري (ت 654هـ) والذي جعل همه في جمع المادة البديعية وتصحيح حدودها واهتم بالتحليل وربط العلاقات بين صور البديع<sup>(٢)</sup>، ويضع السجلماسي (ت 8هـ) صاحب المتنع البديع في تجنيس أساليب البديع<sup>(٣)</sup> ضمن هذه المرحلة، فبالنسبة للعمري لا يعدو السجلماسي مصنفاً، أعاد تنظيم المادة البديعية، وهذا الرأي لا يوافق عليه من ينقب ويقرأ الكتاب قراءة تربطه بالسياق الفلسفى لعصره، والمعارف التي كانت منتشرة وما أبداه السجلماسي من آراء حول أساليب البديع و اختياراته في تعريف هذه الأساليب ثم التقسيمات التي حقق بها الفروق بين أدق طرق التعبير، أما تطبيقه وتحليله للنصوص من القرآن والشعر فيشهد على رغبة الرجل في استنطاق النصوص بما تحتويه من مؤهلات تعبيرية، ولنا في نوع الالتفاف ضمن نوع الإرصاد الداخلي تحت الجنس الخامس وهو الرصف مثال على

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط 2، 2010، ص ص: 62-65.

<sup>(٢)</sup> ينظر : ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والثر وبيان إعجاز القرآن، تحر حفني محمد شرف، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة مصر، 2012.

<sup>(٣)</sup> أبو محمد السجلماسي، المتنع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحر علال الغازى، مكتبة المعارف، الرباط المغرب، ط 1، 1980.

تحليل النص القرآني وتتبع النوع البديعي وفهم النص من خلال تحليل جزئياته<sup>(١)</sup>، هذا ناهيك عن الخلفيات التي يحملها المترد من تأثر بفكرة التخييل والمحاكاة عند أرسطو، صحيح أن الرجل كان يهدف إلى جعل الدرس البديعي (باعتباره اتجاهها بلاغياً) يتتحكم فيه نظام ونسق عقلي ضابط لجزئياته، فاعتمد على مادة سابقيه لكن هذا لا ينفي وجود مشروع ومقصد بلاغي أكبر من هذا يرمي إليه .

ويقول العمري عن عمل السجلماسي : "ولهذا كانت عملية التجنيس نفسها دون روح بل تختلف كثيراً عن عملية النظم والتحنيط "<sup>(٢)</sup>

ومن يقارن بين عمل صفي الدين الحلي (ت 750هـ) وبين عمل السجلماسي سيلاحظ الهوة بينهما لا محالة، لأنّ السجلماسي آخذ بناصية الفكر الأرسطي، وعالج كثيراً من قضایا البيان، ولم يكن هدفه مجرد الشرح أو الجمع، وأنأخذ على العمري أنه لم يأخذ مشروع البديع على محمل الجد ولم ير في المترد البديع والروض المريع القيمة التي كشف عنها عالل الغازى أو محمد مفتاح .

ثم ينتقل العمري إلى المرحلة الثالثة؛ أين نجد عمليات نظم البديع وشرحه وهنا تغلب على الرؤية البلاغية النظرية التشريحية التي تريد الحفاظ على فنون البديع دون زيادة، بل وتم الفصل بين البديع وبين الحركة الشعرية التي أنشأته، وغدا الدرس البلاغي البديعي مجرد صور متناشرة لا يجمع شملها ضابط نسقي أو نظام يرجعها إلى مبادئ كلية، ويصلها بالنص الإبداعي .

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص ص: 350-352.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 64.

والدرس البديعي البلاغي الذي لم ينل العناية الكافية في مشروع العمري فيما نراه، يشكل نواة لا يستهان بها في الدرس الإعجازي، وسيعود العمري إلى تناول الدرس الإعجازي ومباحث القرآن الكريم دون ذكر الصلة بينهما، فالذي يقرأ صنيع السجلماسي قراءة تأصيلية سيرجعه إلى ما أنجزه الرمانى في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" <sup>(١)</sup>، خاصة ما يتعلق بالأجناس الكبرى، والاهتمام بالصور باعتبارها لب العمل الأدبي ومظهر الجمالية وكذلك تعتبر عاملاً مسانداً لتحقيق الأثر الإقناعي يدخل ضمن الاهتمامات المعاصرة للبلاغة العامة عند جماعة مو MU، فالتيار البلاغي الجديد للجماعة يعتمد على تصنيف الأوجه البلاغية "les figures" واستئثارها في الكشف عن استراتيجيات النص الخطابية والشعرية التخييلية "فالبلاغة معرفة الطرق والأساليب اللغوية المميزة للأدب" <sup>(٢)</sup>.

مع الفارق بين تيار البديع وجموعة البلاغة العامة، فالبديع العربي متصل في مذاهب الشعر ودراسات الإعجاز، وله مداخل في بلاغة النص، ونجد البلاغة العامة الغربية لها اهتمامات بنوية ذات أصول في الصورة الشعرية، وقلما تتجاوزها نحو الحجاج على عكس تيار البديع.

واستئثار هذا الجانب في قراءة النصوص الإبداعية، وتأسيس جانب من البلاغة، يتم بالأساليب التي تتيحها اللغة لصناعة الأثر الجمالي يعزز موقع بقية الاتجاهات، التي تبحث في الحجاج والسرد والشعرية.

---

<sup>(١)</sup> علي بن عيسى الرمانى، النكت في إعجاز القرآن، تتح محمد زغلول سلام وخلف الله أحمـد، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعرفـ، القاهرة مصر، طـ، 2012.

Groupe MU ,rhétorique générale ,éd le seuil,paris ,1982,p:25. <sup>(٢)</sup>

### 3- الاختيارات وبلاغة الرصد:

يتعرض العمري للاختيارات الشعرية، ضمن الرافد الأول للدرس البلاغي العربي وهو "النقد التطبيقي"، متخدًا من الحماسة لأبي تمام نموذجاً يعكس المعايير المعتمدة في تلقي النص الشعري و اختياره، والمقاربة التي قدمها العمري تعتمد على رؤية توجّهها نظرية التلقي كما يعرضها هانز روبرت ياووس Hans robert jauss، ويقوم العمري في البداية بتصنيف أنواع القراء أو المتلقين، ويقسمهم إلى:

1. "القارئ العادي المستهلك (المتلقي الأول)"
2. القارئ المتأمل (أي الناقد)
3. والقارئ المبدع الذي يتفاعل مع العمل الأدبي فيتتج بدوره، معارضًا للمقروء بشتى صور المعارضة.<sup>(١)</sup>

فالناقد جزء من عملية التلقي، ونجد في التراث العربي نماذج من التأليف تعتمد طريقة الاختيار والرواية للشعر وتضعه بين أيدي القراء، وهؤلاء الذين يقومون بعملية الاختيار يؤسسون عملهم على معايير، فهم نقاد تطبيقيون، وينطبق عليهم اسم الناقد بمفهومه القديم باعتباره تمييز الصحيح من المزيف بين الدنانير.

ينطلق العمري في هذه الجزئية من مشروعه من الفصل بين الرواية والاختيار، باعتبار أن الرواية تسعى للحفاظ على التراث وتوثيقه وجعله مركزاً، أما الاختيار فيجعل القيم الفنية التي تكتشفها الذات المتاخرة همه المركزي، ولا يهتم المتاخر بكمال

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق، المغرب، ط2، 2010، ص: 68.

النصوص أو نسبتها بل ما يهمه هو قيمتها الفنية والمضمونية التي أهلتها لتجذب انتباهه وتفاعل مع ذوقه وذوق معاصريه من يتسمون إلى تياره .<sup>(1)</sup>

والحماسة لأبي تمام تمثل هذا النوع من التأليف، فعمله يتميّز بحركة تجديدية، تعتمد على مفهوم التفاعل بين الأخلاقي، والفنى، والفكري، واعتماداً على هذه الجزئيات الثلاث، أمكن العمرى تصنیف توجهات تاريخ الاختیار الشعري القديم كالتالي<sup>(2)</sup> :

الاهتمام بالصورة في المقام الأول	المزاوجة بين الموضوع والصورة	الاهتمام الموضوع في المقام الأول
-ابن المعتر في:(فصول التمايل) -الأباري في : (كتاب التشبيهات ) -الخالديان في : الأشباه والنظائر .	-أبو تمام في:(الحماسة) في حين تميل الوحشيات نحو الاهتمام أكثر بالصورة .	-البحتري في:(الحماسة) -ابن داود في:(الزهرة) ومؤلفات كثيرة في موضوعات خاصة مثل حلبة الكميّت ومراتع الغزلان للقاضي النواجي

وقد التمس المرزوقي(ت421هـ) المقومات التي بنى أبو تمام عليها اختياره، ليخرج بعمود الشعر أو المقومات الأسلوبية والتداولية للخطاب الشعري كما استنبطها المرزوقي من تلقي أبي تمام للنص الشعري القديم، فيقول :"إنهم كانوا

<sup>(1)</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص ص : 71، 73.

<sup>(2)</sup> محمد العمرى، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص : 76.

يحاولون شرف المعنى وصحته، وجزالة اللفظ واستقامته، والإصابة في الوصف – ومن اجتماع هذه الأسباب الثلاثة كثرت سوائر الأمثال، وشوارد الأبيات – والمقاربة في التشبيه، والتحام أجزاء النظم والتئامها على تخير من لذيد الوزن، ومناسبة المستعار منه للمستعار له، ومشاكلة اللفظ للمعنى وشدة اقتضائهما للقافية حتى لا منافرة بينهما، فهذه سبعة أبواب هي عمود الشعر، ولكل باب منها معيار<sup>(١)</sup>

فمعايير عمود الشعر ومقوماته ذات هم بلاغي يبحث في ما يجب توفره عند المتنقي / الناقد، وعند المبدع، فالأول ليختار الأجدود بذوقه، والثاني ليقول الشعر المستجاد بشهوته .<sup>(٢)</sup>

فالبلاغة التي أراد المرزوقي تحقيق جزء منها، تهتم بشروط الاختيار ومقوماته وتعمل على كشف هذه المقومات التي تتوفّر عند المتنقي ، والرجل يفتح بابا على مسألة التلقي الشعري ، والرؤى التي يمكن للمتنقي تقديمها بعد قراءة النص وتذوقه ، فيأتي الناقد للبحث عن المعايير الضمنية التي توفرت لاختيار عناصر بعينها والتركيز عليها دون غيرها .

وهذا ما نجده عند لسان الدين بن الخطيب(ت776هـ) في : "السحر والشعر"<sup>(٣)</sup>; عندما بنى اختياره الشعرية على معياري: التفوق في الصناعة الشعرية

---

<sup>(١)</sup> أبو علي المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تلح غريد الشيخ، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ط1، 2003، ص:10.

<sup>(٢)</sup> ينظر: إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، دار الشروق، عمان الأردن، ط1، 2012، ص:415.

والتخيل، ومعيار الجري على النمط المعتاد والسائل، و"هب أن متذوقا – مرهف الذوق – أراد أن يختار لابنه أو لبعض الناس عددا من القصائد، فما هي المعايير التي يعتمد عليها في الاختيار؟"<sup>(2)</sup>

لقد كان اعتهاد لسان الدين على هذين المعيارين، بمثابة إجابة عن السؤال سالف الذكر، وقد خص المعيار الأول باسم السحر كل نص شعري جنح "إلى التخييل والتشبيه، وأحل الاستعارة بال محل النبيه [...]" وأعرق في باب الشعر أتم الاعراق "<sup>(3)</sup>"

وحاول لسان الدين جهده تطبيق هذا المعيار في اختياراته عبر أغراض المدح والنسب والوصف والحكم، وهنا نلتمس الأسس التي يبني عليها أصحاب الاختيارات الشعرية، فلسان الدين اعتبر صور البلاغة وإغراقها في الشعريّة معياراً نقدياً نابعاً من النص الشعري تحت رقابة بلاغية تؤدي خدمة للفحص النقدي وتساعد على إعطاء القيمة .

#### - ثانياً :اكتشاف من الخارج :

عمل العمري على اكتشاف رواد الدرس البلاغي، خارج الاهتمام بالنص الابداعي، في مجالات ليست مقطوعة الصلة به، بل تتلاحم مباحثها لمشاركة في صناعة

---

<sup>(1)</sup> لسان الدين بن الخطيب، السحر والشعر، تح كونتنته فيرير، بدايات للطباعة والنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2006 م.

<sup>(2)</sup> احسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص: 640.

<sup>(3)</sup> لسان الدين بن الخطيب، السحر والشعر، ص: 12.

إمبراطورية البلاغة التي تستكشف النص وتنظر له، فكان اهتمام العمري بالبحث اللغوي، والدرس الإعجازي، ونظرية المعرفة، والوافد الأجنبي المترجم عن اليونانية.

## ١- السؤال اللغوي :

لقد كانت عملية جمع اللغة، وتقنين قواعدها تتخذ طريقها الجاد، خوفا من ضياع صحة اللسان العربي، وتنامي ظاهرة اللحن، جراء التمازج بين الشعوب المختلفة ، بعد الفتوحات الإسلامية، خاصة " وأن هذا الاختلاط أثر أياً تأثير في العربية التي صارت في أفواه الأجيال الحضارية الجديدة على غير ما كانت عليه قبل هذا العصر "<sup>(١)</sup>

وقد قام بأعباء هذه المهمة رجال، منهم من عمل على جمع المادة اللغوية كالأصمعي (ت216هـ) وأبي عمرو بن العلاء (ت154هـ)، ومنهم من اهتم بالبحث عن القوانين التي تحكم نظام الكلام العربي مفرداً (الجانب الصرف) وتراكيمه (الجانب النحوی)، وكان العملان يدوران حول محور القياس أو إيجاد القوانين المطردة التي تحكم اللغة بمستوياتها، وقد لاحظ العمري وجود صراع بين ما اعتبره النحويون مركزاً وبين ما اعتبروه هاماً<sup>(٢)</sup> أي بين النص الشائع الذي يقاس عليه، وبين الحالات الخارجة عنه والتي تعامل معها اللغويون والنحاة باعتبار جزء منها

---

<sup>(١)</sup> عبد الرحمن حاج صالح، *السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة*، موفم للنشر، الجزائر، 2007، ص: 25.

<sup>(٢)</sup> ينظر: محمد العمري، *البلاغة العربية أصولها وامتداداتها*، ص ص: 90، 93.

تحت مفهوم المجاز باعتباره "طرق الكلام وما مآخذة"<sup>(١)</sup>، وتحت مفهوم الضرورة الشعرية أو التوسيع، ويبدو أن للعمري موقفاً من مسألة الوحدة التي مارستها الخلافة الإسلامية خاصة في العصرين الأموي والعباسي الأول<sup>(٢)</sup>، مما جعله يعتبر القواعد المستنبطة معياراً جديداً، والدلائل التاريخية / اللغوية، والدراسات التنقيبية تشهد بأن اللغة تم تقسيمها بالاعتماد على الشائع وعلى مبدأ الوحدة التي يلحق بها كل ماعداها تحت تسمية الشاذ، وهذا أمر طبيعي في كل عمل استقرائي يعتمد أساس البحث العلمي.<sup>(٣)</sup>

ويتكلّم العمري عن استفادة الدرس البلاغي ما اعتبره اللغويون والنحاة استثناءً عن القاعدة (المجاز والضرورة) قائلاً: "قد يبدو غريباً أن تولد البلاغة، أو مكون من مكوناتها، في مهد النحو وهو نقىضها، أي المعيار الذي تنزاح عنه . ولكن الذي وقع تاريخياً هو أن الظواهر البلاغية وقفت، في وقت مبكر، في وجه الصرامة العلمية التي نعت بها القياس النحوي واطراد القواعد، فأوقفت ذلك القياس الصارم عند حدوده، تحمل في يدها اليمني نص القرآن الكريم وفي يدها اليسرى ديوان الشعر العربي، تعطل بها وصول القياس إلى نهايته".<sup>(٤)</sup>

---

<sup>(١)</sup> عبد الله ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تج سعد بن نجدة عمر، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1، 2011، ص:49.

<sup>(٢)</sup> ينظر: محمد العمري، المرجع نفسه، ص:89.

<sup>(٣)</sup> ينظر: عبد الرحمن حاج صالح، السماع اللغوي العلمي عند العرب ومفهوم الفصاحة، ص:333، 251.

<sup>(٤)</sup> محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة، أفرقيا الشرق - المغرب، 2013، ص:113.

والفكرة القائلة بأن النحو هو المعيار، واتباع قوانينه في اللغة العلمية أو الاستخدام العادي يشكل المرجع الذي تنماز عن اللغة الشعرية نجدنا عند كوهن (Jean Cohen) الذي يجعل من الخضوع للنحو، اتباعاً لمعيار اللغة وابتعاداً عن درجات الشعرية خاصة إذا كان للنحو علاقة وطيدة بالجانب المعنوي.<sup>(١)</sup>

ويلج العمري الجزء الأول، مما اعتبر خروجاً عن القاعدة والقياس واستفاد منه الدرس البلاغي، وهو ما يخص مجاز القرآن، والناظر في المجاز الذي خصه العمري بالدراسة يجده بعيداً عن المفهوم الكلامي، والذي طور مع المعتزلة والأشاعرة ورأيناها ماثلاً في اتجاهات البلاغة المختلفة، إذ "يمثل مجاز القرآن عملية الغربلة المنهجية الأولى التي تستسمح باستخراج مجموعة من المقولات البلاغية بقدر ما تستخرج متنا من الأمثلة التي ستكون لاحقاً موضوعاً للتأمل البلاغي ثم التسمية والتعریف"<sup>(٢)</sup>

فأبو عبيدة (ت 210 هـ) جعل من كلمة مجاز مرادفاً للتفسير، والمعنى، والتأويل، والغريب ...<sup>(٣)</sup>، ويجتمع معناها على الطرق والأساليب اللغوية الممكنة التي اتخذها القرآن الكريم للتعبير عن مقاصده؛ من تقديم، وتأخير، وحذف، واختصار، وغيرها من الطرق التعبيرية، والعمري قام بعملية حصر لأشكال المجاز عند أبي عبيدة، فوجدها تتركز في أشكال خمس، يقول في ذلك: "بعد عملية استقصاء للأمثلة الدالة

---

<sup>(١)</sup> ينظر: جون كورين، بناء لغة الشعر، تر أحمد درويش، دار المعارف، القاهرة مصر، ط 3، 1993، ص 132-133.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 94.

<sup>(٣)</sup> ينظر: أبو عبيدة، مجاز القرآن، تر محمد فؤاد سوزكين، مكتبة الحانجي، القاهرة، ج 1، ص: 21، ج 2، ص: 157.

(بغض النظر عن الشروح المعجمية عن طريق المرادف أو التفسير) بدا لنا أن إشكالات المجاز عند أبي عبيدة تدرج في الخانات التالية :

- 1- تداخل الضمائر وتبادلها المواقع .
- 2- اختلاف أوجه الإعراب والقراءات .
- 3- استعمال اللفظ في غير موقعه المتوقع ومخالفة ظاهر القول .
- 4- الزيادة والنقصان في تركيب الكلام .
- 5- النقل والإلحاد الدلالي .<sup>(١)</sup>

ولا يكتفي العمري بعملية الرصد والتصنيف، بل يوجه عناته لانتقاء الأمثلة الدالة على النقاط التي اكتشفها، بل يتوجه همه نحو تصنيف مجاز أبي عبيدة بين :مجازات ذات صلة بالتطور التاريخي للغة، أو مشكلات عولجت بتوحيد المصحف، وبين مجازات نصية، تفسح المجال واسعاً للتأويل، هذا القسم الأخير يتوزع عبر مستويين :

- مستوى البحث في دلالات التقديم والتأخير، الحذف والتكرار ... وهو ما سيهتم به السكاكي ضمن علم المعاني .
- مستوى نقل الدلالة وتجاوزها لظاهر العبارة اللغوية، وهذا ما سيتم معالجته عند السكاكي تحت مسمى علم البيان .<sup>(٢)</sup>

ولم يكن المجاز هو المصطلح الوحد الذي استخدمه اللغويون، فيما خرج عن قياس العربية، واطراد قوانينها، بل نجد الضرورة الشعرية حاضرة ضمن اهتماماتهم،

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، المرجع نفسه، ص: 97.

<sup>(٢)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 107.

وكان الإشكالية المطروحة هي بين اعتبار الضرورة مزية، وبين اعتبارها عيما، وما يشكل منعطفا في مسيرة دراسة الضرورة الشعرية هو التناوؤها مع المجاز، والصلة القائمة بينهما تجمعها فكرة القاعدة النحوية باعتبارها الحقيقة التي يعتمدها البلاغيون معيارا لانزياح القول الشعري .<sup>(١)</sup>

"من هذا الحوار حول القاعدة النحوية والضرورة الشعرية والحقيقة الدينية والمجاز تغدت المباحث البلاغية فتحولت من مجرد ذكر صور الاستعارة والتشبيه وغيرهما ضمن صور البديع ومحاسن الكلام إلى مجال النقاش الدقيق في بنية المجاز ووظيفته كما نجد عند الجرجاني مع تحديد وتدقيق للمفاهيم ." <sup>(٢)</sup>

ويبدو أن صراع الضرورة والقاعدة النحوية عند النحاة هو ذاته صراع المجاز والحقيقة عند علماء الشرع، وهو صراع يمثل إشكالية المركز والهامش أو القاعدة والاستثناء، وهذا ما سيقود للصراع حول قضية المجاز عند المعتزلة والظاهريين .

والعمري في قراءته هذه للأصل من أصول الدرس البلاغي، يقيم آرائه على الموروث البلاغي الشكلاوي الذي يعتبر الخروج عن القاعدة النحوية هو لب الشعرية، فالشعر يكسر الرتابة التي يحياها العالم واللغة باعتبارها مجالا له<sup>(٣)</sup>، لكن هل نجد في شعرنا العربي كسر رتابة اللغة هو نفسه كسر رتابة القاعدة اللغوية ؟

---

<sup>(١)</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص: 129.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 129.

<sup>(٣)</sup> ينظر : فكتور ايرليخ، الشكلانية الروسية، تر : محمد الولي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 1، 2000، ص: 19.

لا نستطيع الجزم مطلقاً بهذا الأمر، لأننا غالباً ما نجد القاعدة النحوية تفرض هيمنتها، مع وجود جانب التغريب، والانزياح الذي يحصل برعاية القاعدة النحوية، كما أثبت ذلك الجرجاني في الدلائل، وهنا يتوجب علينا ألا نغلب المفاهيم الغربية على نصوصنا العربية لأن الغربيين ينطلقون من لغاتهم لصناعة نظرياتهم، فلا يستقيم الأمر إذا حاولنا تطبيقها دون مراعاة لتاريخ لغتنا والتراكم الذي تحمله .

## 2- إعجاز النص القرآني :

كان نزول القرآن الكريم أهم حدث شهدته اللغة العربية في تاريخها، وقد استرعى اهتمام المؤمنين بالدعوة الإسلامية، والمنكرين لها، فكان طرزاً فريداً من نوعه؛ في التشريع، والإخبار عن الغيوب، والترغيب والترهيب، وكانت بلاغته وطريقته نظمه تدخل سامعه في حيرة من أمره، بين الشعر والسحر، وما هو إلا قرآن مبين، واهتم المسلمون به وعملوا على تفهمه، والاقتراب من معانيه ومقاصده، ثم جاءت الفترة التي دخلت فيها العناصر الأجنبية إلى الخلافة الإسلامية، من نصارى ويهود وصابئة... مع ما حملوه من فلسفة ومباحثات لاهوتية، فطرحت الأسئلة حول إعجاز القرآن الكريم، وطريقة إثبات النبوة، وتصارعت الفرق الإسلامية حول قضية الإعجاز<sup>(١)</sup>، "وستستفيد البلاغة العربية من ذلك فائدة كبرى وستكون بيئة المعتزلة خاصة والمتكلمين عامة إحدى البيئات الرئيسية التي ينشأ في ظلها التفكير البلاغي ويتربع".<sup>(٢)</sup>

<sup>(١)</sup> ينظر: حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، دار الكتاب الجديد، بيروت لبنان، ط3، 2010، ص:35 وما يليها .

<sup>(٢)</sup> حمادي صمود، المرجع نفسه، ص:35.

ونجد العمري ينصب اهتمامه على الجانب التطبيقي من هذه التساؤلات الكلامية، و"يتلخص الجانب التطبيقي من الكلام حول القرآن الكريم في الالتزامين التاليين :

- الدفاع عن النص القرآني ودفع الشبهات عنه (التنزية).
- بيان وجه الإعجاز (المزية).<sup>(١)</sup>

والجانب الأول خاص بالدفاع عن القرآن الكريم ومواجهه المشككين في الوحي، وهنا نجد ابن قتيبة(ت) من سيمثل هذا الاتجاه، أما الجانب الثاني فيمثل الصراع بين الفرق الاسلامية وتوجهاتهم في تبرير وجه المزية ووجه إعجاز القرآن الكريم .

ويتحدث العمري عن الاتجاه الذي يتبعه ابن قتيبة، باعتباره يهدف إلى الرد على طعون المشككين وبيان انسجام النص القرآني وحسن اتساقه، ويلاحظ بأن هذا التيار لم يجد امتداداً في البلاغة العربية، وهو بذلك يمهّد للقارئ إقصاء هذا التيار من الجزء الثاني في مشروعه، مع أننا نجد ممثلين له بعد ابن قتيبة ؛ كالخطيب الإسکافی (ت431هـ) في كتابه : "درة التنزيل وغرة التأویل"<sup>(٢)</sup>، الذي خصصه لتعريف أسرار استخدام المفردات وحرروف المعاني ضمن المتشابه، ويقدم تعليلات ترتبط بانسجام النص القرآني وتتوفر المقصدية الدقيقة في بيانه، وجلال الدين السيوطي (ت911هـ) خاصة في مؤلفه الذي أسماه : "أسرار ترتيب القرآن"<sup>(٣)</sup>، الذي بحث فيه عن

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:141.

<sup>(٢)</sup> الخطيب الإسکافی، درة التنزيل وغرة التأویل، دار المعرفة، بيروت لبنان، ط2، 2012م.

<sup>(٣)</sup> جلال الدين السيوطي، أسرار ترتيب القرآن، تج عبد القادر عطا ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة، 2002.

الانسجام المحاصل بين سور القرآنية في تتابعها كما هي موجودة في المصحف الشريف، وما لا شك فيه أن هذا العمل نابع عن إشكال طرح قبل السيوطي، وهو هل يوجد انسجام بين مقاصد سور القرآنية لتكون على هذا الترتيب؟

ويمكّنا أن نصنف قراءة العمري لصنيع ابن قتيبة إلى محورين :

- محور القضايا المرافقة للإعجاز القرآني ذي الاهتمام البلاغي : وهنا يختص العمري الأسئلة الكلامية التي يرد عليها ابن قتيبة، وكذلك ما ادعى من اللحن في القرآن الكريم والتناقض والتشابه .<sup>(١)</sup>
- محور القضايا البلاغية : وأهم سؤال عالجه ابن قتيبة هو المجاز، الذي يخصه بالتعريف التالي : "طرق الكلام وما خذه"<sup>(٢)</sup>، ويرد على من ادعى بأن المجاز كذب، ويحاول ابن قتيبة أن يتوسط في تعامله مع المجاز، فالظاهر موجودة لكن استعمالها ليس دليلاً على الكذب، ومن هذا الموقف سيحاول من سيأتي بعده الوصول إلى نتيجة في مسألة المجاز (خاصة فيما يتعلق بالذات الإلهية) مفادها أن ما وقع هذا الموقع من المجازات إنما هي : "تعابيرات مجازية عن حقائق إلهية"<sup>(٣)</sup>

---

<sup>(١)</sup> ينظر : عبد الله بن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، تتح سعد بن نجدة عمر، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق سوريا، ط1، 2011، ص ص : 59، 101.

<sup>(٢)</sup> عبد الله ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن ، ص:49.

<sup>(٣)</sup> نصر حامد أبو زيد، إشكاليات القراءة وآليات التأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، ط7، 2005، ص:125.

أما الجزء الثاني فيخصصه العمري لبيان وجه الإعجاز، وهنا نجد أعمال القرن الرابع الهجري في دراسات الإعجاز القرآني؛ أمثال الباقلاني (ت403هـ) والرمانى (ت386هـ) والخطابي (ت388هـ)، ولكل طريقته وخططه في بيان وجه إعجاز القرآن الكريم، بين القول بالصرف، أو الإخبار عما كان وما سيكون، أو من جهة بلاغته<sup>(١)</sup>، لكنهم يجتمعون حول مسألة إمكانية إثبات إعجاز القرآن من خلال النص ذاته، وقد كان للأسئلة الكلامية نصيب في توجيه الدرس البلاغي من خلال هذا الأصل، ولم تمر عليه بربا وسلاما "بل لقد ثارت أسئلة اعتقادية لتحديد ما هو كلام الله الذي ينبغي أن نرصد فيه الإعجاز: هل هو كلام الله القديم، أم كلام الله المخلوق في حروف منظومة؟ وسيكون هذا الاعتبار موجهاً لنموذجين بلاغين كبيرين"<sup>(٢)</sup>

ويظهر هذان الاتجاهان من خلال ابن سنان الخفاجي (ت466هـ) مع التيار الأول، والجرجاني مع التيار الثاني .، لكننا إذا رجعنا إلى الخطابي وجدها يتتمي كذلك لتيار ابن قتيبة لأنه سيرد على الطاعنين في القرآن الكريم، وليس أدل على ذلك من قوله حول ما ادعاه خصوم القرآن: "وأما ما عابوه من التكرار"<sup>(٣)</sup>، وهذا يجعلنا نقول بأن التيارين كانوا على تماس وتفاعل دائمين والفصل بينهما بحثياً لا يعني انفصالهما على أرض الواقع تاريخياً .

<sup>(١)</sup> ينظر: أبو سليمان الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاثة رسائل في إعجاز القرآن، تتح محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة—مصر، ط٦، ص: 22، 24.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 163.

<sup>(٣)</sup> الخطابي، بيان إعجاز القرآن، ص: 52.

ثم يتكلم العمري عن المراحل التي مر بها الدرس الإعجازي، من محاولة رصد المزية ووجه الإعجاز إلى تنظيم الأوجه البلاغية التي تمكن الباحث من معرفة الإعجاز ومواضعه، وذلك يتمثل مع عمل الرماني في النكت<sup>(١)</sup> حين قام بجمع أقسام البلاغة ودلل عليها، متخذًا إياها معياراً للبلاغة القرآن الكريم وإعجازه.

ليصل العمري في دراسته لهذا الأصل إلى أن مباحث البلاغة العربية استفادت من السؤال الاعجازي الذي كان بإمكان البلاغيين أن يستثمروا جزءاً منه في تطوير البلاغة النصية (مع وجود نماذج تمثلها، لكنها ليست شائعة)، عوضاً عن الغرق في اقطاع النصوص من نسقها العام واتخاذها شواهد لقواعد مقررة مسبقاً.

### 3- سؤال المعرفة والإقناع:

ينطلق العمري في دراسة أصل آخر من أصول البلاغة العربية، وهو مبحث البيان بين المعرفة والإقناع، مركزاً على الجاحظ (ت 255هـ)، خاصة مؤلفه البيان والتبين<sup>(٢)</sup> باعتباره خلاصة آرائه حول موضوع البيان والإقناع، لكن العمري يطرح تساؤلات مهمة، حول إذا كان من جاؤوا بعد العمري قد فهموا البيان والتبين وواصلوا مشروعه؟ وكيف كان تلقיהם لهذا المشروع؟

ويوضح بأن مادة الكتاب "لا تخرج عن ثلاثة محاور :

1- وظيفة البيان وقيمة.

2- العملية البيانية وأدواتها.

<sup>(١)</sup> ينظر: علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحرّك محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة - مصر، ط 6.

<sup>(٢)</sup> الجاحظ، البيان والتبين، تحرّك عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط 1، 2010.

### ٣-البيان العربي.<sup>(١)</sup>

ويبدو أن العلاقة بين المعرفة والبيان والإقناع نجدها عند الجاحظ نفسه، ولكن ليس في البيان والتبيين، وإنما في الحيوان ؛ عندما يربط بين وجود العالم والحكمة منه وأن كل مخلوق خلق لحكمة وينتقل نوعان منه في الوعي بهذه الحكمة التي وضعها الله عز وجل، وهذا ما يصنع الفرق بين الحيوان والإنسان، فكلاهما دليل على هذه الحكمة إلا أن الحيوان دليل غير مستدل والإنسان دليل مستدل، ويتمكن من الاستدلال بالبيان وسبله من: لفظ وخط عقد وإشارة .<sup>(٢)</sup>

لكن تركيز العمري على البيان والتبيين، لم يقص قضية الاستدلال، باعتبارها عملا سيميائيا، يلح الجاحظ على حضوره في عملية البيان، وهذا ما نراه حاضرا في حديث العمري عن بيان الجاحظ، وإذا أردنا التوغل في مقاصد هذا الأخير سنصل إلى امتداد مهم في بلاغتنا العربية، وهو الامتداد السيميائي الذي يوسع دائرة العمل البلاغي إلى خارج نطاق اللغة، وهذا ما نجده في الدراسات التي تفتح ما هو تداوily وسيميائي .

ويقتصر العمري من خلال المخطط الذي وضعه لبيان الجاحظ <sup>(٣)</sup> على وظيفة البيان (الفهم والإفهام)، وطرف العملية البيانية (الخطابية) من أدلة ومقام، ثم الدفاع عن البيان العربي وتقاليده لعربية كما عرضها الجاحظ من خلال الخطابة، ويكشف العمري عن مفاصل البيان عند الجاحظ مراعيا في قراءته البعدين التعليمي والتأويلي

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:193.

<sup>(٢)</sup> ينظر : الجاحظ، الحيوان، ترجمة الشامي، دار مكتبة الهلال، بيروت لبنان، ص:30.

<sup>(٣)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:194.

(وهذا ما يلاحظ على مشروعه) بقوله : "يتنازع البيان عند الجاحظ في كتابه البيان والتبيين مفهومان أو وظيفتان :

1-البيان معرفة : الوظيفة الفهمية .

2-البيان إقناع : أو الوظيفة الإقناعية .

الوظيفة الثانية هي الوظيفة الصريرة والوظيفة الأولى هي الوظيفة الكامنة المتحكمة في مقدمة الكتاب <sup>(١)</sup>

ثم يقدم العمري على قراءة تنبيئية، تحاول الوصول إلى خلفيات مشروع الجاحظ ذي العلاقة بالميدان الأصولي، وقد لاحظ توافق مقولاته مع الإمام الشافعي (ت204هـ)، وكذلك تأثره بالمفهوم الكلامي، الذي يركز على إثبات العقيدة بالاستدلال العقلي، "تأثير بهذين المفهومين وربما بغيرهما وحاول صياغة نسق سميائي في ضوء الهموم المنطقية الإقناعية لعصره التي لا يمكن أن يغيب عنها المنطق الأرسطي".<sup>(٢)</sup>

ومن يرجع إلى الدرس السيميائي عند بورس (Peirce) يلاحظ بأنه يتكلم عن سيميائيات باعتبارها "تصوراً متكاملاً للعالم". ذلك أن الإمساك بهذا العالم باعتباره سلسلة لا متناهية من الأنفاق السيميائية، أي باعتباره علامات، يشير إلى استحالة فصل العلامة عن الواقع <sup>(٣)</sup>

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 195.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 196.

<sup>(٣)</sup> سعيد بنكراد، السيميائية والتأويل، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط1، 2005، ص: 27.

وهذا ما أراد قوله الجاحظ، وليس بالضرورة أن يتشاكل مع بورس (Peirce) في البناء المنطقي لمشروعه، إلا أن المقاصد تقترب من بعضها والمنطلقات لا نعدم الصلة فيها بينما، خاصة فيما يتعلق بقضية الإقناع، فالجاحظ انتقل من البيان إلى الإقناع بالحججة والدليل، وطرح إمكانيات هذا الفعل وأدواته، وكذلك نجد في الثلاثية الأخيرة عند بورس عندما يصل إلى الحجة، مع الفارق في الطابع الحواري عند الجاحظ والذي لا نراه واضحاً عند بيرس .

ويبرز العمري الجانب الإقناعي عند الجاحظ من خلال حديثه عن الخطيب ومواصفاته وطرق إقناعه والأساليب المتّبعة في ذلك، والجاحظ يولي أهمية كبيرة لما ورد في صحيفة بشر بن المعتمد، والتي أصبحت طريقة تعليمية لحجاج عن أصول الإعتزال .<sup>(١)</sup>

ثم ينتقل العمري إلى قراءة داخل النسق البلاغي العربي، وهي قراءة البلاطغين العرب للجاحظ، وتحدث عن قراءة بالمخالفة والتكميل التي مارسها ابن وهب الكاتب في كتابه البرهان في أوجه البيان<sup>(٢)</sup>، ونجد قراءة أخرى - لم يذكرها العمري - وهي قراءة أبي هلال العسكري (ت 395هـ) للبيان وهي قراءة مكملة موافقة تعتمد على استراتيجية الشرح والتوضيح لما ورد عند الجاحظ في البيان والتبيين، أما ابن وهب فقد أخذ على عاتقه عباء إعادة بناء البيان من جديد بطريقة عقلية تجعله قريباً إلى النظرية المعرفية منه إلى بلاغة تهتم بالخطاب .

---

<sup>(١)</sup> ينظر : الجاحظ، البيان والتبيين، ج ١، ص: 107.

<sup>(٢)</sup> ابن وهب، البرهان في أوجه البيان (نقد النثر)، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، 1980.

وفي الختام يضع العمري نتائج توصل إليها حول وظائف البيان، فقد تجلت الوظيفة المعرفية التي تهتم بالإفهام وتوصيل المعلومة، ونجد الوظيفة التأثيرية (استمالة الآخر)، والتي تقوم إذا كان المخاطب في حالة خلاف مع المخاطب، أما الوظيفة الحجاجية، فتقوم إذا كان المتخاطبان في حالة خصم .<sup>(١)</sup>

#### 4-بلاغة الآخر وطبيعة القراءة :

في وقت مبكر كان هناكوعي ببلاغة الأمم الأجنبية، وهذا الأمر نجده عند الجاحظ، وعند أبي هلال العسكري، ونص الجاحظ المنقول بالرواية، تورده عديد الدراسات ونستأنس به، والسائل: "قيل لفارسي: ما البلاغة؟ قال: معرفة الفَصْل من الوصل، وقيل لليوناني: ما البلاغة؟ قال: تصحيح الأقسام، و اختيار الكلام، وقيل للروميين: ما البلاغة؟ قال: حسن الاقتضاب عند البداهة، والغَزَارة يَوْم الإطالة، وقيل للهنديّ: ما البلاغة؟ قال: وُضُوح الدلالة، وانتهاز الفرصة، وحسن الإشارة، وقال بعض أهل الهند: جماع البلاغة البصر بالحجّة، والمعرفة بمواقع الفرصة"<sup>(٢)</sup>

ونجد كذلك أبي هلال العسكري يتكلّم عن بلاغة اليونان والفرس، بل ويقر مسألة غاية في الأهمية بالنسبة لبلغوي عصره والتي يقررها في كتابه ديوان المعاني، في فصل تحت عنوان جمل من بلاغات العجم بقوله: "العجم والعرب في البلاغة سواء، فمن تعلم البلاغة بلغة من اللغات ثم انتقل إلى لغة أخرى أمكنه فيها من صنعة الكلام ما أمكنه في الأولى "<sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 213.

<sup>(٢)</sup> الجاحظ، البيان والتبيين، ج 1، ص: 77.

<sup>(٣)</sup> أبو هلال العسكري، ديوان المعاني، دار الجليل، بيروت لبنان، ج 2، ص: 89.

وهذه الشذرات التي سقناها للتحقيق في مسألة معرفة البلاغيين العرب بالبلاغات الأجنبية، ترسخ فكرة مهمة مفادها : أن ما نجده في البلاغة العربية عن البلاغات الأخرى ( خاصة في القرون الثلاثة الأولى ) لا يعدو أن يكون تلميحاً أو نقل لمجرد الاستثناء والتخييل ؛ ولا نجد عملاً جاداً يحوي نسقاً متكاملاً عن البلاغة الأجنبية إلا عند الفلاسفة المسلمين الذين ترجموا لأرسطو، وكانوا شرحاً بامتياز لمنظومته المعرفية التي تمت من المنطق عبر الإلهيات والطبيعيات إلى الشعر والسفسطة والخطابة، وهذا ما ركز عليه العمري تحت عنوان : القراءة العربية للبلاغة اليونانية .<sup>(١)</sup>

وقد توجه العمري للثقافة اليونانية دون غيرها لأنها دخلت كنسة تحمله أعمال مؤلفة خاصة لأرسطو، و"يمكن رصد أثر الثقافة اليونانية في مجال تحليل الخطاب عامة من زاويتين :

1- الإطار المنطقي والثقافة الأخلاقية والنفسية : المستوى العام، أو الإطار .

2- البناء الخاص بكل من الخطابين الشعري والخطابي : المستوى الخاص، أو الموضوع البلاغي .<sup>(٢)</sup>

والعمري سيهتم بالجزء الأخير دون إهمال الإطار العام لأن ما هو بلاغي تم قراءته ضمن هذا الإطار العام، وقد اعتبر الفلاسفة المسلمين الشعر والخطابة جزءاً من المنظومة المنطقية الأرسطية، أما كتاب فن الشعر فقد حظي عنده باهتمام أكبر من

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 217.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 219.

اهتمامه بالخطابة، وكان هم العمري البارز الرد على من يدعى عدم تأثير كتاب الشعر لأرسطو في البلاغة العربية، مما استدعي عنده مراجعة مصطلحي الفهم والتأثير.<sup>(١)</sup>

إن ما فهمه الدارسون خاصة في الفترة التي بدأت الدراسات الحديثة تقترب من مجال الترجمة، هو أن التأثر وفهم الآخر تطابق معه، وعلى هذا الأساس تعاملوا مع الترجمات العربية والشروح القديمة لأرسطو، ولما لم يجدوا هذا التطابق اعتبروا أن أعمال الفلسفه المسلمين مجرد تأويلاً لا تفني بعرض النص الأصلي، وهنا يتوقف العمرى للتحقيق في مسألة غاية في الأهمية: "هل هناك نص أصلي عامة؟ ول هناك نص أصلي، خاصة حين يتعلق الأمر بفن الشعر لأرسطو؟"<sup>(٢)</sup>

ليصل بعد التمحيق إلى نتيجتين :

- ترجمات فن الشعر لا تعدو أن تكون تأويلاً له، في غياب التواصل مع النص الأصلي .
- خلل الترتيب بين عناصر الكتاب، ونقص أجزاء مهمة منها، وهذا ما يشهد عليه عبد الرحمن بدوى : "كتاب أرسطو في الشعر ينتمي إلى ذلك القسم من الكتب الأرسطية المسمى باسم المؤلفات المستوره [...] ومن خصائص هذا النوع الإيجاز وعدم الإحكام في التأليف والغموض [...] وإنما الصعوبة الكبرى هي في النص الباقي لنا: هل هو النص الكامل؟"<sup>(٣)</sup>

---

<sup>(١)</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص: 220.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 23.

<sup>(٣)</sup> أرسطو طاليس، فن الشعر، تر عبد الرحمن بدوى، مكتبة النهضة المصرية، 1953، ص: 38 (من مقدمة عبد الرحمن بدوى).

إذن فمن المفيد إعادة الاعتبار للترجمات والشروح العربية، وإعادة فهم استراتيجيتها في استيعاب نظرية أرسطو في الشعر، وكذلك الخطابة . فقد لا حظ العمري أن العقلية العربية اقتربت من فن الشعر، بعد صعوبات من قبيل : اختلاف المرجعيات والمجال المعرفي، وأخذت تفهمه من خلال :

1- البحث عن الكليات أو القوانين الكلية التي تجمع صناعة الشعر عند الأمم .

2- الإجراءات التحويلية : نقل المركز من المحاكاة إلى التغيير اللغوي .<sup>(١)</sup>

ويشرح العمري ما قام به الفلاسفة العرب قائلاً : "قام الفلسفه العرب بعملية تحويل لمركز بلاغة أرسطو من خشبة المسرح إلى تركيب اللغة، من التمثيل الدرامي إلى التشبيه والاستعارة والمجاز، وأعادوا تعريف التراجيديا والكوميديا بالمدح والهجاء بعد تجريدهما إلى تحسين وتقبيح، وقايضوا المحاكاة بالتخيل ترجيحاً للآخر على الكيفية وفي بيئتهم طرحت نظرية الشعر والخطابة بشكل علمي نظري لأول مرة في تاريخ العرب ."<sup>(٢)</sup>

ويجعل العمري عمل ابن رشد في التغيير مقارباً المصطلح الانزياح في الدراسات الشعرية المعاصرة، والبلاغية الجديدة، ويقترب من مفهوم هنريش بليت الذي يجعل من : "الصورة البلاغية هي الوحدة اللسانية التي تشكل انزياحاً . وبذلك يكون فن العبارة (élocution) نسقاً من الانزياحات اللسانية "<sup>(٣)</sup>، ثم يربط بين نموذج موريس

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:249.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة، أفريقيا الشرق، 2013، ص:116.

<sup>(٣)</sup> هنريش بليت، البلاغة والأسلوبية، تر محمد العمري، أفريقيا الشرق، المغرب، 1999م، ص:66.

السيميائي وبين مستوياته ويدمج كل مستوى مع انتزاعه الخاص به، ثم يحدد العمليات التي تخرق المعيار بمثل الزيادة، والنقص، والتعريض، وتبادل الدلائل ...<sup>(1)</sup>

ونجد صلة بين ما يذكره هنريش وبين مارصده العمري من عمليات التغيير الواردة عند الفلاسفة العرب خاصة ابن رشد (ت 595هـ)، مثل حديثه عن الإبدال والتتشبيه.<sup>(2)</sup>

### 3- شبكة البلاغة وتحديد النهاذج:

#### أ- أسس الاختيار :

عمل العمري على التتحقق من وجود خاصيتي : الاستكشاف كتمهيد يربطها بالأصول، وبناء النموذج العلمي في المشاريع المختارة والتي تمثل امتدادات البلاغة العربية، وتجسد طموح أصحابها في بناء قاعدة نظرية، ونموذج تطبيقي واضح قابل للفحص والإجراء<sup>(3)</sup>، ولهذا نجد عمله في قراءة البلاغة العربية ينصب اهتمامه على :

3- أسرار البلاغة ودلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني .

4- سر الفصاحة لابن سنان الخفاجي .

5- مفتاح العلوم للسكاكبي ومنهاج البلغاء وسراج الأدباء لخازم القرطاجي .

وفي رأي العمري لهذه الأعمال ما يؤهلها لتمثيل اتجاهات البلاغة العربية، واعتبارها امتدادات تسهم في بناء النموذج البلاغي المرتقب (البلاغة العامة).

<sup>(1)</sup> ينظر : المرجع نفسه، ص: 67.

<sup>(2)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية، أصولها وامتداداتها، ص: 261.

<sup>(3)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 279.

وتكشف القراءة الفاحصة عن الخيوط الجامعة بين الاتجاهات المذكورة سابقا عن بناء متماساك ؛ ينطلق من القاعدة النظرية، مع مدارج الغرابة عند الجرجاني، والبحث عن ميزات القول الشعري، ومعالجة قضية التخييل والصدق والكذب، ضمن النظرية الأدبية العامة، وينتقل منها إلى المناسبة التداولية، ويصل ليتمتد إلى مستوى البنية الصوتية والصرفية مع ابن سنان الحفاجي والبحث عن بلاغة التناسب، ثم يمثل أمامنا نموذج بلاغي مضبوط بالنحو والمنطق ؛ ونجده عند السكاكي والقرطاجمي .

فنظرة العمري كانت تسير وفق مبدأين : البحث عن الجانب النظري الذي يعهدد البلاغة العربية، وتقديم النماذج التطبيقية والتحقق من آلياتها، وكان اختياره للأعمال البلاغية ليس بعيدا عن هذين المعيارين .

وقد جعل العمري من النماذج البلاغية المختارة مصبا تلقى فيه الرواقد التي سبق التعریج عليها حولتها الاستكشافية، والتي خاضت غمارها طيلة ما يقارب خمسة قرون متابعة، من البحث والاستقصاء في متن العربية، ومدونتها التخييلية والإقناعية ، لكن السؤال الذي يطرح : هل تمكنت قراءة العمري من حصر كل المشاريع البلاغية ( امتدادات البلاغة العربية ) في ثلاثة نماذج ؟ ألا توجد نماذج بلاغية خارج قراءة العمري ؟

إن هذه الأسئلة يحيب عنها العمري في خضم حوار مباشر، بينه وبين محمد الولي، وإدريس جبري ؛ فيطرحان عليه السؤال في حوارهما : "هناك غائبون في كتابكم: البلاغة العربية، وغيابهم يثير كثيرا من التساؤلات ويتعلق الأمر على سبيل

المثال بابن رشيق والسجلماسي والافراني وابن البناء المراكشي وغيرهم، هل هناك مبرر لهذا الغياب؟

(العمري ) كما ذكرت في جواب سابق، فالمنهج الذي اتبعناه، هو قراءة المشاريع والتركيز على مؤلفات أو مجموعة كتب والاقتصار على المشاريع الأكثر فعالية .<sup>(١)</sup>

فعالية هذه المشاريع المختارة، تتضمن البناء النظري، وتحديد المقاصد وقابلية التطبيق والإجراء، وكذلك كونها نابعة من هم نسقي متند جذوره لتصل بروافد البلاغة العربية التي سبق للعمري الحديث عنها، لكن مع هذا الإحکام الشمولي الذي مارسه العمري إلا أننا نجده يستكشف أعملاً أو اتجاهات أخرى خارج ما حدد في فترات لاحقة كما حدث مع أبي حيان التوحيدي .<sup>(٢)</sup>

#### ب- الامتدادات الكبرى :

أولاً: التخييل والتداول :قراءة جديدة للمنجز البلاغي عند الجرجاني.

لا يستطيع الباحث في قضية بلاغية، أن يتجاهل وجود الإمام عبد القاهر الجرجاني، ولا تجاوز مؤلفيه : "أسرار البلاغة "<sup>(٣)</sup> و "دلائل الإعجاز "<sup>(٤)</sup>، ويعتبر هذان

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، *أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ والقراءة*، ص: 262.

<sup>(٢)</sup> ينظر : محمد العمري، *البلاغة العامة في حوار الرصد والتنظير* (ضمن البلاغة والخطاب)، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2014، ص: 16.

<sup>(٣)</sup> عبد القاهر الجرجاني، *أسرار البلاغة*، تتح عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ط1، 2001م.

<sup>(٤)</sup> عبد القاهر الجرجاني، *دلائل الإعجاز*، قرأه وعلق عليه : محمود محمد شاكر، شركة القدس للنشر والتوزيع، ط3، 1992م.

الإنجازان مركز انطلاق بالنسبة لاتجاه بلاغي، ساد بعد القرن السادس الهجري، والذي تزعمه السكاكي، وحق به الشراح وأصحاب الهوامش والحواشي، وكان مؤثراً على العقلية العربية الأدبية والنقدية في العقود التي شهدت التأثر بالتيارات النقدية الحديثة والمعاصرة، فالجمود الذي أصاب الدرس البلاغي، والعكوف على أساليب بعضها وعدم مفارقتها جعل هجوم المستغربين شديداً على البلاغة العربية، وجعل الدارسون يرمونها بالجذب والتآخر وعدم الفاعلية، لكن السؤال الذي يطرح نفسه: إذا كان عمل الجرجاني بالمكانة التي وصفناه عليها، وللسكاكي فضل التقنيين والزيادة والفهم، فماذا حدث لهذا المشروع؟ كيف قرئ الجرجاني؟ وهل أسيء فهم مقاصد الرجل وجزئت نظريته البلاغية وتقاسمتها الادعاءات (الأسلوبية والدلالية والشعرية...)؟ كيف السبيل لإعادة قراءة الجرجاني؟

يبدو أن السؤال الأخير يعتبر منطلقاً لقراءة العمري، لن نعيد كلام الرجل في فضول عمله، لكن أكتفي برسم الاستراتيجيات والآليات التي سخرها العمري في سبيل تحقيق قراءة جديدة / قديمة للجرجاني؛ جديدة لأنها تستعين بمعطيات الدرس البلاغي الجديد وأصوله من تداولية وشعرية، وقديمة لأنها تريد بناء التلقى التاريخي الذي نشأ فيه عمل الجرجاني وتواترت شروط فهمه في عصر الرجل .

ومحمد العمري قسم دراسته لامتداد مشروع الجرجاني إلى قسمين، حيث قام بقراءة لخطاطة الأسرار والدلائل، راصداً من خلالها التحولات التي طرأت على العملين، وما يتوجّب أخذـه بعين الاعتبار في قراءة هذين العملين<sup>(١)</sup>.

---

<sup>(١)</sup> ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصوتها وامتداداتها، ص: 323.

## ١- بين غرابة التخييل و المناسبة الكلام للمقصود:

يبدأ العمري قراءته بأسرار البلاغة، حيث يبني خطاطة الكتاب على ثلاثة مدخل، معتمداً على القراءة النسقية التي تروم كشف النظام الذي يحكم المشروع العلمي، فالمدخل الأول هو المواجهة التي كشف عنها الجرجاني بين المعنى الصحيح والمعنى التخييلي، وهذا الجزء من عمل الجرجاني يريد من خلاله أن يحل مشكلة السرقات الشعرية ببيان المشترك بين الشعرا<sup>(١)</sup>، والذي لا يعتبر وجوده عند شاعرين سرقة، وبين الفردي الخاص الذي يصنع التميز بين شاعر وآخر، وهنا تتأكد ضرورة فهم الأعمال البلاغية في إطار الانشغالات الأدبية والنقدية لعصرها؛ لأنها تمثل إجابات عن الأسئلة المطروحة آنذاك، ويأتي المدخل الثاني من كتاب الأسرار، حسب قراءة العمري، ليكشف عن التراتبية "بين المعنى القريب المأخذ والمعنى بعيد المأخذ" <sup>(٢)</sup>، مقیماً مقارنة بين شتى الصور البلاغية من استعارة و تأثيل واستعارة تمثيلية، وبين فضيلة الصور ذات الخاصية العجيبة (التخييلية)، وبين الصور الساذجة كالتشبيه المرسل <sup>(٣)</sup>، والمعالجة اللسانية العقلية تبرز من خلال هذا المدخل، لأن الرجل يعالج مسألة الخروج عن الأصل، وصناعةحدث الشعري بخصائصه وميزاته التخييلية خاصة منها العقلية، ويكشف العمري من خلال المدخل الثالث عن اهتمام الجرجاني بقضية المجاز، وتقسيمه إلى:

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 328.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، المرجع نفسه، ص: 329.

<sup>(٣)</sup> ينظر : الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 235.

- مجاز مفرد : "كل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها للاحتظة بين الثاني والأول "<sup>(١)</sup>
- مجاز في الجملة : "كل جملة أخرجت الحكم المفاد بها عن موضعه من العقل لضرب من التأول "<sup>(٢)</sup>
- المجاز العقلي (الحكمي) : وهو الذي يجعله الجرجاني واقعاً في الإثبات لا في المثبت أي لا يقع في المفرد .

وقد ظهر للعمري بأن الجرجاني كان مهتماً بالإجابة عن الأسئلة التي طرحتها الخلافات المذهبية، حول المجاز؛ بين مثبت مفرط فيه، وبين منكر مفرط في مزيته، ليحل الجرجاني الأمر برأي وسطي "يقبل التأويل في إطار المعرفة البلاغية مسترشداً بالمعطيات السياقية التي تحكم النص"<sup>(٣)</sup>

فالباحث الذي خاضه الجرجاني في الأسرار هو بحث عن مدارج الغرابة ومستوياتها، باعتبارها مكونات للخطاب الشعري ؟ منها ما يعد معياراً لتقييم العمل الشعري وينبغي أن يتأسس عليه (المعانى الفردية الخاصة)، ومنها ما يشتراك فيه مع الآخرين (المعانى المشتركة العامة) ولا تعتبر مرجعاً ضرورياً في بناء العمل الشعري، فكتاب الأسرار "أول كتاب يطرح سؤال الهوية، هوية الخطاب البليغ، فإنه كان محكماً بتوجهه إلى الشعر، ولذلك يصلح أن يسمى حسب تعابيرنا :أسرار بلاغة الشعر، أو

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 249.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 272.

<sup>(٣)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 343.

لغة الشعر<sup>(١)</sup>، هذا ما يتفق معه محمد مشبّال، لكنه يعممه على كل الدرس البلاغي العربي، وهذا ما لا يوافق عليه محمد العمري ؛ فالنسبة لمحمد مشبّال، البلاغة العربية "علم الأصلق بأساليب الشعر وأنسب لطبيعته"<sup>(٢)</sup>، وهذه الجزئية يقع التوافق حولها بين الرجلين، لكننا إذا جئنا إلى ما قرره مشبّال حول الأسرار والدلائل خاصة الكتاب الأخير سنجد مفارقة بينه وبين العمري ؛ إذ يقول : "وقد أظهر تأملنا في الخطاب البلاغي الموروث أن علماءنا لم يصدروا في صياغة تصوراتهم عن مقوله الأجناس ؟ فقد استأثر بوعيهم الجمالي جنس أدبي وحيد لم يستطعوا الفكاك منه حتى وهم يستشرفون نصاً ملك عليهم مشاعرهم، فهباوا لبيان دلائل إعجازه وأسرار بلاغته"<sup>(٣)</sup>، في حين يجعل العمري الدلائل كتاباً يختص بالمناسبة التداولية، ويعتمد على المدونة نفسها التي نجدها في الأسرار لكن بمنظور مغاير ويسؤال آخر غير الذي وجدناه يحرك أسرار البلاغة، لكن هذا لا يلغى تفاعل الحانين، وهذا ما نجده عند مشبّال ؛ لأنّه يعتبر بلاغة الشعر تستطيع احتواء أجناس أخرى وتغيّبها ضمن البلاغات النوعية .

ويرصد العمري انتقال الجرجاني من الغرابة الشعرية إلى المناسبة التداولية، معتبراً دلائل الإعجاز عملاً مكملاً للأسرار يشتراك معه في المنطلق (اعتبار البلاغة في المعنى) ويختلف معه في المقصود منه ؛ بين الغرابة وبين مناسبة المقاصد، كذلك يبيّن على نسق الأسرار التخييل الذي يربطه العمري بالمحاكاة الأرسطية، أو القراءة العربية

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط2، 2012م، ص: 41.

<sup>(٢)</sup> محمد مشبّال، البلاغة والأصول، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2007، ص: 13.  
<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص: 14.

لمحاكاة أرسطو، ونجد الدلائل يهيمن على نسقه النحو أو معاني النحو<sup>(١)</sup>، ولا تختلف قراءة العمري للدلائل عن قراءته للأسرار، فقد رصد المداخل الأساسية للكتاب محدداً التقسيمات التي تحكم نسقه، بين التقسيم الثنائي الذي وضعه عبد القاهر للمزية (في اللفظ أو في النظم)، ثم تعديل الجرجاني لهذه الخطاطة إلى تقسيم ثلاثي (مزية في اللفظ أو في النظم أو فيما معاً)، ثم يكشف العمري عن مفتاح مهم في التعامل مع دلائل الإعجاز، فالجرجاني كان يتعامل مع اللفظ والمعنى باعتبارهما مادة وصورة، وحصول المزية عند الشاعر والإعجاز في القرآن إنما يقع بالتفاعل الحاصل بينهما، وليس باعتبار المعنى شائعاً فيكون مطروحاً، "فكان الغرض هنا هو التمييز بين المكون النوعي والمكون غير النوعي في الشعر"<sup>(٢)</sup>، واهتمام الجرجاني بقضية اللفظ والمعنى وطغيانها على كتابيه، راجع لكتونها "عماد الظاهرة اللغوية وأسس العبارة . وكل كلام عن الكلام، من أي زاوية كان، هو في جوهره تحديد ل Maher كل منها وتحليل للكيفيات التي يتم بها تلاحمهما سواء في مستوى اللفظ المفرد أو في مستوى التركيب "<sup>(٣)</sup>

وتلاحم اللفظ والمعنى من خلال النظم باعتباره وضع الكلام "الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها"<sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصوتها وامتداداتها، ص: 347.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 354.

<sup>(٣)</sup> حمادي صمود، التفكير البلاغي عند العرب، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت لبنان، ط3، 2010م، ص: 414.

<sup>(٤)</sup> عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 81.

فالعمري استخرج الخطاطة التي بنى على أساسها الجرجاني عمليه، في قراءة تستهدف كشف بنية مشروع الجرجاني وإعادة تشكيل عناصره وفق رؤية جديدة، ومن خلال استكشاف الأنماط التي تحكم الكتابين، وتحديد المركز والهامش في كل منها، تمكن من بناء العلاقات بينهما، وكذلك ربط بين عمل السكاكي وما أودعه الجرجاني من نتائج في عمليه، متتجاوزاً الرazi الذي قام هو كذلك بدور لا بأس به لا ينبغي إغفاله، وسنشير إلى هذا في العنصر المخصص لامتدادات عمل السكاكي في البلاغة العربية .

## 2- علاقات التخييل بالتداول:

إذا كان "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" يمثلان وجهتين مختلفتين لرؤيه الجرجاني البلاغية، فإن الرجل كانت تقف من ورائه خلفيات مذهبية وجهت العملين أو بالأحرى وجهت اختياراته للعناصر البلاغية فيها، فلا يخفى على أحد انتهاء الجرجاني الأشعري، ومناهضته ورده على المعتزلة خاصة فيما يتعلق بمسألة الكلام وطبيعته خاصة إذا تعلق بصفة من صفات الله عز وجل، فالمعتزلة كان من فرقها من يقول بأن كلام الله حروف وأصوات أي جسم مادي محسوس بالسمع، "وأن ذلك الجسم صوت مقطع مؤلف مسموع"<sup>(١)</sup>، أما الأشاعرة فيذهبون إلى أن الكلام "صفة قديمة أزلية ليس بحرف ولا صوت"<sup>(٢)</sup>.

<sup>(١)</sup> أبو الحسن الأشعري، مقالات الإسلاميين، تتح أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة مصر، 2009م، ص: 114.

<sup>(٢)</sup> ابن قيم الجوزية، الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، المكتبة العصرية، بيروت لبنان، ط1، 2007م، ص: 811.

هذا الإشكال الكلامي بين المعتزلة والأشاعرة، جعل الجرجاني يقصي في عمليه المادة الصوتية، بل يرجع العمري الأمر إلى أن الجرجاني وبلامغي الإعجاز لا حظوا توفر النص البشري على قيمة فنية كبيرة باعتمادها على الجانب الصوتي بالقياس إلى النص القرآني<sup>(١)</sup>، بل يتمادي ويقول : "بأن الجرجاني كان ينظر إلى بлагاعة الإعجاز، البلاغة التي تضمن تفوق القرآن"<sup>(٢)</sup>، هنا علينا أن نوضح بأن البلاغة العربية لا تضمن إعجاز القرآن لأن الله ضمته لكتابه العزيز واللامغيون أعملوا عقولهم وتدبروا أوجه إعجازه صوتاً وتركيبياً ودلالة ... .

ثم يأتي العمري ليكشف إنجازاً آخر للجرجاني ضمن نسقه العام، وهو حديثه عن صورة المعنى، باعتبارها هيأة قائمة بين اللفظ والمعنى، ويربطها بمسألة المجاز وصوره أو ما سماه الجرجاني بالمعنى الأول ومعنى المعنى، والصور القائمة على هذا الأساس ترتبط بالنظم النحوي، ويكون معيار جماليتها ومناسبتها التداولية لم مقاصد الكلام معتبراً من هذه الجهة و"ربط ببلاغة الاستعارة وغيرها من صور التغيير الدلالي بالنظم النحوي يعتبر إنجازاً بلاعياً متقدماً أو سابقاً لعصره".<sup>(٣)</sup>

مستثمرة للفاهيم علم النص، خاصة ما يتعلق بالتماسك والانسجام، ليس فقط على مستوى الجملة، بل كذلك على مستوى الصورة العامة للنص الشعري، يقيم العمري قراءاته للجرجاني، وعمله حول تماسك البيت من خلال : التقسيم والشرط

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، الموزانات الصوتية في الرؤية البلاغية والممارسة الشعرية، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 1999م، ص: 106.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 118.

<sup>(٣)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 365.

والتشبيه<sup>(١)</sup>، وإذا كان عمل الجرجاني في الأسرار قائم على العقلية التي تبحث عن تأويلات للغراة، فإن الدلائل بحث عن تناسب الكلام داخلياً من خلال ترابط أجزائه وتناسبه خارجياً من خلال مناسبيه لمقاصد الخطاب، وهذا يجعله ينحو إلى نثرية حجاجية إقناعية ترتكز على الشرط والتشبيهات المقارنة، وتنحو نماذج الأسرار إلى صبغة النصوص الحوارية ذات الطابع الحكائي .<sup>(٢)</sup>

كان من بين مركبات قراءة العمري، نظرية التلقي في جانبها التاريخي الذي عرضناه مع ياوس Jauss، وفي خضم قراءته للجرجاني، عاد ليبني تلقي الجرجاني التاريخي لنصوص عصره بتقاليدها ومقوماتها المضمنية والفنية، فلاحظ ظهور مفهوم الادعاء عنده، وتناسيه مسألة النقل، حتى في تحليلات البلاغيين؛ لأن الساحة الشعرية آنذاك كان أفق انتظار المتلقي حينها موجهاً نحو تناسي الصور القائمة على التشبيهات القديمة، بل وجعلها أرضية لبناء صور أعلى منها، تبلغ أقصاها مع التمثيل والاستعارة التي تتفاعل فيها عناصر اللغة ومرجعيات الألفاظ .

وهذا ما يجر للحديث عن الوظائف الشعرية للصور البلاغية بين الحاج والتعليم، ويتناول مقالة الجرجاني حول موقع التمثيل وتأثيره؛ إذ يقول في هذا الصدد حول أثر التمثيل إذا كان في مقاصد الشعر وأغراضه: "إِنْ كَانَ مَدْحَى، كَانَ أَبْهَى وَأَفْخَمُ، وَأَنْبَلَ فِي النُّفُوسِ وَأَعْظَمُ، وَأَهْزَلَ لِلْعَطْفِ، [...]"، وإن كان ذماً، كان مسه أو جع، وميسمه ألذع، [...]، وإن كان احتجاجاً، كان برهانه أنور، وسلطانه أقهر،

---

<sup>(١)</sup> ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص: 93.

<sup>(٢)</sup> ينظر: محمد العمري، المرجع السابق، ص: 372.

وبيانه أبهـر.<sup>(١)</sup> فالجرجاني يـبين أن لصورة التمثيل باعتبارها من أعلى صور البلاغة في تفعـيل التخيـيل دورا حجاجـيا يـعمل على الإقناع، فالتمثـيل: "هو عقد الصلة بين صورـتين، ليـتمكن المخـاطب من الاحتـجاج وبيان حـججه"<sup>(٢)</sup>، وبجانـب التـمثـيل نـجد الاستـعارة كذلك تقوم بدورـها الحـجاجـي، "وـتـعرف الاستـعارة الحـجاجـية بـكونـها تلك الاستـعارة التي تـهدف إلى إـحداث تـغيـير في المـوقف الفـكري أو العـاطـفي للمـتـلـقـي"<sup>(٣)</sup>، وأـرسـطـو تـكلـم عن هـذا النوع من الاستـعـارة مـبيـنا دورـها وـهـنـا نـلتـمـس الـصلةـ التي أـرادـ العمـري رـبطـها بـين أفـكارـ أـرسـطـو وـبـين الجـرجـاني .

ثم يـخـوض في التـحلـيل الفلـسفـي البـاحـث في أـعـماـق التـكـوـين الإنسـانـي وـفـطـريـته، وـطـرـيق اـكتـسـابـه لـلـمعـارـف فالـجـرجـاني، يـقول في مـوقـعـهـمـ من كـتابـه: "إـذا بـحـثـنا عن ذـلـكـ، وجـدـنا لـهـ أـسـبـابـاً وـعـلـلاًـ، كـلـ منها يـقتـضـي أنـ يـفـحـمـ المعـنىـ بـالـتمـثـيلـ، وـيـبـنـيـ وـيـشـرـفـ ويـكـمـلـ، فـأـوـلـ ذـلـكـ وـأـظـهـرـهـ، أـنـ أـنـسـ النـفـوسـ مـوقـفـ عـلـىـ أنـ تـخـرـجـهاـ منـخـفـيـ إـلـىـ جـلـيـ، وـتـأـتـيـهاـ بـصـرـيـعـ بـعـدـ مـكـنـيـ، وـأـنـ تـرـدـهـاـ فـيـ الشـيـءـ تـعـلـمـهـاـ إـيـاهـ إـلـىـ شـيـءـ آخرـهـيـ بـشـأنـهـ أـعـلـمـ، وـثـقـتـهـاـ بـهـ فـيـ الـعـرـفـةـ أـحـكـمـ نـحـوـ أـنـ تـنـقـلـهـاـ عـنـ الـعـقـلـ إـلـىـ الـإـحـسـاسـ وـعـماـ يـعـلـمـ بـالـفـكـرـ إـلـىـ ماـ يـعـلـمـ بـالـاضـطـرـارـ وـالـطـبـعـ، لـأـنـ الـعـلـمـ مـسـتـفـادـ مـنـ

<sup>(١)</sup> عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص: 85.

<sup>(٢)</sup> عبد الهادي بن ظافر الشهري، آليات الحجاج وأدواته ، ضمن: الحجاج مفهومه و مجالاته، ج 1، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد-الأردن، ط 1، 2010م، ص: 139.

<sup>(٣)</sup> عمر أوكان، اللغة والمخطاب، رؤيا للنشر والتوزيع، ط 1، 2011، ص: 218.

طرق المواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدّ الضرورة، يفضل المستفاد من جهة النَّظر والفكر في القوة والاستحكام، وبلغ الثقة فيه غاية التمام<sup>(١)</sup>

فالجرجاني يصرح بأن للتمثيل دوراً معرفياً خاصة إخراج الحفي إلى الجلي بالعودة إلى الحس والاستفادة من معطياته اللغوية، والعمرى قسم سبب تعلق معارف الإنسان بالتمثيل إلى قسمين :

- لذة المعرفة : وتقترن بما يكتسبه الإنسان من معارف، وللقضية علاقة بالصدق .

- لطف المفارقة : وهذا ما يسنده واقع النظرية الأدبية في زمن الجرجاني .<sup>(٢)</sup>

وقد عالج الجرجاني الوظيفة الشعرية -حسب رأي العمرى- معالجة فلسفية تنتصب عن الأسباب المعرفية والنفسية، وهذا ما نراه يتواافق مع الدراسات المعاصرة للاستعارة ودورها المعرفي، خاصة النظرية التفاعلية التي تعتبر التمثيل والاستعارات سبلاً لفهم العالم والتأثير فيه وإنشائه .<sup>(٣)</sup>

واستخدام مفارقـات اللغة التي تمثلها صور البلاغة واستئثار فهمها لبناء المعرفة والمفارقة والغرابة، ما كان الجرجاني ليكشف عن دقائقه لولا النصوص الشعرية التي استعان بها من شعراء عصره أو قريبي العهد منه ؛مثل أبي تمام (ت هـ) وأضرابه من اتجاه البديع .

<sup>(١)</sup> عبد القاهر الجرجاني، المرجع سابق، ص: 93.

<sup>(٢)</sup> ينظر : محمد العمرى، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص 386.

<sup>(٣)</sup> ينظر : محمد مفتاح، مجھول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء المغرب، ط 1، 1990، ص: 49.

هكذا كانت قراءة العمري للجرجاني تهدف إلى كشف أنساق مشروعه والبحث في المنجزات الأساسية التي قدمها، وإعادة النظر في الأصول والمرتكزات التي بني عليها مشروعه، وكيف تفاعل الجرجاني مع أسئلة عصره؛ خاصة الأدبية والفكرية، وبناء بلاغة عربية تعتمد على معطيات الدرس البلاغي عند الجرجاني تتطلب التعمق أكثر في مشروع الأسرار والدلائل، وإضافة السبل التي تجمع بين العملين وتتمكن من بناء تصور شامل لبلاغة تجمع بين الشعري التخييلي وبين التداولي، وتحرص على مقاصد الإنسان المعرفية .

#### ثانياً: الصحة والتناسب: قراءة سر الفصاحة.

ينطلق العمري في قراءته "سر الفصاحة"<sup>(١)</sup> لابن سنان الخفاجي (ت 466هـ)، من اعتبار هذا المؤلف مشروعًا جريئًا لصياغة بلاغة صوتية، حاورت الخليفة المذهبية، وعبرت عن الممكن انجازه في تأسيس بلاغة الخطاب<sup>(٢)</sup>، ويستكشف العمري امتداد مشروع الخفاجي، من خلال رؤية تقف وراءها معطيات الشعرية المعاصرة، وأعمال الشكلانيين التي سبق، وأن استثمرها في الموازنات الصوتية، ونجد مشروع ابن سنان يقترب كثيراً من المعطيات النظرية والتطبيقية للشكلاوية الحديثة، فقد "اهتم ابن سنان بدراسة البنيات اللسانية للشعر مركزاً في تحليله لبنية اللغة الشعرية على البنية الصوتية، باعتبارها البنية المهيمنة داخل الخطاب الشعري، [...] وهذه البنية هي التي أكدت شاعريتها دراسات الشكلانيين الروس، وصموئيل لفين، وجون مولينو، وكوهين، وميشونيك، ولوثمان، وغيرهم؛ فالتوازنات الصوتية تلعب

<sup>(١)</sup> ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، ط1، 1982.

<sup>(٢)</sup> ينظر: محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 405.

دوراً أساسياً في خلق الوظيفة الشعرية في اللغة<sup>(١)</sup>، بالإضافة إلى حضور الهم النسقي؛ عند ابن سنان من خلال رغبته في أن تكون للبلاغة هيكلة علمية كالنحو والعرض، ويحاول استكشاف ضوابط هذه الصناعة، وتقديم أسرارها التي تقوم عليها قوانينها وتضبط جزئياتها، وعند العمري الذي سيستقصي جزئيات العمل ويقيم قراءته على خاصية القراءة الشمولية، واستنتاج الدعائم التي يقيم ابن سنان عمله عليها.

يبدأ ابن سنان مشروعه بالحديث عن وجه الحاجة إلى معرفة الفصاحة بالنسبة للعلوم الأدبية، والعلوم الشرعية؛ إذ نجد مدار معرفة الإعجاز يتمحور حولها، سواء كان تحدياً مع العجز دون سلب قدرة، أم كان صرفة على رأي المعتزلة<sup>(٢)</sup>، والرجل هنا يريد أن يعطي موقعاً علمياً للفصاحة (علم البلاغة) بين بقية العلوم في عصره ببيان وجه الحاجة إليها، مما يوحى بأن الرجل كان يعالج المسألة في إطار جدي يقف فيه من يرى عدم جدواً لهذا العلم، أو تشتت مباحثه لغير غاية ضبط أو تقنين.

ثم يخصص ابن سنان فصلاً يتحدث فيه عن الصوت، وعن اللغة، فهو يعطي أهمية كبيرة للجانب الصوتي باعتباره عمود الفصاحة، لكن يلاحظ العمري من خلال الفحص النسقي لبنية عمل ابن سنان، أنه تنازل مرة تلو الأخرى عن مقوله الصوت، باعتباره محور الفصاحة، كلما اقترب من مفهوم البلاغة، وقد أدى به تنازله المتابع هذا إلى الحديث في نهاية المطاف عن المعنى مجرداً، ومحدداً له شروطه، وفي ذلك يقول: "هكذا يفسر ابن سنان توسيعه من الصوت إلى اللفظ، ومن نعت اللفظ بحسب طبيعته الخاصة (وهي الإفراد) إلى التركيب وهو محكوم بالدلالة. وصولاً إلى المعنى

<sup>(١)</sup> عمر أوكان، اللغة والخطاب، دار رؤيا للنشر، القاهرة مصر، ط١، 2011م، ص: 187.

<sup>(٢)</sup> ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، ص: 13، 14.

مجرداً من اللفظ <sup>(١)</sup>، ويلاحظ العمري وقوع ابن سنان في مفارقات حول التشبيه والاستعارة، تبعاً للتقسيم الذي وضعه بين المعاني المفردة والألفاظ المؤلفة، مما أدى به إلى تداخل المستويات التي عالج من خلالها الظواهر البلاغية خاصة لما جعل التشبيه من باب المعاني المفردة والاستعارة في باب تأليف الألفاظ، مع أن التصريحية تقوم على مقاييس التبديل المفرد كما هو واقع في نماذج التشبيه البليغ المتنازع حول انتهائه <sup>(٢)</sup>، كذلك كان اقترابه من مفهوم البلاغة باعتبار أن مجاهلاً يلتقي فيه اللفظ المؤلف والمعنى، سبباً جعله ينساق للحديث عن المعاني مجردة، وعن الألفاظ (مفردة، ومؤلفة بعيداً عن المعنى <sup>(٣)</sup>)، ثم يمارس العمري قراءة داخلية بين أنماط المشاريع البلاغية، تجعل هذه الأخيرة تتحاور فيما بينها، ويقوم الدارس المعاصر بقراءة نسقية لا تتجاهل السابق واللاحق في الكشف عن الخطط والمقاصد؛ إذ نجد العمري يحاور منجز ابن سنان البلاغي في ضوء ما قدمه الجرجاني، هذا الأخير الذي تمكن من الخروج من مأزق اللفظ والمعنى (الذي وقع فيه ابن سنان) بفضل فكرة صورة المعنى ومعنى المعنى، وهو مفهوم وسط بين المجرد والحسي <sup>(٤)</sup>، يذكرنا دائمًا بالوفاق الأشعري في عديد من المحطات، والعمري لم يفصل حديثه عن المشاريع البلاغية أو الامتدادات عن الروايات والخلفيات، فالنزعات المذهبية حاضرة في قراءاته خاصة للجرجاني وابن سنان .

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 416.

<sup>(٢)</sup> ابن سنان الخفاجي، ص: 119.

<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص: 414.

<sup>(٤)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 421.

تحت عنوان : "الرؤوية البلاغية في المنجز / الصحة والتناسب "<sup>(١)</sup>، يدخل العمري المبحث الثاني في قراءته لمشروع ابن سنان الحفاجي، معلناً عن :

- انتهاء بلاغة ابن سنان : بلاغة كلاسيكية .
  - دعائم منجزه البلاغي :
- 6- المحافظة(على الأعراف والسنن).
- 7- الاعتدال .
- 8- الانسجام.
- 9- التناسب.<sup>(٢)</sup>

واعتتماداً على التشابه الحاصل بين مقومات الكلاسيكية الغربية ؛ من : عقل، ومحافظة، وتغليب الحسي المسموع على العقلي الغامض، فقد جعل انتهاء بلاغة ابن سنان إلى المنجز الكلاسيكي (من ناحية المنطلقات والرؤية، وليس من الناحية التاريخية)، لكننا نلاحظ إقرار العمري بالصلة القائمة بين مشروع سر الفصاحة، وما قدّمه قدامة بن جعفر(ت 337هـ) في نقد الشعر؛ حيث اعتبره "حلقة بين تصور قدامة بن جعفر وتجه حازم القرطاجني"<sup>(٣)</sup>

هذا الحكم أطلقه العمري من ناحية اهتمام ابن سنان بالمادة الصوتية، لكنه أغفل اهتمامه بالجانب العقلي والمنطقي، فإذا كان الانتهاء إلى الكلاسيكية معياره العقل(من خلال الحرث على التناسب والاعتدال وعدم التناقض والاستحالة)

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 422.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 422.

<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص: 461.

والمحافظة، فإن قدامة بن جعفر كان مصدره فيها أرسطياً مختصاً، وعمله ترك أثراً على سر الفصاحة، و"لقد استجاب قدامة -فيما فعله- إلى ما ذهب إليه أرسطو، عندما عدّ الاستحالة والتناقض ومخالفة العقل أنواعاً للنقد الذي يوجه إلى الشاعر"<sup>(١)</sup> فانتهاء عمل ابن سنان للكلاسيكية لا تحدده المعايير المتأخرة للاتجاه، بل نجدها ذات جذور أرسطية نابعة من الفهم العربي للمنطق الأرسطي والعقلية اليونانية، وهذا أقرب لبلاغة ابن سنان، ويكشف عن مصادر درسه خاصة ما يتعلق بالتناسب والاعتدال، وهذا حرصاً على فهم الدرس البلاغي العربي داخلياً قبل أن تتجه إلى تصنيف معالمه واتجاهاته خارجياً.

- ويذهب العمري إلى قراءة ما جاء به ابن سنان، خاصة على المستوى النظري - بعد أن وضح دعائم المجز البلاغي عنده -، في ضوء ما قدمه ضياء الدين ابن الأثير (ت 637هـ)، مع أن هذا الأخير يتميّز إلى تيار بلاغي مغاير، ذو أصول ومرجعيات مختلفة عن صاحب سرّ الفصاحة، وهذا ما جعله يقول عن ابن سنان: "إنه قد أكثر ما قل به مقدراً كتابه، من ذكر الأصوات والحرروف والكلام عليها ومن الكلام على اللفظة المفردة وصفاتها مما لا حاجة إلى أكثره ومن الكلام في مواضع شدّ عنه الصواب فيها".<sup>(٢)</sup> إلا أن ما يجمع الرجلين هو اهتمامهما بأناقة الخطاب القائمة على الاعتدال والصواب، وتتجه رؤية العمري للربط بين الجاحظ وابن سنان من خلال ما

<sup>(١)</sup> جابر عصفور، مفهوم الشعر دراسة في التراث النقيدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر، ط 5، 1995، ص: 146.

<sup>(٢)</sup> ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تتح محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1999، ج 1، ص: 24.

قدمه ابن الأثير؛ عندما جعل موضوع علم البيان جاماً بين الفصاحة والبلاغة،  
مبتعداً به عن المفهوم الجزئي الذي قدمه السكاكي<sup>(١)</sup>.

وقد برع في قراءة العمري لمشروع ابن سنان، حوار المشاريع البلاغية أو الدرس البلاغي داخلياً، حيث يستعين الدارس بمشاريع بلاغية عربية لقراءة المشروع قيد الاستكشاف، مع الاستعانة بالمفاهيم الغربية قدر ما يسمح به نسق البلاغة العربية، ومفاهيمها.

### ثالثاً: البلاغة بين علم الأدب والعلم الكلي:

يدخل العمري الامتداد الثالث من امتدادات البلاغة العربية، موجهاً ناظريه نحو علميين كبارين في تاريخ الدرس البلاغي العربي، الأول (أبو يعقوب السكاكي) غائب حاضر، منذ أن خرج على الناس بن: "مفتاح العلوم"<sup>(٢)</sup>، يطرح حول عمله سؤال المركز والهامش، وسؤال المنسى والمغيب، والثاني (حازم القرطاجني) منسي في الدرس البلاغي كما وصل إلينا، يطرح حول عمله: "منهاج البلاغة وسراج الأدباء"<sup>(٣)</sup> سؤال الهوية، ويثير إشكالية إحضار الغائب منه، وإدماجه من جديد بأسلوب يحترم أنساقه وانتهاه ومقاصده في البلاغة العربية المنشودة.

ويصرح بأن التعمق في تحليل إشكاليات المشروعين لا يجد مكاناً له في كتابه: "البلاغة العربية أصولها وامتداداتها" الذي اعتمدنا عليه في قراءة مشروعه؟

---

<sup>(١)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 461.

<sup>(٢)</sup> أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، تج عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، 1997م.

<sup>(٣)</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلاغة وسراج الأدباء، تج محمد الحبيب بن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان، ط2، 1981م

كتموذج يعكس قراءة البلاغة العربية في ضوء معطيات الدرس الجديد، ويرجع ذلك إلى الظروف التي أحاطت بإنجاز الامتدادين السابقين، وهي ظروف خارج نطاق البحث العلمي؛ كما تصفها عبارته : "في ظروف أقل ما يقال عنها أنها ضد كل طموح، ينحت المرء من نفسه إلى حد التلاشي"<sup>(١)</sup>، هذا ما يجعل العمري يقر بأن ما قدمه حول العلمين (السكاكبي وحازم) لا يعدو أن يكون خطة عامة لمشروعهما، وقد وضع العمري الرجلين تحت فصل واحد أطلق عليه تسمية : "البلاغة المضبودة بالنحو والمنطق"<sup>(٢)</sup>؛ آخذنا إياه من كلام القرطاجني في الإضاءة الثالثة من المعلم<sup>(أ)</sup> من المنهج الثاني من القسم الثالث (المبني) حيث يقول حول مستوى البلاغة التي ينبغي أن يرتقي إليها من يريد استقصاء العلل وكشف خفايا النظم : "من طمحت به همتة إلى مرقة البلاغة المضبودة بالأصول المنطقية والحكمية"<sup>(٣)</sup>، والجامع بين حازم والسكاكبي أنهاهما يدخلان ضمن دائرة هذا النوع من البلاغة التي تستند إلى أصول عقلية ومنطقية، كما هو حال السكاكبي الذي وضع بлагته ضمن علم الأدب القائم على النحو والمنطق، هذا ما جعل العمري يجمع بين العلمين تحت عنوان واحد؛ لوجود قواسم مشتركة بين الرجلين سواء كانوا على وعي بذلك أم لم يكونا على وعي، إلا أن التاريخ البلاغي قد جمعهما مرة أخرى، فالسكاكبي أسيء فهمه، وبترت بлагته ونسخت مقاصده، أما حازم فلم يجد محاورا له أو شارحا أو ملخصا لأن مرجعياته كانت تمثل عصراً أقرب لأجواء القرن الرابع المجري وفطاحلته، فأكل الزمان قسمه الأول، ولما خرج من دور النسيان، تنازعته الدراسات كل يدّعى انتهاه إلى مجال بحثه

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 466.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 463.

<sup>(٣)</sup> حازم القرطاجني، منهاج البلاغة وسراج الأدباء، ص: 231.

؛ بين الشعرية والنقد والأسلوب ... ومن يدرى إلى أي اتجاه ستتبّعه الأجيال القادمة ؟ مع أن الرجل كان صريحاً بأن موضوع كتابه هو علم البلاغة، إلا أن معظم الدراسات النقدية العربية كانت تسير حتى أواخر التسعينيات في اتجاه يجعل البلاغة علماً قدّيماً وشارف على انتهاء صلاحيته، وستعوضه آليات جديدة، لكن الدراسات الغربية كانت تسير في اتجاه معاكس؛ إذ اقتربت من البلاغة واعتبرت الدراسات القائمة على النص والخطاب خاضعة تحت طائلة إمبراطورية البلاغة .

والأمر نفسه مع مفتاح العلوم، إذ لم ينأَ السكاكي، ولم يحاور محاورة جادة في مفهومه للبلاغة - التي جعلها مبحثاً مكملاً للنحو يقع على أرضها تناول الشعري، والمنطقي، والنحوي - قائمة على الانتقاد أو التوسيع والربط، إنما اتجه علماء القرن السابع وما يليه نحو التلخيص الذي بتر صاحبه جلال الدين القزويني (ت 739هـ) من خلاله البلاغة عن نسقها العام، وقاموا بشرحه، وتهميشه، ثم نظمه وإعادته شرحاً، ويقول العمري في التعليق على عدم تفاعل علماء القرون التي تلت ظهور المفتاح، وجمود الدرس النحوي وانفصاله عن الحركة الإبداعية : "لو عاد ابن جني إلى الحياة في عصر السكاكي [...] لأدخل أغلب النحاة إلى الكتاب لحفظ شيء من شعره، [...]، ولربما غضب، وغض عن العوّاقب، فألحق المفتاح بكتاب الفصوص" <sup>(١)</sup>، والسكاكي ليس له يد فيها وصلت إليه البلاغة العربية مع شراح التلخيص، لأن هيمنة النحو والمنطق على عمله جعلت سؤال البلاغة الأساسي والمركزي يغيب عنده وعند شراح التلخيص، مما عرضه لانتقاد العمري بأنه وقع في

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، *أسئلة البلاغة في النظرية والتاريخ القراءة*، ص: 148.

"عدم المناسبة المنهاجية"<sup>(١)</sup>، لكن من جهة ثانية يعطي قيمة لعمل السكاكي باعتباره أجرى حوارا كان شبه مستحيل بين النحو والمنطق والشعر، وكانت البلاغة هي الأرض التي احتضنت هذا الحوار، ولم يستطع من جاء بعد السكاكي أن يواصل رؤيته أو حتى ينقدها بطرح البديل أو قراءتها شرعا وتوسيعا لآفاقها.

## ١- قراءة العمري لمشروع السكاكي :

### أ/ رصد الأنماق وبناء الخطاطات :

يسير السكاكي في طريق قراءة عبد القاهر الجرجاني في الأسرار والدلائل ويكشف المخبوء في مشروعه، ويقف على الخط نفسه معه في مسائل اللفظ والمعنى والنظم، ومطابقة الكلام أو مناسبته للمقصود، والفرق بينهما يكمن في أن صياغة الجرجاني كانت تجمع ما هو نحوي، ومنطقي، وكلامي / عقائدي وتصوغ من خلاله سؤال البلاغة عنده : " ما الذي يجعل بعض الكلام أحسن من بعض ؟"<sup>(٢)</sup>، ويطغى على مشروعه الطابع الإشكالي، أما السكاكي فقد رفع الحجاب عن مكونات مشروع الجرجاني وقدمها في شكل مقنن محاولا ضبطها (كما صنع الرazi صاحب نهاية الإيجاز)، "فنجز بالمدروسة ومجاهدة الذوق الأدبي"<sup>(٣)</sup>.

يقول السكاكي، عارضا مضمون مشروعه : " وقد ضمنت كتابي هذا من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رأيته لا بد منه وهي عدة أنواع متآخذة فأودعته علم الصرف بتهمه وإنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاد المتنوع على أنواعه الثلاثة وقد كشفت عنها

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 483.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 473.

<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص: 473.

القناع."<sup>(١)</sup> هنا يتضح الأمر، بأن الرجل في مشروعه يبتغي تأسيس علم للأدب، يبدأه بعلم الصرف وما يستتبعه من استدلال، ثم يسير نحو علم النحو الذي يقود نحو علم المعنى وضبط التركيب بمناسبيه التداولية، ويحصل هذا بإيراد الصور على المقاصد المناسبة وهو علم البيان، ومادام هذا العلم تتعلق تراكيبه بالتحكم في صور الكلام، فلابد أن يربط بالاستدلال والمنطق، فإذا استخدم في الشعر كانت الحاجة إلى معرفة العروض والقوافي لازمة فكان ذكرها عند السكاكي للاستئناس، هكذا هيكل الرجل مشروعه، "الأدب يساوي عنده، في نظرنا، الخطاب السليم الناجع .منهذا المفهوم يتحدث السكاكي عن علم الأدب الذي نراه تصورا مبكرا لما يسمى حاليا علم النص"<sup>(٢)</sup>، ويرى العمري بأن أصحاب هذا الاتجاه البلاغي يلتقيون مع السكاكي في دراسة "النص في أبعاده النحوية / التركيبية والأدبية والاجتماعية .<sup>(٣)</sup>

كشف العمري عن مفارقة بين مشروع السكاكي كتصور ممكن التتحقق، وبين المنجز في الواقع ؛فالسكاكي ينطق ظاهر مشروعه بأن المعاني والبيان تتمة لعلم النحو وعلم الحد والاستدلال تتمة لعلمي البيان والمعنى، لكن الواقع هو أن كلام من النحو والمنطق يلتقيان في منطقة مشتركة، تجمع بينهما بعد أن كان التزاع واقعا حول نجاعة أحدهما أمام الآخر.<sup>(٤)</sup>

<sup>(١)</sup> أبو يعقوب السكاكي، مفتاح العلوم، ص:37.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:496.

<sup>(٣)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول ، ص:50.

<sup>(٤)</sup> ينظر : محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:472.

وفي ضوء الدراسات التداولية والمنطقية التي تهتم بالسكاكبي ووجهة نظره،  
تُكَنُ العمري من كشف مركز مشروعه؛ إذ "كان السكاكبي يبحث عن مكونات: علم  
الأدب . العلم الذي يصون المتحدث من الخطأ في : مطابقة الكلام لقواعد اللغة أولاً،  
ثم لأحوال ومقامات المخاطبين ثانياً، ثم يعطيه حسناً وقبولاً ثالثاً."<sup>(١)</sup> ويجعل البديع  
قسماً ثالثاً يمكن الاستغناء عنه لأنَّه غير نابع من سؤال المناسبة للمقصود أو المناسبة  
التداولية، فهو داخل ضمن نظرية الشعر، ولا يهتم بظواهر التقديم والتأخير والفرق  
بينهما، أي لا نجد حضور مقوله النظم بقوه في نسق مؤلفاته .

إن خطة مشروع السكاكبي مفتاح للعلوم اللغوية أو لتفاعل الإنسان مع لغته  
؛ صوتاً، وصرفًا، وتركيباً، ودلالة عبر مختلف وجوهها، وتنظيمها لاستراتيجيات  
المخاطب ومقاماته وأحواله.

### ب/ سؤال البلاغة وحوار الاختصاصات :

يعرف السكاكبي البلاغة بأنها : "بلغة المتكلم في تأدية المعاني حداً له اختصاص  
بتوفيق خواص التراكيب حقها، وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها  
".<sup>(٢)</sup> حيث نجد أثر الجرجاني، وابن سنان في اعتماده على مفهوم المعاني في البلاغة،  
ويتكلّم عن خواص التراكيب بما يساوي علم المعاني، ويتكلّم عن إيراد الصور وهذا  
يتتفق مع علم البيان، "هكذا تحل البلاغة (أي علم المعاني والبيان مدججين) محل  
الصدارة، وتصير العلوم الأخرى مساعدة لها "<sup>(٣)</sup>، ولم يستطع السكاكبي ألا يمر على

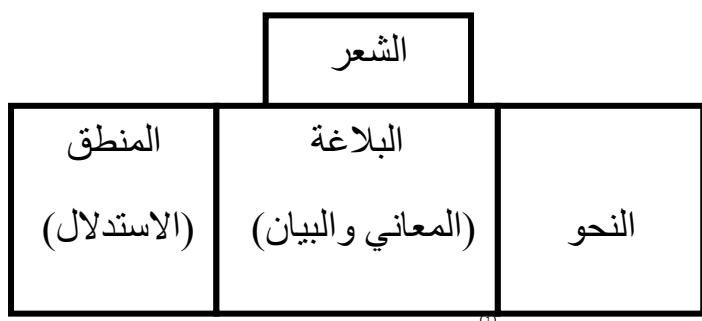
<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 46.

<sup>(٢)</sup> أبو يعقوب السكاكبي، مفتاح العلوم، ص: 526.

<sup>(٣)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 472.

مفهوم البلاغة؛ لأنّه مفهوم مركري ومحوري، ومنه سيسنطيد أهم شارح له وهو الفزويني، ويأتي بمطابقة الكلام لمقتضى الحال بعد فصاحته .

ويعتبر العمري مفهوم البلاغة عند السكاكي مرتبطة بميادين الشعر والمنطق والنحو؛ إذ تقع عند تقاطع ثلاثة مباحث متداخلة ومتنافرة في الوقت نفسه، هي النحو والمنطق والشعر [...] وبذلك يمكن تمثيل بلاغة السكاكي بالتقاطعات التالية :



وقد تبين للعمري وجود اتصال بين علم البيان والاستدلال من خلال كلام السكاكي عن إيراد الدليل بأوجه متعددة، فالبيان يوجد في منطقة يتفاعل فيها الشعر والمنطق، مما يتبع المجال للحديث عن استخدام الشعري في الإنقاع، والتأثير على المتكلمي، وعلم المعاني يقع في المنطقة التي يتفاعل على مستواها النحو والمنطق، ويلجأ العمري إلى القراءة النسقية الداخلية بين السكاكي وابن أبي الإصبع (ت 654هـ)، ويرى العمري بأن هذا الأخير لم يهتم بقضايا المقام ومناسبة الكلام للمقصود التداولية في كتابه :

<sup>(٤)</sup> المرجع نفسه، ص: 476.

تحرير التعبير <sup>(١)</sup>، أما السكاكي فقد جعل البديع يتفاعل مع المنطق مثلاً مجال البيان كموقع مميز له، ومن جهة ثانية يقيم علاقة بين البيان عند الجاحظ وما ورد عند السكاكي ؛ إذ "يلتقي علم المعاني عند السكاكي مع البيان عند الجاحظ، ويتكامل معه في كون كل واحد منها يبحث في علاقة الخطاب بالأحوال والمقاصد، أي في البعد التداولي للخطاب <sup>(٢)</sup>، إن فهم علم المعاني باعتباره صورة تعكس اهتمام الجاحظ بالظروف والأحوال كان كفيلاً بإعادة الحياة لهذا العلم في الفترة التي تناوله فيها الشرح وزادوه تقنياً عبر صور الحذف والتقديم والتأخير والقصر ... وغيرها من المباحث التي أصبحت مفرغة من محياطها ومقامتها، وظل البيان ضمن كتب الأدب يستأنس به، إن قراءة التراث حسب رؤية العمري تستتبع معرفة بأنساقه وأصوله، والإمساك بالروابط التي تصنع شبكة بين الاتجاهات المختلفة لأي ميدان علمي، خاصة البلاغة؛ لأن اللاحق ينطلق من نتائج السابق؛ رفضاً ونقداً، أو توسيعاً، أو تقديم البديل .

ليصل العمري إلى أن "أهمية عمله تكمن في اكتشاف منطقة تقاطع النحو والمنطق والشعر، أي في وصوله شخصياً إلى عاصمة البلاغة . وبذلك خرج من خطاب التنافي بين النحو والمنطق والشعر الذي تاه فيه متى بن يونس والسيرافي وغيرهما، وكان من حقه أن يقول وجدها !"<sup>(٣)</sup>، لكن تغليب النحو والمنطق جعل

<sup>(١)</sup> ابن أبي الإصبع، تحرير التعبير في صناعة الشعر والنشر وبين إعجاز القرآن، تحر: حفني محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2012م.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 45.  
<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص: 46.

السكاكبي يغيب السؤال البلاغي، خاصة في مباحث المعاني؛ عندما لم يطرح سؤال لماذا يكون الحذف ولماذا يكون التقديم؟ مما أوقعه في عدم مناسبة منهاجية يسجلها عليه العمري<sup>(١)</sup>، كذلك أثرت المعالجة النحوية على فصل المشروع عن الحركة الأدبية / الشعرية التي استفادت منها مشاريع الجرجاني وابن المعتر قبله، وغلبة المعالجة التحويية هو ما جعل العمري (في صيغة أخرى من الكتابة أقرب لبداية المجهد ونهاية المقتضى) يحكم على بلاغة السكاكبي بأنها بلاغة مأسورة لدى التحو و المنطق<sup>(٢)</sup>، وأن من جاء بعد السكاكبي حول البلاغة إلى خادمة فاتنة مريبة، ويعمل الجميع على اختزانتها وعدم توسيع الكلام عليها.

## 2- قراءة مشروع حازم القرطاجني :

### أ/ المسار التاريخي للمشروع :

لقد كانت قراءة الفلاسفة لفن الشعر لأرسطو مثمرة من جهتين :

- الجهة الأولى: معرفة مبادئ الصناعة الشعرية عند الآخر، ومن خلالها إعادة النظر في صناعة الشعر العربي، ولو على وجه المقارنة، كما نجد عند الفارابي عندما تنبه إلى أن "الأقوال الشعرية": إما أن تتتنوع بأوزانها، وإما أن تتتنوع بمعانيها<sup>(٣)</sup>، ثم يلاحظ بأن التقسيم القائم على المعنى وجد عند العرب حسب تقسيمهم للأغراض الشعرية في تقاليدهم الأدبية بين فخر ومدح

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 483.

<sup>(٢)</sup> ينظر: محمد العمري، أسئلة البلاغة، ص: 147.

<sup>(٣)</sup> أبو نصر الفارابي، رسالة في قوانين صناعة الشعراء، تتح عبد الرحمن بدوي (ضمن فن الشعر)، مكتبة النهضة المصرية، 1953، ص: 151.

وهجاء، وغيرها من الأغراض التي تتخذ من المعنى عمدة لتقسيمها وتنوع تصنيفاتها، ولا حظ بأن اليونانيين "جعلوا الكل نوع من أنواع الشعر نوعاً من أنواع الأوزان، مثل أن أوزان المدائح غير أوزان الأهاجي، وأوزان الأهاجي غير أوزان المضحكات، وكذلك سائرها"<sup>(١)</sup>، فالفارابي قارن بين صناعتي الشعر عند العرب وعند اليونان وفهم الأسس التي يبني عليها القول الشعري ومن ثم حكم على طرق التقسيم والتصنيف.

- الجهة الثانية : العمل على فهم المتن الأرسطي، ومحاولة تطبيقه على النص العربي، بتغيير مركزياته، وتعديل مقولاته بما يتواافق مع النص العربي، وإمكانات اللغة العربية وبلامغتها، وفي هذا الإطار نجد أباً الوليد بن رشد في تلخيصه لفن الشعر لأرسطو؛ حيث فهم المحاكاة باعتبارها تغييراً يجري على مستوى بناء اللغة وعباراتها، وليس بالفعل التمثيلي، ونجد ذلك واضحاً في الفصول التي يتكلم فيها عن المحاكاة والتشبّه<sup>(٢)</sup>، وقد حاول الرجل أن يستعين بالمادة الشعرية العربية؛ من للأعشى أو الاشار للقصص القرآني<sup>(٣)</sup> في الحديث عن أثر المحاكاة.

في هذا الإطار يتموضع عمل حازم القرطاجي، إذ أعلن رغبته في تدارك النقص الذي رأه الفارابي وابن رشد، للبلوغ إلى معرفة القوانين البلاغية الكلية التي تنتظم

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 152.

<sup>(٢)</sup> أبو الوليد بن رشد، تلخيص كتاب أرسطو طاليس في الشعر، تتح عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، 1953م، ص: 222.

<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص: 220.

الصناعة الشعرية تحتها، "ويعتبر حازم عمله تكميلاً لعمل الحكماء الذين تنولوا موضوع الشعرية، وذلك من حيث نظره في الكليات على ضوء متن إضافي غني، وتحصيصاً له من حيث توجيه القوانين البلاغية نحو ضبط المخصوصية الشعرية لشعر أمة معينة، أي الشعر العربي"<sup>(١)</sup>

فالنظرية البلاغية التي تحوي الكليات الشعرية يمكن أن توسع لتشمل الشعر العربي مع احترام خصوصياته التي لو رأها أرسطو لزاد على ما جاء به، يقول حازم القرطاجي عن أشعار اليونان وطرقهم في المحاكاة والبناء الشعري : "فاما غير هذه الطرق، فلم يكن لهم فيها كبير تصرف، كتشبيه الأشياء بالأشياء، فإن شعر اليونانيين ليس فيه شيء منه؛ وإنما وقع في كلامهم التشبيه في الأفعال لا في ذوات الأفعال"<sup>(٢)</sup>، ومادامت هناك أساليب وطرق لا توجد عند اليونانيين وبالتالي لم يتكلم عنها أرسطو، فلابد من الريادة والتكميل، ولم لا قراءة المتن الأرسطي بعيون النص العربي بلاغة وإنجازاً، وهذا ما يقرره بقوله : " ولو وجد الحكيم أرسطو في شعر اليونانيين ما يوجد في شعر العرب من كثرة الحكم والأمثال، والاستدلالات والاختلاف ضروب الإبداع في فنون الكلام لفظاً ومعنى، وتبصرهم في أصناف المعاني وحسن تصرفهم في وضعها ووضع الألفاظ بإزائها، وفي إحكام مبانيها واقتراناتها ولطف التفاتاتهم وتمييزاتهم واستطراداتهم، وحسن مأخذهم ومنازعهم وتلاعبهم بالأقوال المخيلة كيف شاءوا، لزاد على ما وضع من القوانين الشعرية ."<sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص:486.

<sup>(٢)</sup> حازم القرطاجي، منهاج البلاغة وسراج الأدباء، ص:69.

<sup>(٣)</sup> المرجع نفسه، ص:69.

إذا لاحظنا مركبات النقد الذي قدمه حازم، ضمنياً للشعرية الأرسطية، ندرك بأنها ذات أسس بلاغية لغوية، تجمع التخييلي مع التداولي الإقناعي، ولذلك فإن الزيادات التي سيقدمها حازم ضمن منهاجه سيتشارك فيها الشعري والخطابي مع غلبة الأول على الثاني .

### ب/ أسئلة البلاغة بين المشروع والمنجز عند حازم :

يفرق العمري كما سبق وأن رأينا مع السكاكي بين المشروع، باعتباره المدف المنشود والممكن التحقيق والتصور الذي تبني عليه المقاصد، وبين المنجز وهو ما وقع تحقيقه فعلياً، وبالنسبة للمنهج، فإن العمري يبدأ قراءة المشروع من موقف حازم الذي يترجمه قوله : "لما كان علم البلاغة مشتملاً على صناعتي الشعر والخطابة وكان الشعر والخطابة يشتراكان في مادة المعاني ويفترقان بتصورتي التخييل والإقناع "<sup>(١)</sup>، فموضوع البلاغة يتقاسمه الشعر والخطابة ؛ من خلال آليتي التخييل والإقناع، مع إمكانية تداخلها واستفادة الشعر من الإقناع والخطابة من التخييل، إن ما يعرضه حازم هو البلاغة الكلية هذا عن المشروع والتصور الذي وضعه في حير الإمكان أما المنجز فقد حدد العمري قائلاً : "إن موضوع كتاب منهج البلاغاء هو بلاغة الشعر أو الشعرية حسب تعبيره."<sup>(٢)</sup>

ثم يكشف العمري عن خطة الكتاب وعن العلاقات الموجودة بينها، فحازم يقسم عمله إلى أربعة أقسام :

---

<sup>(١)</sup> المرجع نفسه، ص: 19.

<sup>(٢)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 487.

- **اللفظ** : (جزء مفقود)، عمل العمري على استكمال تصوره حسب ما رأه، وقد أصر على أن مواده مستقاة من سر الفصاحة، مع أن بنية الكتاب لا تعكس رؤية ابن سنان ولا توجهه .
- **المعنى** : ومن خلاله رصد حازم مصدر المعاني وعلاقتها وأنواعها ودخولها إلى المحاكاة .
- **المبني** : وهو القسم المخصص للأوزان وعلاقتها بالأغراض الشعرية وتأثيراتها .
- **الأسلوب** : وخصصه لمذاهب الشعراء وجهات القول الشعري وتتنوع المعاني والأغراض .

ومن خلال هذه العناصر الأربع يمكن الحديث عن المحاكاة في الشعر، فالتخيل يقع في هذه الأنحاء وبتضافرها ينجز القول الشعري .<sup>(١)</sup>

ثم يلاحظ العمري وجود علاقة نسقية بين المعاني والأسلوب، وقسم اللفظ المفقود، الذي حاول بناءه وبين المبني، من خلال تعريف حازم للأسلوب والنظم؛ حيث يقول : "فالأسلوب هيأة تحصل من التأليفات المعنوية، والنظم هيأة تحصل عن التأليفات اللفظية"<sup>(٢)</sup>، فالمعاني تتخذ سبلاً لها من خلال مقاصد المتكلمين، وهذه الطرق المتفنة تتصل بالأسلوب، أما الألفاظ فتتحدد مع المبني الشعري وتكون النظم من خلاها، وهكذا " تكون علاقة الأسلوب بالمعاني كعلاقة النظم بالألفاظ"<sup>(٣)</sup>

<sup>(١)</sup> ينظر، المرجع السابق، ص: 488.

<sup>(٢)</sup> حازم القرطاجني، ص: 364.

<sup>(٣)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 489.

ويتمكن العمري من نقد خطة حازم، من خلال النظر إلى الانتقال من الجملة إلى النص، فنفيقه بين اللفظ والمعنى، وبين النظم والأسلوب، والتفريق بين مستوى الجملة ومستوى النص ما أدى كذلك إلى تداخل أجزاء المنهج، ومسألة التفريق بين اللفظ والمعنى أوقعت حازم في الإحراج الذي وقع فيه الجرجاني؛ إلا أن هذا الأخير وجد المخرج من خلال معنى المعنى أو صورة المعنى، أما القرطاجني فقد انعكس تفريقه على معالجة عديد الظواهر مثل الغموض، ويحاول العمري تضييق الخناق على حازم؛ من خلال محاسبته منهاجياً على عناوينه التي لا حظ عليها الإطالة وعدم الضبط وإلزامه بخطبة معاصرة لا يحاسب منطقياً -عليها.<sup>(١)</sup>

و ضمن قراءة المنجز المتحقق فعلياً عند حازم القرطاجني، يشير العمري إلى قضية الصدق والكذب التي حاول حازم معالجتها، وهي القضية التي أفضت مضجع النقاد وأثارت النقع بينهم، والجرجاني و ابن قتيبة من هؤلاء، إلا أن حازم لا يرى وجود الكذب بالضرورة في الشعر فالتخيل لا علاقة له بالكذب، وهو موقف نجده عند ابن قتيبة عندما يفصل الكذب عن المجاز<sup>(٢)</sup>، وأن الشعر موجود بين التقصير والاستحلال أو ما سماه حازم بالاختلاق الإمكانى<sup>(٣)</sup>، بالإضافة إلى قضية تداخل الشعري والخطابي في حدود ما يسمح به الغرض المقصود، وأن كلاً من الشعر والخطابة يلتقيان في التأثير والتوجيه.<sup>(٤)</sup>

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، ص: 494.

<sup>(٢)</sup> ينظر، ابن قتيبة، تأويل مشكل القرآن، ص: 145.

<sup>(٣)</sup> حازم القرطاجني، ص: 80.

<sup>(٤)</sup> محمد العمري، المرجع السابق، ص: 498.

ويشير العمري إلى مسألة هامة في قراءته لحازم، وهي أن مشروعه لم يلاقي قراءة توسعه أو تشرح مقاصده وتوارزه بالتطبيق، ولقد وصلت البلاغة مع حازم قمة الوعي بذاتها <sup>(١)</sup>، لأن الرجل حدد ما هي البلاغة التي يريد الوصول إليها، وما يريد إنجازه وفي أي إطار يتم ذلك، "غير أن المهمة التي حاول حازم إنجازها في المنهاج مما تنوء به العصبة أولو القوة . ولذلك لم يجرؤ أحد على إعادة قراءة عمله [...]" فبقي مشروعه بعيداً عن الوصفة البلاغية التي اقترحها علماء العربية في بداية هذا القرن للمدارس ثم للجامعات العربية <sup>(٢)</sup>، إذ نجد بأن شروح تلخيص المفتاح تكتسح ساحة الدرس البلاغي، ويتم تناسي المشاريع البلاغية الكبرى، مما مهد لعصر جمود البلاغة وأسرها، إلى أن تم نفض الغبار عنها مع الدراسات المعاصرة.

---

<sup>(١)</sup> محمد العمري، البلاغة الجديدة بين التخييل والتداول، ص: 58.

<sup>(٢)</sup> المرجع نفسه، ص: 58.

## خاتمة :

على مشارف النهاية تتحدد معالم النتائج المتوصّل إليها، بعد أن خضنا غمار البلاغة العربية، وقراءة العمري لها ضمن مشروعه، وكانت أسئلته موجهاً لدراسة وإعادة التحقيق في عديد القضايا البلاغية والنقدية، وقد عمل العمري على رصد اتجاهات الدرس البلاغي والتنقيب عن مشاربه، متحققاً من منجزات البلاغة العربية، عبر مراحل تطورها، كما أدى بحثه عن المركزيات ضمن امتدادات البلاغة إلى بيان الخطاططات العامة التي تبني عليها الأعمال البلاغية التي غالباً ما تتزعّن من سياقها وتقرأ لحساب مشاريع أخرى بعيدة عنها .

لقد ثبت من خلال البحث عن روافد النشأة، وطبيعتها أن البلاغة العربية مبنية على أساس الازدواج بين التخييلي الشعري، والخطابي التداولي، وأن الحركة البلاغية النظرية والتطبيقية كانت تسير جنباً إلى جنب مع الحركة الأدبية وتطورها، وكانت تشارك البلاغة هموم العصر المعرفية وتوجهاته العلمية، لم تكن البلاغة ضيفاً غير مرغوب فيه، بل كانت من أسياد البيت، لها فاعليتها وكلمتها، ومن خلال الدرس البلاغي الجديد تمكنت الدراسات العربية من كشف مكونات الحاجاج والشعرية وببلاغة الأنواع، فالاحتراك بالروايد الجديد أسدى خدمة للبلاغة العربية عند من أحسن فهمه وكان على صلة بالتراث وثيقة، كما حدث في قراءة الفلسفه المسلمين للروافد اليوناني، كما انتهى عمل العمري إلى إلقاء نظرة على تصور مؤسس على معطيات منطقية وتوثيقية في بناء جزء ضائع من النسق البلاغي العربي الخاص بحازم

القراطاجي، والآليات المتبعة كفيلة بتصور عديد المنجزات التي من خلالها نتمكن من فهم امتداداتها وتأثيراتها على البلاغة العربية.

وتنكشف النتائج المتوصل إليها كالتالي :

- 1- كانت البلاغة العربية ملكرة فطرية عند العرب، وتطورت بتفاعلها مع التخييل الشعري والإيقاع الخطابي ضمن البيئة الجاهلية، فاكتسبت من خلال ذلك قابلية لتوسيع هذين المجالين والاستغلال ضمنهما .
- 2- كان الحدث القرآني منعطفاً أخذ الوعي البلاغي العربي نحو أسئلة المفاضلة بين النص القديم وتلقي القرآن الكريم، وسؤال مؤهلات كل منها ضمن مساءلات الإعجاز .
- 3- كان النقد القائم على الموازنات بين الشعراء عاملًا مساعدًا على إذكاء جذوة الوعي البلاغي بمعايير الإجادة، وانتقل هذا الأمر مع نوعين بلاغيين هما: بلاغة الاختيارات الشعرية، وبلاعنة البدعيات .
- 4- بفضل بناء خلفية معتبرة في مجال نظرية التلقي تمكن المشروع من رصد بلاغة الاختيارات الشعرية، ومراكز اهتمامها وتحديد أنواعها، وطريقة بناء الاختيار داخلها، وما المعايير التي يتمكن من خلالها أصحابها من اختيار نص دون آخر .
- 5- تتبع الدرس البدعي في مشروع العمري، يؤشر إلى ضرورة مواصلة البحث ضمنه، لأن البديع يعكس وجهة بلاغية خارج الاعتبارات الكلامية والإيديولوجية، وتتلاطم قراءته مع تتبع تطور المذاهب الفنية في الشعر العربي ونشره .

6- كانت الامتدادات الكبرى اتجاهات عكست الخلفيات التي صدر عنها أصحابها، بين اتجاه نشا في بيئة الجدل والإقناع والبحث عن المعرفة فأنتاج بلاغة البيان والتبيين، واتجاه صارع من أجل إثبات مقوله عقائدية في البلاغة فكشف عن سر الفصاحة، وبين اتجاه حاور السابق وبنى مشروعه على مناقضته في مقولاته .

7- كان مشروع السكاكي والقرطاجي نموذجا يعكس ضرورة متابعة المشاريع بالقراءة التي تحترم أنساقها ومقاصدها وبنياتها التي تتأسس عليها علاقاتها .

8- أثرت قراءة الفلاسفة المسلمين لشعرية أسطو وخطابته عن نسق فريد من نوعه في فهم فعاليات البلاغة، وفهم النص العربي في ضوء الوافد الجديد مع احترام خصوصيات الأول وتعديل مقولات الثاني باستئثار المحاور التي تعكس الكلية والشمولية فيه .

9- أكبر مقاصد مشروع العمري هو الوصول بالبلاغة العربية لتنصل بالبلاغة العالمية؛ لأنها تعد حلقة من حلقاتها، ولا يتم ذلك إلا من خلال إعادة القراءة والفهم المؤسس علميا، وتفهم الجديد الوافد، وإجراء حوار بينهما، قائم على قاعدة التوافق .

10- البلاغة الجديدة لا يمكن حصرها في اتجاه واحد، فنصبح بذلك مع بلاغات معممة تدعى كل واحدة امتلاك الأحقية، بل نجد بلاغات نوعية ضمن البلاغة الجديدة والمهدف الأسمى هو تأسيس البلاغة العامة التي تدرس شتى أنواع الخطاب ؛ اللغوي والمرئي والسمعي، راصدة التخييلي والإقناعي، متتبعة العلاقات بينهما واعتبر أحدهما على الآخر دون تنافي .

- 11 - اعتمد العمري على مقولات بنوية في الكشف عن أنساق المشاريع البلاغية، هذا لم يتناقض مع اعتقاده على نظرية التلقي لأن كل وصف للأنساق وتفحص لتركيبها ومكوناتها والعلاقات القائمة بينها يستدعي بعد ذلك لزاما تأويلها، واكتشاف الحوار الذي قام بينها وبين غيرها عبر تتابع التطور التاريخي .
- 12 - يمتد مشروع العمري عبر ما يزيد عن ثلاثة عقود، وما درسته في البلاغة العربية يمتد عبر أربعة عشر قرنا، ولذلك خلصنا إلى نتيجة مفادها أن جزئيات عمل العمري قابلة للتتوسيع فيها، وأخذها كمواضيع للبحث مفردة، وأن العمل الذي يستهدف قراءة المشروع بأكمله قصادرى جهده إعطاء نظرة عامة عنه لأن التفصيل يؤدى إلى الولوج ضمن كل الإشكاليات التي طرحتها العمري، وهذا يتعدى حتى على صاحب المشروع الذي أقر بأن مشروعه أكبر من عدته، وأن الرجل نحت من نفسه إلى حد التلاشي .

**المصادر والمراجع :**

- القرآن الكريم .

بـ-المراجع القديمة (التراث):

1- الآمدي أبو القاسم الحسن بن بشر، الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط 5، 2006 م .

2- ابن الأثير ضياء الدين، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، 1999م .

3- الأشعري أبو الحسن :

- الإبانة عن أصول الديانة، دار ابن حزم، بيروت، ط 1، 2003م.

-مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، دار الحديث، القاهرة، ط 1، 2005م.

4- ابن أبي الإصبع، تحرير التحبير في صناعة الشعر والثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حنفي محمد شرف، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة، 2012م.

5- الأباري أبو البركات، الإنفاق في مسائل الخلاف، تحقيق محمد محبي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2009م .

- أسرار العربية، تحقيق محمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1997م.

6- الباقي أبو الوليد، المنهاج في ترتيب الحجاج، تحقيق عبد المجيد تركي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 3، 2002م.

- 7- البغدادي عبد القاهر بن طاهر، الفرق بين الفرق، دار ابن حزم، بيروت، ط1، 2005م.
- 8- البغدادي عبد القادر بن عمر، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تحقيق عبد السلام هارون، القاهرة، ط4، 1997م.
- 9- الباقياني، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ط5، 1998م.
- 10- ابن البناء المراكشي، الروض المريح في صناعة البديع، تحقيق رضوان بن شقرور، دار النشر المغربية، الدار البيضاء، ط1، 1985م.
- 11- التوحيدية أبو حيان، الإمتاع والمؤانسة، دار الكتاب العربي، بيروت، المقابسات، تحقيق حسن السندي، مصطفى بابي الحلبي، القاهرة، 1929م.
- 12- الشعالبي أبو منصور، فقه اللغة وسر العربية، تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري، مطبعة بابي الحلبي، القاهرة، ط3، دت.
- 13- الجاحظ أبو عثمان، البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة ابن سينا، القاهرة، ط1، 2010م.
- 14- الجرجاني ركن الدين، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تحقيق ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2002م.
- 15- الجرجاني عبد القاهر :  
- أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2001م.

- دلائل الإعجاز، تحقيق محمد شاكر، القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط3، 1992م.
- الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعرفة، القاهرة، ط6، 2012م.
- 16- الجرجاني علي بن محمد الشريف الحنفي، كتاب التعريفات، تحقيق نصر الدين التونسي، القدس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2007م.
- 17- ابن جني أبو الفتح عثمان :  
 - الخصائص، تحقيق الشرببي شريدة، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2007م.  
 - سر صناعة الإعراب، تحقيق محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007م.
- 18- حازم القرطاجي، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب بن الحوارة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1989م.
- 19- ابن حزم الأندلسي، التقريب لحد المنطق والمدخل إليه بالألفاظ العامية والأمثلة الفقهية، تحقيق إحسان عباس، مكتبة الحياة، بيروت، دت.
- 20- الخطّابي، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، تحقيق خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعرفة، القاهرة، ط6 2012 م.
- 21- الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 2003م.
- 22- ابن خلدون عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق مصطفى الشيخ، مؤسسة الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، 2012 م .

- 23- الرازى فخر الدين، نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، تحقيق نصر الله حاجي مفتى أوغلي، دار صادر، بيروت، ط1، 2004م.
- 24- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الطلائع، القاهرة، 2009م.
- 25- الرمانى علي بن عيسى، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، ، دار المعارف، القاهرة، ط6 2012 م.
- 26- الزخىري جار الله :  
- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل، تحقيق خليل شيخا ، دار المعرفة، بيروت، ط3، 2009م.
- 27- السجلماسي أبومحمد القاسم، المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع، تحقيق علال الغازي، مكتبة المعرفة، الرباط، ط1، 1980م.
- 28- السكاكى أبويعقوب، مفتاح العلوم، تحقيق عبد الحميد هنداوى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998م.
- 29- ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1989م.
- 30- سيبويه أبوبشر، الكتاب، تحقيق عبد السلام هارون، دار التاريخ، بيروت، ط1، 2006م.
- 31- ابن سينا الشیخ الرئیس :  
- الإشارات والتنبيهات، تحقيق سليمان دنيا، دار المعرفة، القاهرة، ط3، 1968م.

-عيون الحكمة، تحقيق عبد الرحمن بدوي، دار القلم، بيروت، ط2، 1980م  
-الشفاء (الخطابة)، تحقيق محمد سليم سالم، المطبعة الأميرية، القاهرة، دت.

-الشفاء (الشعر)، تحقيق عبد الرحمن بدوي، القاهرة، 1966م.

32- السيوطي جلال الدين :

-أسرار ترتيب القرآن، تحقيق عبد القادر عطا ومرزوق علي إبراهيم، دار الفضيلة، القاهرة، 2002م.

-الإتقان في علوم القرآن، تحقيق خالد العطار، دار الفكر، بيروت، 2008م.

-المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق عبد الرحيم محمود، دار الفكر، بيروت، 2007م.

-معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1988م.

33- الشاطبي أبو إسحاق، المواقف أو عنوان التعريف بأسرار التكليف، تحقيق محمد مرابي، الرسالة ناشرون، دمشق، ط1، 2013م.

34- الشريف الرضي، تلخيص البيان في مجازات القرآن، تحقيق محمد عبد الغني حسن، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2012م.

35- الشيباني أبو اليسير، الرسالة العذراء في موازين البلاغة، تحقيق يوسف محمد عبد الوهاب، دار الطائع، القاهرة، 2005م.

36- أبو عبيدة، مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي القاهرة، دت.

37- العسكري أبو هلال، كتاب الصناعتين، الخانجي، القاهرة، ط1، 1320هـ.

- 38- العلوى يحيى بن حزة، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق الشربيني شريدة، دار الحديث، القاهرة، ط1، 2009م.
- 39- ابن فارس أحمد بن زكرياء، الصاحبي في فقه اللغة العربية، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2، 2007م.
- 40- ابن قتيبة عبد الله بن مسلم، تأویل مشكل القرآن، مؤسسة الرسالة ناشرون، ط1، 2009م.
- 41- قدامة بن جعفر، نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1989م.
- 42- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق عماد زكي البارودي وخيري سعيد، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ط10، 2012م.
- 43- القرشي أبو زيد، جمهرة أشعار العرب، دار صادر، بيروت، ط2، 2008م.
- 44- المرزوقي، شرح ديوان الحماسة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 2003م.
- 45- ابن هشام، مغني اللبيب، تحقيق مازن مبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، 2007م.

### ج / المراجع الحديثة والمعاصرة:

- 1- أدونيس علي أحمد سعيد، الشعرية العربية، دار الآداب، بيروت، ط2، 1989م
- 2- أوكان عمر، اللغة والخطاب، رؤيا للنشر، القاهرة، ط1، 2011م.
- 3- بارة عبد الغني:
- إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي المعاصر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2005م.

- الهرمينوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، منشورات الإختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
- 4- بلميح إدريس، استعارة الباث واستعارة المثلقي، ضمن كتاب نظرية التلقي: إشكالات وتطبيقات، طبعة كلية الآداب المغرب، ط1، 1997م.
- 5- بنعبد العالي عبد السلام، الكتابة بيدين، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2009م.
- 6- بنكراد سعيد، السيميائيات والتأويل، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005م
- 7- الدریدي سامية، دراسات في الحجاج، عالم الكتب الحديث إربد، ط1، 2009م
- 8- الراضي رشيد، الحجاج والمغالطة، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط1، 2010م
- 9- الزين محمد شوقي، تأويلات وتفكيكات، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 2002م.
- 10- شرف عبد الكريم، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، ط1. 2007.
- 11- صمود حمادي، التفكير البلاغي عند العرب أنسسه وتطوره إلى القرن السادس، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط3، 2010م.
- 12- صولة عبد الله:
- الحجاج أطروه ومنطلقاته من خلال مصنف في الحجاج، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية، كلية الآداب منوبة، د.ت.
- الحجاج في القرآن من خلال أهم خصائصه الأسلوبية، دار الفارابي، بيروت، ط1. 2007

- 13- ضيف شوقي، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط13، 2011م.
- 14- الطلبة محمد سالم محمد الأمين، *الحجاج في البلاغة العربية المعاصرة*، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1، 2008م.
- 15- طه حسين، من حديث الشعر والنشر، دار المعارف، د.ت.
- 16- العزاوي أبوبكر، *الحجاج في اللغة*، ضمن كتاب *الحجاج مفهومه و مجالاته*، عالم الكتب الحديث، إربد، ط1، 2010م.
- 17- الغذامي عبد الله، *الخطيئة والتکفیر*، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط6، 2006م.
- 18- فضل صلاح:
- أساليب الشعرية المعاصرة، دار الآداب، بيروت، ط1، 1995م
  - بلاغة الخطاب وعلم النص، عالم المعرفة، الكويت، 1992م.
- 19- المبخوت شكري، *الاستدلال البلاغي*، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط2، 2010م.
- 20- المتوكل أحمد:
- الخطاب وخصائص اللغة العربية، دار الأمان، المغرب، ط1، 2010م.
  - اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، دار الكتاب الجديد، بيروت، ط2، 2010م.
- 21- مرتاض عبد المالك، *نظرية اللغة العربية*، دار البصائر، الجزائر، 2014م
- 22- مشبال محمد:
- *البلاغة والأدب من صور اللغة إلى صور الخطاب*، دار العين، القاهرة، ط1، 2010م.

- البلاغة والأصول، إفريقيا الشرق، المغرب، 2007م.
  - بلاغة النادرة، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، 2006م.
  - 23- مفتاح محمد:
    - تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص)، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط4، 2005م.
    - في سيمياء الشعر القديم، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1989م.
    - مجهول البيان، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1990م.
    - التلقي والتأويل مقاربة نسقية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط3، 2009م.
  - 24- ناظم حسن، مفاهيم الشعرية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2008م.
  - 25- يقطين سعيد، السرد العربي مفاهيم وتجليات، دار الأمان، الرباط، ط1، 2012م.
  - 26- وغليسى يوسف، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008م.
  - 27- اليملاحي محمد، أسئلة الفكر البلاغي في المغرب مقاربة لمشروع محمد العمري، ضمن البلاغة والخطاب، دار الأمان – الرباط / منشورات الاختلاف – الجزائر / منشورات ضفاف بيروت، ط1، 2014م.
- د-المراجع الأجنبية المترجمة :**
- أرسسطو، الخطابة، ترجمة عبد القادر قنيري، إفريقيا الشرق، المغرب، 2008م.
  - فن الشعر، ترجمة عبد الرحمن بدوي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953م.

-2 أفلاطون:

- الجمهورية، ترجمة حنا خباز، دار القلم بيروت دت.
- الخطيب، ترجمة أديب نصوص، دار صادر، بيروت، 1966م.
- بارت رولان، قراءة جديدة للبلاغة القديمة، ترجمة عمر أوكان، دار رؤية، القاهرة، 2011م.
- ريكور بول: نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط2، 2006م.
- بليث هنريش: البلاغة والأسلوبية ترجمة محمد العمري، إفريقيا الشرق، ط1، 1999م.
- جاكبسون رومان وموريس هالة، أساسيات اللغة، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 2008م.
- جون كوين، بناء لغة الشعر، ترجمة أحمد درويش، دار المعارف، القاهرة، ط3، 1993م.
- جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر الخلي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط3، 2003م.
- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة ترجمة حميد لميداني والجلالي الكدية، مكتبة المناهل دت.
- مورو فرانسوا، البلاغة المدخل لدراسة الصور البينية، ترجمة محمد الولي وعائشة جرير، إفريقيا الشرق، 2003م.
- هانز روبرت ياووس، نحو جمالية للتلقي، تر محمد مساعدى، مطبعة الأفق فاس، دت .

12-هایدغر مارتن، أصل العمل الفني، ترجمة أبو العيد دودو، منشورات الجمل، ألمانيا، ط1، 2003م.

13-هولب روبرت، نظرية التلقي، ترجمة عز الدين اسماعيل المكتبة الأكاديمية، 2000م.

14-طودوروف تزفيطان، الشعرية، ترجمة شكري المبخوت ورجاء بن سلامة، توبيقال للنشر، المغرب، ط2، 1990م.

#### 1- باللغة الأجنبية:

- 1- Aron kibedi varga :Rhétorique et littérature. Etudes de structures classiques;Didier,paris,1970.
- 2- Chaim perelman et Lucie Olbrechts- tyteca : Traité de l'argumentation : La nouvelle rhétorique, université de bruxel ,5em ed ,2000.
- 3- Groupe Mu, Rhétorique générale ,édition du seuil ,1982.
- 4- Olivier Reboule, La Rhétorique ,puf paris ,2<sup>e</sup> édition 1986.

#### ثانياً: المعاجم

##### أ/ باللغة العربية:

1- جمال الدين أبو الفضل بن منظور، لسان العرب، تتح عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسب الله، هاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة مصر، 1981م.

2- مجذ الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحجيط، دتح، دار الفكر، بيروت لبنان، 2010م.

##### ب/ باللغة الأجنبية :

- 1- Alain viala. Paule aron ,denis saint jack,dictionnaire du litteraire ,puf, 2<sup>e</sup>ed: 2006.

ثالثاً: المواقع الإلكترونية :

1- موقع محمد العمري :  
<http://medelomari.perso.sfr.fr/entree.htm>



## الفهرس :

7	❖ مقدمة .....
13	❖ المدخل : قراءة البلاغة العربية في ضوء البلاغة الجديدة سؤال في النشأة والمفهوم
15	1- لاغة جديدة أم بLAGات نوعية؟ سؤال في جديد البلاغة .....
20	2- تاريخ البلاغة العربية ومساءلات الراهن للقديم .....
25	3- مقومات البلاغة العربية نشأة وتطوراً وامتداداً .....
25	أ/ نشأة البلاغة العربية بين الإقناع والإيمان .....
34	ب/ الحديث القرآني ومساءلات البلاغية الأولى .....
42	ج/ تطور البلاغة العربية والانتقال من الملكة الفطرية إلى العلم الواصف .....
43	1. الخلافات العقائدية والجدل الكلامي .....
47	2. تطور البحث اللغوي وتأسيس النظرية اللغوية العربية .....
50	3. فهم القرآن الكريم وأسئلة الإعجاز .....
59	4. الحركة الشعرية ومذاهب الفن .....
85	<b>الفصل الأول : مفهوم البلاغة وخلفيات القراءة في مشروع العمري .....</b>
88	1- المشروع البلاغي الجديد، الرحلة والمقاصد .....
88	أ/ تحقيق في معنى المشروع .....
95	ب/ مفهوم البلاغة والبلاغة العامة مسألات القديم والجديد .....
96	ج/ مراحل مشروع العمري .....
97	أولاً: المرحلة الأولى : بلاغة الإقناع .....
100	ثانياً: المرحلة الثانية : التصور اللساني البنائي لبلاغة النص الشعري .....
103	ثالثاً: المرحلة الثالثة : أصول البلاغة وتاريخها بين النسق والتلقي .....
105	د/ مقاصد المشروع .....
108	-2- مركبات المشروع ومقوياته .....

109	أ/ البحث من الداخل وتوسيع شبكة العلاقات .....
109	أولاً: تحديد النسق .....
112	ثانياً: اختيار المشروع .....
114	ب/ البحث في الخارج .....
117	أولاً: القراءة .....
119	ثانياً: الترجمة والمساءلة .....
<b>122</b>	<b>3- خلفيات القراءة ووجهاتها وسؤال المنهج .....</b>
123	أ/ خلفيات غربية .....
123	أولاً: بنوية .....
127	ثانياً: تداولية / حجاجية .....
136	ثالثاً: نظرية القراءة .....
143	ب/ عربية .....
143	أولاً: تراثية .....
146	ثانياً: معاصرة .....
<b>149</b>	<b>الفصل الثاني: محاور قراءة العمري ومساءلات الرحلة، والروافد، والشبكة.....</b>
<b>151</b>	<b>1- تحقيق نشأة البلاغة وتصحيح وجهة النظر إلى النقد .....</b>
154	2- روافد الدرس البلاغي وطرق الاكتشاف .....
155	أولاً: اكتشاف من الداخل .....
155	1- الوعي وتطبيق المعيار .....
157	2- البديع وضرورة إعادة القراءة .....
163	3- الاختيارات وبلاغة الرصد .....
<b>166</b>	<b>ثانياً: اكتشاف من الخارج .....</b>

167	..... 1-السؤال اللغوي
172	..... 2-إعجاز النص القرآني
176	..... 3-سؤال المعرفة والإقناع
180	..... 4-بلاغة الآخر وطبيعة القراءة
184	..... 3-شبكة البلاغة وتحديد النهاذج
184	..... 1-أسس الاختيار
186	..... ب-الامتدادات الكبرى
186	..... أولا: التخييل والتداول: قراءة جديدة للمنجز البلاغي عند الجرجاني
188	..... 1-بين غرابة التخييل ومناسبة الكلام للمقصاد
192	..... 2-علاقات التخييل بالتداول
197	..... ثانيا:بحث في انسجام النص : قراءة سر الفصاحة
202	..... ثالثا :البلاغة بين علم الأدب والعلم الكلي
205	..... 1-قراءة العمري لمشروع السكاكي
205	..... أ/ رصد الأنماق وبناء الخطاطات
207	..... ب/سؤال البلاغة وحوار الاختصاصات
210	..... 2-قراءة مشروع حازم القرطاجني
210	..... أ/ المسار التاريخي للمشروع
213	..... ب/أسئلة البلاغة بين المشروع والمنجز
217	..... ♦ خاتمة.....♦
221	..... ♦ قائمة المصادر والراجع ..♦



الإيداع القانوني: السادس الأول، 2018.

HRAM978-9931-515-44-9

A standard linear barcode representing the ISBN number HRAM978-9931-515-44-9. The barcode is positioned above its corresponding numbers: 9, 789931, and 515449.

